المسائل والفوائد والقواعد النجفيَّة في معارف الإماميَّة

الجزء الثالث

بقلم
الشيخ كامل بدر الحلفي

المسائل
والفوائد والقواعد النَّجفيَّة
فـي
معارف الإماميَّة

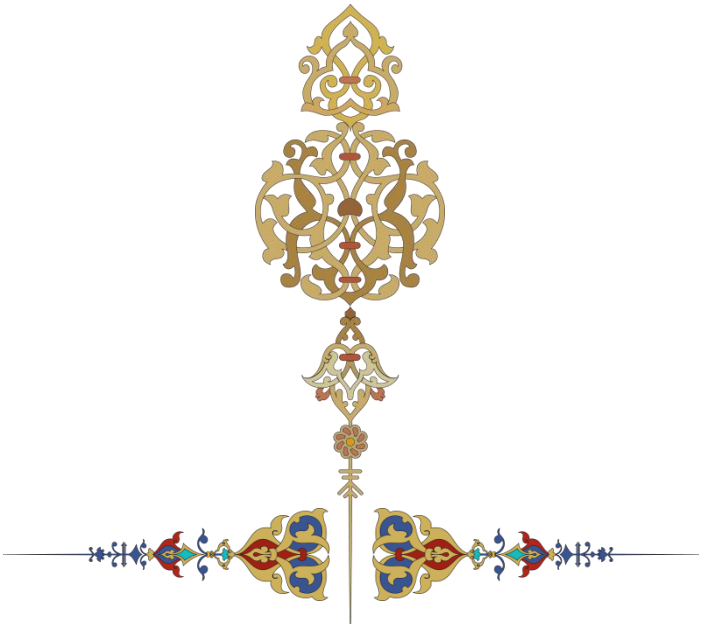

المَسَائِل والفوائد والقواعد
النَّجفيَّة
فِي
مَعَارِف الإماميَّة

الجزء الثالث

بقلم
الشيخ كامل بدر الحلفي

أسم الكتاب /

المَسَائِل والفوائد والقواعد النَّجفيَّة

في

مَعَارف الإماميَّة

ج ٣

بقلم /

الشيخ كامل بدر الحلفي

سنة الطبع /

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤ م

الطبعة / الأولى

التنضيد والإخراج الفني:

المهندس/ يوسف الخزعلي

(٠٧٨١١٣٥٢٠٧٣)

محفوظة جميع الحقوق

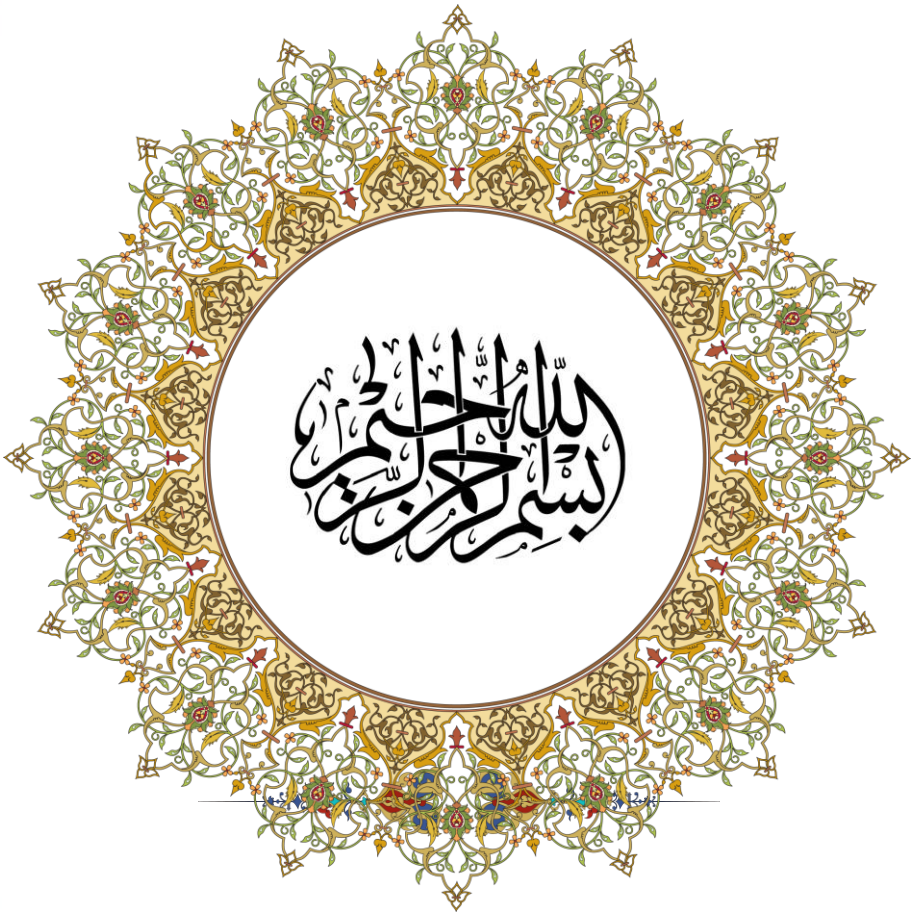
بسم الله الرحمن الرحيم

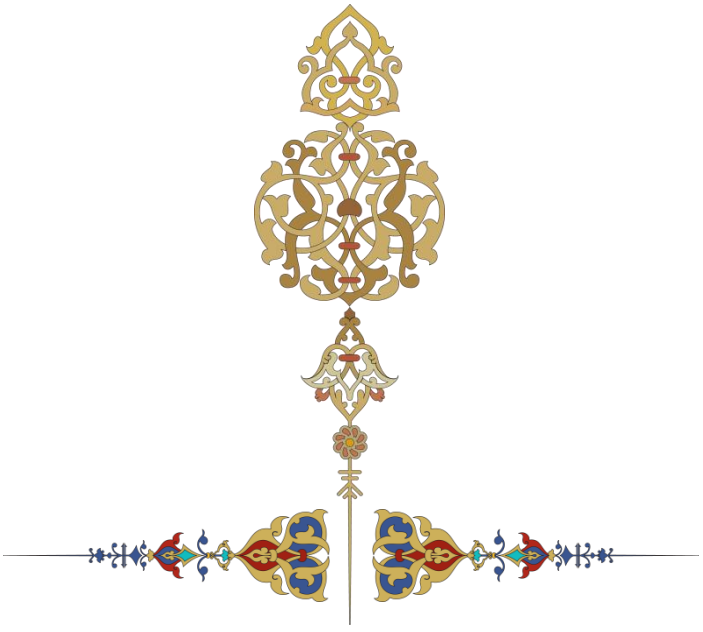

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾

[الفاتحة: ١ - ٧]

صدق الله العلي العظيم

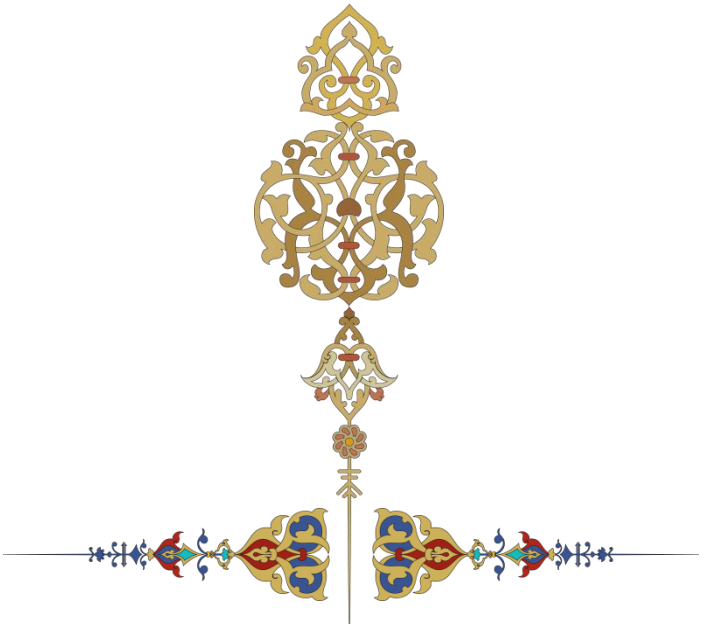

المسألة: (١٢/٣)

[خطورة علم: (الاِشتقاق)]

إِنَّ علم الاِشتقاق[١] عِلْمٌ مُهِمٌّ وخطيرٌ جِـدّاً من علوم اللُّغـة

(١) التَّدقيق في الاِشتقاق اللُّغوي مفتاح مفاتيح الأَبحاث المعرفيَّة ، ويختصر في البحوث المعرفيَّة الطَّريق أَمام الباحث والمستنبط ، ومؤثِّر كثيراً في علوم شتَّىٰ ، ويوقف الباحث والمستنبط ـ من خلال الموازين العلميَّة ـ على أَسرار: (علوم المعارف) ، و(علم الفقه) ، و(علم أُصول الفقه) ، و(علم الأَخلاق) ، و(علم التفسير) ، و(علم الفلك) ، والعلوم الغريبة ـ القسم المحلل منها ـ كـ: (علم الجفر) ، و(علم السحر) ، و(علم الرمل) ، و(علم العزائم) ، و(علم الطلسمات) ، ويأتي في علم التَّأويل والاستظهار ، وقد مارسه أَهل البيت عليهم السلام في علم التَّأويل ، كما سيتَّضح من الأَمثلة اللَّاحِقَة.
وقد اِكتشف وأَسَّسَ قواعده روَّاد علوم اللُّغة القدامىٰ ، لكنَّها اِنْدَرَسَت واِنْطَمَسَت في الثقافة العلميَّة الأَكاديمية الحديثة ، وهي في طور الاِنْدِثَار في الحوزات العلميَّة والعلوم الدِّينيَّة. ←

العربيـة[١] ، عريق قائم بذاته ، كان يُذكر في بداياته ضمن علم الصرف ، وبعدها اِستقلَّ في التَّصنيف والدَّرس والتَّدريس ، لكنَّه عاد إِليه مُؤخَّراً ؛ فلصعوبة نوع منه ، وهو الاِشتقاق الدَّلالي اُجتزئ في العصر الرَّاهن بطرفٍ من أَحد نوعيه ، وهو: (الاِشتقاق اللَّفظيّ) ، وأُخذت منه نوعين أَو ثلاثة من أَنواعه الخمسة ، وصُنِّفَت ضمن علم الصَّرف ؛ مع أَنَّه علم قائم بذاته ، مباين لعلم الصَّرف كمباينة علم الصَّرف لعلم النَّحو والبلاغة ، وحيث إِنَّه حلقةٌ مُهمَّةٌ من حلقات موسوعة فقه وسّر اللُّغة العربيَّة ، ومفتاح فقهها فكُلُّ كلامٍ عن فقه اللُّغة العربيَّة ، دون اِسْتيعاب (علم الاِشتقاق) ، الخاصّ

← **إِذَنْ**: لعلم الاِشتقاق أُسس وقواعد وضوابط ودلائل وشواهد وموازين علميَّة لابُدَّ للباحث من الاِطِّلاع عليها وضبطها؛ لتحديد قوالب المعاني بدقَّة قبل الدُّخول في البحث والاستدلال والوصول إِلى النتائج ، ومِنْ ثَمَّ قد يبتعد الفيلسوف والعارف وغيرهما مسافات بعيدة عن المادَّة الحقيقيَّة لبحثه نتيجة جهله بخطوة لغويَّة.

(١) بلغت علوم اللُّغة العربيَّة في العصر الرَّاهن ثلاثة عشر علماً ، أَحدها: (علم الاِشتقاق) ، وهو على أَسناخ وأَنواع خمسة ، سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) بيانها ، فانتظر هنيئة.

وينبغي الاِلتفات: أَنَّ مَنْ يترك جملة علوم اللُّغة أَو بعضها سيهبط لديه لا محالة سطح العلوم الأُخرىٰ؛ لأَنَّ علوم اللُّغة ـ لا سيما علوم المعاني في الأَدب ـ بحر زَخَّار لا ينزف ، ولو اُكتشف كلّ شيءٍ فيها لاُكتشف سرّ إِعجاز بلاغة القرآن الكريم.

وكثير من ظواهر اللُّغة العربية لم تُدْرَس حتَّىٰ اللَّحْظَة ، وأَدلُّ دليل على ذلك: عجز البشريَّة إِلى الآن من اِكتشاف سرّ بلاغة القرآن الكريم.

به[١] بِكُلِّ أَبْعَاده[٢] أَو جلّها مُجَرَّد دعوىٰ.

ولأَهميَّة هذا العلم ، ولعظم فائدتها وخطورته ، ولكون التَّوغُّل فيه يختصر كثيراً من أُمور البحث والفحص والاِستدلال ، ولِـمَا لحقه من هضم[٣] حقّ على طلبة العلم جبره تصنيفاً ودراسة وتدريساً ، وإِعادته إِلى حالته السَّالفة.

ولكون هذه المسألة مبتنية على الاِختصار سنتناول (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) شطراً من أَبحاثه وفي الجملة. فإِذا عرفت ذلك فنقول (مستعينين باللّـه جلَّ اسمه الشَّريف):

[تعريف الاِشتقاق اللُّغوي]

عُرِّفَ الاِشتقاق اللُّغوي ـ اِصطلاحاً ـ: بـ: أَنَّه «استحداث كلمة ، أَخذاً من كلمة أُخرىٰ ، للتَّعبير بها عن معنىٰ جديد يُناسب المعنىٰ الحرفي للكلمة المأخوذ منها ، أَو عن معنىٰ قالَبي جديد للمعنىٰ الحرفي ، مع التَّماثل بين الكلمتين في أَحرفهما الأَصليَّة ، وترتيبهما فيهما».

---

(١) مرجع الضمير: (فقه اللُّغة العربيَّة).

(٢) مرجع الضمير في (أَبعاده): (علم الاِشتقاق).

(٣) اندثر علم الاِشتقاق في العصر الراهن في الجامعات والمعاهد والمدارس الأَكاديميَّة ، وهُجِرَ في الحوزات العلميَّة إِلَّا من القِلَّة ، وأَولوه نحو اِهتمام.

بيانه :

المراد من: «استحداث كلمة»: إنشاء كلمة جديدة ؛ ليُعبَّر بها عن معنىٰ جديد. وهذه هي الغاية الأَساسيَّة مِنْ علم الاِشتقاق. ولهذا الإِنشاء صُوَرٌ ، سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) التَّعرُّض إِليها قريباً.

والمراد من: «الكلمة المُستحدثة تؤخذ من كلمةٍ أُخرىٰ»: أَنَّ الكلمة المُستحدثة تُبْنَىٰ أَحرفُها من نفس الأَحرف الأَصليَّة لكلمةٍ مُتقدِّمة ؛ أَي: سابقة في الوجود على الكلمة المُستحدثة ، وبنفس ترتيب تلك الأَحرف في الكلمة المُتقدِّمة.

والمراد من: «معنىٰ جديد»: معنىٰ لم يَسبق أَنْ ذكرته المعاجم اللُّغويَّة ، ووُجِدَت (أَو استُشْعِرَت) الحاجة إِليه ؛ كأَن يكون شيئاً مِـمَّا استحدثه التقدُّم البحثي في مجال الأَجهزة والأَدوات ووسائل المعيشة والاِتِّصال والاِنتقال والدراسة ، مِـمَّا لم تتوصَّل إِليه العصور السَّالفة ـ كـ: الهاتف ، والتلفاز ـ. أَو يكون معنىٰ أَحَسَّ به مُفكِّر أَو شاعر أَو أَديب أَو عَالِم تشريع... ولم يحضر في ذهنه لفظٌ مُعبِّر عنه كما يريده هو ، بل وإِن فضَّل التَّعبير عن معنىٰ ما بلفظٍ اِشتقَّه ـ هو ـ ظانّاً أَنَّه أَدقَّ أَو أَنسب ظلالاً ... .

والمراد من: «التَّناسب»: التَّناسب في المعنىٰ بين الكلمة المُشتقَّة والمأخذ ؛ أَي: ينبغي أَنْ يكون المعنىٰ الَّذي تُعبِّر عنه الكلمة المُشتقَّة من جنس المأخذ. وهذا القيد مُختص بالاِشتقاق الدلالي كما سيتَّضح (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ).

والمراد من: «المعنىٰ الحرفي»: المعنىٰ المعجمي الَّذي وُضعت له الكلمة بأَحرفها مُرَتَّبَة على هيئةٍ خاصَّةٍ ، أَو المعنىٰ الَّذي آل اِستعمالها إِليه باشتقاقٍ سابق أَو مجازٍ تحوَّل إِلى حقيقة.

والمراد من: «المعنىٰ القالبي»: معنى الصيغة[1] الَّتي سُكَّت فيها الكلمة. والدَّارسون يعلمون أَنَّ للصيغة معنىً مستقلّاً قد يكون الفاعليَّة أَو المفعوليَّة أَو الاِتِّخاذ أَو المطاوعة أَو الآليَّة ... ، حَسَب معاني كُلّ صيغةٍ.

فالمعنىٰ الحرفي للفظ: (كاتب) هو: خط رموز أَصوات الكلام بالقلم ـ سوآء أَكان على ورق أَو غيره ـ لإِثبات الكلام ؛ أَي: إِلصاقه وتدوينه ؛ حتَّىٰ لا يُجْحَد أَو يُنْسَىٰ ، هذا هو المعنىٰ المُتعارف المُتبادر ، بصرف النَّظر عن نشأة اِشتقاقه.

والمعنىٰ القالبي لكلمة: (كاتب) هو: الفاعليَّه ؛ أَي: أَنَّ هذا اللَّفظ يوصف به: (من يَفعل) المعنىٰ الحرفي ؛ أَي: يؤدِّيه أَو يشتغل به فعلاً. والمعنىٰ القالبي لصيغة: (مكاتب) هو: الآليَّة ؛ أَي: أَنَّ هذا اللَّفظ تُسمَّىٰ به الأَداة أَو الآلة الَّتي يُكتب بها ... وهكذا.

والمراد من الترديد بـ: (أَو) بين هذا والمعنىٰ القالبي الجديد: شمولَ نوعي الاِشتقاق: اللَّفظي والدّلالي.

---

(١) الصيغ أَو القوالب الَّتي تُسَكّ فيها كلم العربيَّة تبلغ زهاء أَربع مائة صيغة ، بل بعض العلماء فصَّلها إِلى خمس مائة وألف صيغة ، لكلِّ صيغةٍ معانيها ، وكثيراً ما تشترك بعض الصيغ في التَّعبير عن معنىٰ واحد؛ كالفاعليَّة أَو المفعوليَّة أَو الآليَّة أَو المبالغة.

[أَنواع الاِشتقاق]

إِنَّ الاِشتقاق على عدَّة أَنواع[1] ، خلاصتها :

---

(١) قبل الدُّخول في صميم البحث لابُدَّ من الاِلتفات إِلى الأُمور التَّالية:

الأَمر الأَوَّل:

التَّرابط بين الاِشتقاق اللُّغوي والاِشتقاق التَّكويني

إِنَّ الاِشتقاق اللُّغوي آية ومُنبِّه (إِنِّي) على الاِشتقاق المعنوي ، والاِشتقاق المعنوي آية ومُنبِّه (إِنِّي) على الاِشتقاق التَّكويني الوجودي ، نظيره: التَّرادف: (اللُّغوي) ، و(العقلي) ، و(الوجودي) ، فعَالَمَ الدلالة يدلّ على عَالَمَ المعنىٰ ، وعَالَمَ المعنىٰ يدلُّ له على عَالَمَ الحقائق والوجود وهو الأَصل ، وبالتَّالي الاسم الصوتي واللَّفظي قنطرة ودالٌّ على الاسم المعنوي ، والاسم المعنوي قنطرة ودالٌّ على الاسم الوجودي وهو الأَصل ، وكُلّ واحدٍ منها على طبقات؛ وكلُّ طبقةٍ منها مرآة لِـمَا فوقها.

ثُمَّ إِنَّ المعروف في العلوم العقليَّة: أَنَّ أَيَّ معنىٰ يُشتق من آخر كان المعنىٰ المُشتق ليس بأَزلي ، وإِنَّما حادث وفقير وممكن ومعلول لِـمَا اُشتق منه.

الأَمر الثَّاني:

الاِشتقاق اللُّغوي أَحد تفاسير التَّأويل وبطون بيانات الوحي

إِنَّ الاِشتقاق اللُّغوي أَحد تفاسير التَّأويل الواردة في بيانات الوحي ، وأَحد تفاسير بياناته الأُخرىٰ الدَّالَّة على أَنَّ للقرآن الكريم بطوناً.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً: بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**أَنَا أُقاتل على التَّنزيل وعَلِيٌّ يُقاتل على التَّأويل**». بحار الأَنوار ، ٢٩: ٤٥٤/ح٤٥. المناقب لابن شهر آشوب ، ٣: ٢١٨ـ ٢١٩. الفردوس ، ١: ٤٦/ح١١٥.

←

الأَوَّل: ما تماثلت فيه الأَحرف الأَصليَّة للمشتق والمأخذ بأعيانها ، وبنفس ترتيب مواقعها فيهما ، بصرف النَّظر عمَّا قد يكون في صيغة المُشتق من أَحرفٍ مزيدةٍ ، وعمَّا يكون فيها من تغيير أَو نقص في الحركات الموجودة في (المأخذ).

نحو: اِشتقاق: (الخِبْرَة) من (خَبَر) ، و(الكتاب ، والكتيبة) من

→ **ثانياً**: بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، قال: «سألتُ أَبا جعفر عليه السلام عن شيءٍ مِن التَّفسير فأَجابني ، ثُمَّ سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر ، فقلتُ: جُعِلْتُ فداك ، كُنْتَ أَجبتني في هذه المسألة بجوابٍ غير هذا قبل اليوم ، فقال: **يا جابر إِنَّ للقرآن بطناً وللبطن بطن ، وله ظهر وللظهر ظهر ، يا جابر ، ليس شيء أَبعد من عقول الرِّجَال مِنْ تفسير القرآن ، إِنَّ الآية يكون أَوَّلها في شيءٍ وآخرها في شيءٍ ، وهو كلام مُتَّصل مُتصرّف على وجوه**». بحار الأَنوار ، ٨٩: ٩١/ ح٣٧. المحاسن: ٣٠٠.

الأَمر الثَّالث:

المراد من عنوان (التَّأويل) الوارد في بيانات الوحي رجوع الشيء إِلى أَصله وحقيقته

إِنَّ المراد من عنوان: (التَّأويل) الوارد في بيانات الوحي ليس ما هو المُتداول والمشهور على الأَلسن؛ من اِسقاط دلالة الأَلفاظ عن معانيها الحقيقيَّة ، وحملها على معانيها المجازيَّة. وهذا معنىٰ ثانوي. بل المراد معناه اللُّغوي؛ أَي: رجوع الشيء إِلى أَساسه وأَصله وحقيقته وأَوَّله.

وهذا هو المراد أَيضاً من بيانات الوحي الأُخرىٰ الدَّالَّة على أَنَّ للقرآن الكريم بطوناً.

وهذه المعاني أَصليَّة للكلمة ، بل هي روحها ولُبُّها والغاية منها ومن وضعها وواضعها ، وهذا ما يُشير إِليه بيان القاعدة اللُّغويَّة المُتقدِّمة: «خُذ الغايات واترك المبادئ».

(كَتَبَه) ، و(المسألة) من (سأل) و(ضَرَب) من (ضَرْب)[١] .

وإلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن هشام بن الحكم: «أَنَّه سأل أَبا عبداللّـه عليه السلام عن أَسماء اللّـه واشتقاقِها: (اللّـه) مِـمَّا هو مُشتقٌّ؟ قال: فقال لي: **يا هشام ، اللّـه مُشتقٌّ مِنْ إِلٰه ، والإِلٰهُ يقتضي مَأْلُوها ، والاسم غير المُسَمَّىٰ ...**»[٢] .

الثَّاني: ما تماثلت فيه الأَحرف الأَصليَّة للمُشتق والمأخذ ، واختلف ترتيب مواقع تلك الأَحرف فيهم.

ومَثَّلو ا لذلك بنوعين من الأَمثلة:

١ـ تقاليب المادَّة الواحدة ، مِثْل تقاليب: (ب ج ر): (جبر) و(جرب) و(بجر) و(برج) و(ربج) و(رجب).

٢ـ ما عُرِفَ في الدَّراسات القديمة باسِم: (القلب المكاني) ، مِثْل: (جَبَذ: جَذَب) ، و(طَسَم: طَمَس) ، و(اِكْفَهَرَّ: اِكْرَهَفَّ)[٣] .

وإلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

---

(١) أَصطلح بعضهم على هذا النَّحو من الاِشتقاق بـ: (الاِشتقاق الصَّغير) ، وأَصطلح عليه آخر بـ: (الاِشتقاق الأَصغر).

(٢) أُصول الكافي ، ١: ٦٢/ ح٢.

(٣) أَصطلح بعضهم على هذا النَّحو من الاِشتقاق بـ: (الاِشتقاق الصَّغير) ، وأَصطلح عليه آخر بـ: (الاِشتقاق الكبير) ، وثالث بـ: (الاِشتقاق الأَكبر) ، ورابع بـ: (الاِشتقاق الكُبَّار).

بيان الإمام الصادق عليه السلام ، قال: «**دعا رسول اللّـه صلى الله عليه وآله لأَمير المؤمنين عليه السلام في آخر صلاته رافعاً بها صوته يسمع النَّاس ، يقول: اللَّهُمَّ هب لِعَلِيٍّ المودَّة في صدور المؤمنين ، والهيبة والعظمة في صدور المنافقين. فأَنزل اللّـه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾[1] بني أُميَّة ، فقال: رمع واللّـه ، لصاع مِنْ تمرٍ في شنٍّ بالٍ[2] أَحبُّ إِلَيَّ مِـمَّا سأله مُحَمَّدٌ ربَّه ؛ أَفلا سأل ملكاً يعضده؟ أَو كنزاً يستظهر به على فاقته؟ فأَنزل اللّـه فيه عشر آيات من هود ، أَوَّلها: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾[3]**»[4].[5]

ومقصوده عليه السلام من كلمة: (رمع): (عمر) ، وهو إِشارة إِلى هذا النحو

---

(١) مريم: ٩٦ ـ ٩٧.

(٢) الشن: القربة الخلقة. بلى الثوب: رثَّ.

(٣) هود: ١٢.

(٤) بحار الأَنوار ، ٣٥: ٣٥٣ ـ ٣٥٤/ ح٢. تفسير العياشي ، ٢: ١٥٢. البرهان ، ٢: ١٨٧.

(٥) يجدر الإِلتفات: أَنَّ مَنْ لم يتبرَّم من مقالٍ وعقائديٍّ باطل ـ ولو على مستوىٰ النَّفس وطبقات الرُّوح فقد اِرتكب كبيرة ، ومن ثَمَّ ورد في بيان إِمضاء الإِمام الصَّادق عليه السلام الوارد في حَقِّ النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام ، عن الحسين بن مُحَمَّد بن عامر بإِسناده ، قال: «أَنَّ أَبا عبداللّـه جعفر بن مُحَمَّد الصَّادق عليه الصَّلاة والسَّلَام اِستحضره المنصور ... وقال له: يا جعفر ... ولعمري أَنَّ عيسىٰ ابن مريم عليهما السلام لو سكت عمَّا قالت فيه النَّصَارىٰ لعذَّبه اللّـه ...». بحار الأَنوار ، ١٠: ٢١٦ ـ ٢١٧/ ح١٨. أَمالي الصدوق: ٢٤٧.

من الإِشتقاق.

الثَّالث: ما تماثلت فيه بعض أَحرف الكلمتين ، وتقارب بعضها الآخر ، مع إِحتفاظهما بترتيب مواقعها المتناظرة في الكلمتين.

ومَثَّلوا له بنوعين من الأَمثلة:

١ـ ما عُرِفَ في الدَّراسات القديمة باسم: (التصاقب). نحو: (نَهق: نعق) ، و(جرف: جلف) ، و(سدل: سدر).

٢ـ ما عُرِفَ في الدَّراسات القديمة أَيضاً باسم: (الإِبدال اللُّغوي).

نحو: (مَدَح فلاناً: مَدَهه) ، و(بنات بَخْر: بنات مَـخْر) ، و(الرُّسْخ: الرُّصْغ) [١].

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان الحديث القدسي الوارد في حقّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم): «... **هؤلاء خمسة شققتُ لهم اسماً من أَسمائي: فأَنا المحمود وهذا مُحمَّد ، وَأَنا الأَعلىٰ وهذا عَلِيٌّ ، وَأَنَا الفاطر وهذه فاطمة ، وأَنَا ذو الإِحسان وهذا الحسن ، وَأَنا المحسن وهذا الحسين ...**»[٢] [٣].

---

(١) إِصْطَلَحَ بعضهم على هذا النَّحو بصورتيه بـ: (الإِشتقاق الكبير) ، واصطلح عليه آخر بـ: (الإِشتقاق الأَكبر).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٧: ٥/ ح١٠.

(٣) لا بأس بالإِلتفات: أَنَّ الحديث القدسي وإِنْ لم يكن في مصَفِّ بيانات القرآن الكريم ، لكنَّه أَعظم من الحديث النَّبويِّ.

ثانياً: بيان الخطبة الفدكيَّة لفاطمة الزَّهراء عليها السلام في محاججتها لأَصحاب السقيفة ؛ حينما استشهدت لحقِّها بقوله تعالىٰ: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾[1] ...

فنظر أَبو بكر بن قحافة إِلى عمر بن الخطَّاب[2] وقال: ما تقول؟ فقال عمر: ومَنْ اليتامىٰ ، والمساكين ، وابناء السَّبيل؟ فقالت فاطمة عليها السلام: **(اليتامىٰ): الَّذين يأتمُّون باللّـه وبرسوله وبذي القربىٰ. و(المساكين): الَّذين أُسكنوا معهم في الدُّنيا والآخرة. و(ابن السَّبيل): الَّذي: يسلك مسلكهم**. قال عمر: فإذاً الخمس والفيء كُلّه لكم[3] ولمواليكم وَأَشياعكم؟ فقالت فاطمة عليها السلام:

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) **ينبغي الإلتفات** :
أَوَّلاً: أَنَّ الثَّابت في المصادر التَّأريخيَّة: أَنَّ (تَيْمَ) ـ عشيرة المستولي الأَوَّل ـ و(عَدِيَّ) ـ عشيرة المستولي الثَّاني ـ و(بني أُميَّة) ـ عشيرة المستولي الثَّالث ـ لا ترجع في نسبها إِلى قريش ، بل التحقوا بهم بالتَّبَنِّي.
ثانياً: من المناسب أَنْ لا يُعبَّر عن دولة السَّقيفة ، ودولة بني أُميَّة ، ودولة بني العبَّاس وحُكَّامها بـ: الخلافة والخلفاء ، بل بالسُّلطة والمُتسلِّطين على العَالَم الإِسلامي وما شاكلها؛ لأَنَّ الخلافة تعني: مشروعيَّة.

(٣) **يجدر الإلتفات**: أَنَّ سكوت عمر وسائر أَصحاب السَّقيفة في المقام ، وعدم ردِّهم على ما ذكرته السيِّدة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) من تفسيرات ـ لا سيما وهم في مقام التَّشَبُّث بكلِّ شاردةٍ وواردةٍ كـ: (تشبث الغريق بلحيته)؛ لخضد شوكة الحقِّ ←

وأَمَّا الخُمس فقسَّمه اللّـه لَنَا ولموالينا وَأَشياعنا ؛ كما يُقرأ في كتاب اللّـه ...»[1] [2].

← وأَهله ـ لدليل على تعارف واِشتهار علم الاِشتقاق عند العرب في ذلك الزَّمان وتعاملهم به.

(١) بحار الأَنوار ، ٢٩: ١٩٦.

(٢) يجدر صرف النَّظر في المقام إِلى الأُمور التَّالية:

الأَمر الأَوَّل:

بلَّغ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ولاية أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت عليهم السلام مرَّتين

إِنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بلَّغ وأَنذر ولاية أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت عليهم السلام بعد ولاية اللّـه وولايته صلى الله عليه وآله مرَّتين:

إِحداهما: في غدير خم.

الأُخرىٰ: في الأَيَّام الأُولىٰ من بعثته صلى الله عليه وآله ، المُقتصّ لخبرها حديث: (يوم الدار) ، والَّتي حصلت بعد نزول بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. الآمر لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بتفعيل ولاية أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت عليهم السلام ، والمُهدِّد له صلى الله عليه وآله إِنْ لم يُفعِّلها بنفس التهديد الوارد في بيان تبليغ بيعة الغدير.

الأَمر الثَّاني:

أَحد المقامات الإِلٰهيَّة لفاطمة الزَّهراء عليها السلام وليَّة أَمر

إِنَّه من العقائد الأَساسيَّة ، ومن الأُمور المُبَدَّهة الثَّابتة في مدرسة أَهل البيت عليهم السلام: أَنَّ فاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليها) من ولاة الأَمر ، وهذا مقام من مقاماتها الإِلٰهيَّة.

الأَمر الثَّالث:

فاطمة الزَّهراء عليها السلام من أَعظم المُحدَّثين ←

إنَّ فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) ـ بشهادة القرآن الكريم ـ من أَكبر المُحدَّثين. بل إذا كان جبرئيل عليه السلام نزل على مريم عليها السلام وحدَّثها فكيف بسيِّدتها: فاطمة (صلوات اللّـه عليها).

الأَمر الرَّابع:

لولا فاطمة الزَّهراء عليها السلام لعميت حقيقة السَّقيفة على أَجيال المسلمين

بين المقامات الإلٰهيَّة لأَمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام تقارب وكفؤيَّة

إنَّ لفاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) موقف عظيم في قضيَّة السَّقيفة ، ولولاها لعميت الحقيقة عن أَجيال المسلمين ، ولَـمَا وصلت إلينا ـ الحقيقة ـ كاملة. وهذا يُدَلِّل على أَنَّ بينها وبين أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما) وعلى آلهما كفؤيَّة.

الأَمر الخامس:

الثَّابت بالتتبُّع النَّاقص على أَنَّ لفاطمة عليها السلام أَربع خُطْب

المعروف: أَنَّ لفاطمة (صلوات اللّـه عليها) في أَحداث السَّقيفة خطبتين ، لكنَّه ثبت بالتتبُّع النَّاقص أَنَّ لها أَربع خُطْب في أَربعة مواطن ، وليست لها أَربع نسخ لخُطْبَةٍ واحدة ، وأَحد هذه المواطن: في المسجد النبوي. وهي الخُطْبَة المعروفة. الأُخرىٰ: عندما أَتتها (صلوات اللّـه عليها) نساء المهاجرين والأَنصار. وهذه أَيضاً خُطْبَة معروفة. ثالثها: حينما أَتتها عائشة بنت طلحة ، فَخَطَبَتْ (صلوات اللّـه عليها) ، ونشرتها ابنة طلحة. رابعها: عند قبر حمزة عليه السلام أَو في مكان آخر.

الأَمر السَّادس:

من مُمَيِّزات خُطْب فاطمة الزَّهراء عليها السلام

إِنَّ خُطْب فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) كانت تشريح وتحليل للأَوضاع دقيق ورقيق.

الأَمر السَّابع:

مُواجهة أَمير المؤمنين وفاطمة الزَّهراء عليهما السلام لتربية الأُمَّة

إِنَّ أَمير المؤمنين والبتول فاطمة صلوات اللّـه عليهما جناحان وفرسان نوران نبويَّان إِلٰهيَّان في مواجهة تربية هذه الأُمَّة وتمرُّدها ، لكن الأُمَّة لم تتحمَّل ولم تخضع ولم تنصاع تربويّاً لهما صلوات اللّـه عليهما ، ولا زالت إِلى الآن.

الأَمر الثَّامن:

بين احتجاجات فاطمة عليها السلام في قضيَّة فدك تمام الموائمة

المعروف ـ بحسب تدبُّر كثير من أَكابر الفريقين ـ: أَنَّ فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) حينما اِحتجَّت في قضيَّة فدك اِحْتَجَّتْ بِحُجَجٍ لا تدافع بينها؛ بل بينها تمام الموافقة والموائمة والمؤازرة؛ فإِنَّه يمكن للإِنسان تَمَلُّك الشيء الواحد بأسباب مُتعدِّدة لا تضارب بينها.

الحُجَّة الأُولىٰ: أَنَّها وارثة أَبيها صلَّىٰ اللّـه عليهما وعلى آلهما وراثة اصطفائيَّة. وقد اعترف علماء العامَّة والجمهور بـ: أَنَّ وراثة النَّبيّ سليمان من أَبيه النَّبيّ داود عليهما السلام الواردة في بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾ [النمل: ١٦] وراثة اِصطِفائيَّة. وحيث إِنَّ لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ولاية على الفيء شاملة لكلّ الأَرض؛ انتقل هذا الإِرث بالوراثة الاِصطِفائيَّة من ضمنه أَرض فدك ـ بنصِّ بيان قوله تعالىٰ المُتقدِّم وغيره ـ بعد استشهاده صلى الله عليه وآله إِلى قرباه: فاطمة الزهراء وأَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت عليهم السلام.

لكن: هذه القضيَّة غفل عنها الكثير من الخاصَّة ، وحصروا وراثتها عليها السلام من أَبيها صلى الله عليه وآله بالوراثة الماليَّة الماديَّة.

والحقُّ: أَنَّ إِرث فيء الأَرض وإِن كان ماليّاً ماديّاً ، لكنَّ ماليَّته ليست ماليَّة ماديَّة فرديَّة فقط؛ لأَنَّه لَـمَّا كانت ـ هذه الماليَّة ـ لها سعة شاملة لجملة الأَرض كانت ولاية اِصطِفائيَّة.

الحجَّة الثَّانية: أَنَّ أَبيها صلى الله عليه وآله وهب أَرض فدك لها.

الحُجَّة الثَّالثة: أَنَّ أَرض فدك كانت تحت يدها حين استشهاد أَبيها صلى الله عليه وآله؛ فتكون داخلة في ملكها؛ لقاعدة اليد من دون حاجة إِلى بيِّنة.

الحُجَّة الرابعة: أَنَّ أَرض فدك سداد دين مهر أُمّها خديجة ، وهذا إِرث اِصطِفائي ورثته من أُمِّها (صلوات اللّـه عليها).

ولَكَ أَنْ تقول: إِنَّ مهر خديجة عليها السلام يتبع ويشبه شيئاً ما مهر إِبنتها فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) ، ولكُلٍّ منهما ولاية إِلٰهيَّة وإِنْ كان مهر الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) أَعظم.

الأَمر التَّاسع:

اِرتكاز موقعيَّة فاطمة الزَّهراء عليها السلام الإِلٰهيَّة في نفوس الصَّحابة والمسلمين

إِنَّ أَحد المقاطع الواردة في خطبة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) والَّتي لم يشرحها أَحَدٌ من الأَعلام: استنهاضها عليها السلام الأَنصار عسكريّاً ضدَّ المستولي الأَوَّل وأَصحاب السَّقيفة ، لكن مع صراحة عبارتها وعدم المُوَارَبَة وعدم الخفاء ، واستنهاضها عسكريّاً الأَنصار في مسجد رسول اللّـه صلى الله عليه وآله لإِعادة الخلافة إِلى وضعها الطَّبيعي ، ومع كُلّ هذا وغيره لم يجرء أَحدٌ من اتباع السَّقيفة لمراددتها.

وهذا مشهد عظيم يُدلِّل على عظيم ارتكاز موقعيَّتها (صلوات اللّـه عليها) في نفوس الصَّحابة والمسلمين.

الأَمر العاشر:

رواية المستولي الأَوَّل لعقائد ومقامات وفضائل إِلٰهيَّة لفاطمة عليها السلام

→ روىٰ أَبو بكر ـ في مصادر الفريقين ـ في سجاله ومواجهته لفاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) عشر عقائد ومقامات وفضائل إِلٰهيَّة لها عليها السلام عن سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله، وهذا أَمر عظيم، منها: (أَنَّها ركن الدِّين).

الأَمر الحادي عشر:

عتاب فاطمة الزَّهراء لأَمير المؤمنين عليهما السلام في أَحداث السَّقيفة مُوجَّه للأُمَّة

إِنَّ عتاب فاطمة الزَّهراء لأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليها) في أَحداث السَّقيفة ليس عتاباً حقيقيّاً، بل صُوْرِيٌّ وموجَّه للأُمَّة ومن باب: (اياكِ أَعني واسمعي يا جارة)، كعتاب الباري تقدَّس ذكره لنبيِّه عيسىٰ عليه السلام الوارد في بيان قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾ [المائدة: ١١٦] فإِنَّ توجيه هذا الخطاب للنَّبيِّ عيسىٰ عليه السلام توجيه صُوْرِيٌّ، وحقيقته توجيه لأُمَّته من خلاله.

وكذا عتاب النَّبيّ موسىٰ لأَخيه النَّبيّ هارون عليهما السلام في أَحداث عبادة العجل الوارد في بيان قوله عزَّ قوله: ﴿**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾ [طٰه: ٩٢ـ٩٤].

الأَمر الثَّاني عشر:

موقف الزَّهراء عليها السلام في أَحداث السَّقيفة شهامة صدرت منها ←

إنَّ ما ورد في بيانات الوحي والمصادر التَّأريخيَّة الحاكية لظلامة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) أدلَّة ونقول تأريخيَّة مُستفيضة ، موجودة في بطون كُتُب المسلمين ، غايته تحتاج إلى تتبُّع واستقصاء.

ثُمَّ إنَّ ما جرىٰ على الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) ينبغي أَنْ لا يُنظر إليه كظلامة فحسب ، بل ما قامت به شهامة صدرت منها عليها السلام. وهذا بُعْد عظيم حصل في سيرتها (صلوات اللّـه عليها).

ومن ثَمَّ لا يُظَنُّ أَنَّ عرض ظلامتها عليها السلام يُوجب دقّ اسفين توغيل الصُّدور ، والكراهية ، واشعال الحروب بين المسلمين ، بل لبيان فلسفات ونتف وحِكَم عظيمة ، منها: ما تقدَّم.

الأَمر الثَّالث عشر:

زواج أَمير المؤمنين بفاطمة عليهما السلام إقتران ولاية إلٰهيَّة بأُخرىٰ

إنَّه ليس في اقتران وزواج أَمير المؤمنين من فاطمة (صلوات اللّـه عليها) بُعد بدنيّ وفرديّ حسب ، ولا إقتران وزواج وسكن روحي فحسب ، ولا بُعد الزوجيَّة العادي ، ولا بُعد زواج أُسري فقط ، وإنَّما هو زواج واقتران ولاية إلٰهيَّة عظيمة بولاية إلٰهيَّة عظيمة أُخرىٰ ، وزواج واقتران نور عظيم بنورٍ عظيم آخر ، ومشاركة نور في الولاية ، واقتران كفؤيَّة في الولاية في عَالَم النور وعَالَم الملكوت ، وتشارك في الولاية وفي شعشعة أَنوار السَّاحة الربوبيَّة.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي المعرفيَّة ، لكن بقراءةٍ معرفيَّة عقائديَّة سياسية أَشارت إليها بيانات أَهل البيت عليهم السلام ، منها :

بيان قوله عزَّ مَنْ قائل: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ١٩ – ٢٢].

فقوله تعالىٰ: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ إشارة معرفيَّة إلى أنَّ اِقتران أمير المؤمنين بفاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليهما) اِقتران بحران ، أحدهما: ما تُمثِّله حقيقة أمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ، وهو: (بحر العلم) ، والآخر: ما تُمثِّله حقيقة فاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليها) ، وهو: (بحر النُّبوَّة). وهذان البحران من عوالم: الغيب والملكوت والنور والولاية الإلٰهيَّة.

وقوله تعالىٰ ذكره: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ إشارة معرفيَّة إلى حقيقة سيِّد الأنبياء صلى الله عليه وآله ، فإنَّها البرزخ بين هاتين الولايتين الإلٰهيَّتين.

وقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ إشارة معرفيَّة إلى أنَّ لكلٍّ منهما (صلوات اللّـه عليهما) مسؤوليَّاته الإلٰهيَّة الخاصَّة في الولاية ، وفي العقيدة وفي الدِّين ، وفي ولاية الأمر في بُعده الدِّيني ، وفي ولاية الأمر في بُعده السياسي.

وقوله تبارك اسمه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ مشير إلى حقائق سائر أهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

وإلى كلِّ هذا أشارت بيانات تفسير أهل البيت عليهم السلام ، منها :

١ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: « في قوله عزَّوجلَّ: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ، قال: عَلِيٌّ وفاطمة. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ قال: لا يبغي عَلِيّ على فاطمة ، ولا تبغي فاطمة على عَلِيٍّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين عليهما السلام». بحار الأنوار ، ٢٤: ٩٧/ ح١.

٢ـ بيانه عليه السلام أيضاً: « في قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ قال: عليٌّ وفاطمة بحران عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه».

وفي رواية: « ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: رسول اللّـه. ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾: الحسن والحسين». بحار الأنوار ، ٤٣: ٣٢/ ح٣٩.

٣ـ عن ابن عبَّاس قال: «إن فاطمة عليها السلام بكت للجوع والعرىٰ ، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وآله: اقنعي يا فاطمة بزوجكِ ، فواللَّـه ، إنَّه سيِّد في الدُّنيا ، وسيِّد في الآخرة ، وأَصلح بينهما ، فأنزل اللَّـه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ، يقول: أَنا اللَّـه ، أَرسلتُ البحرين: عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام بحر العلم ، وفاطمة بحر النُّبوَّة ، يلتقيان يتَّصلان ، أَنا اللَّـه أَوقعتُ الوصلة بينهما ، ثُمَّ قال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ مانع رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله ... ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ يا معشر الجنّ والإنس ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ بولاية أَمير المؤمنين عليه السلام ، أَو حبّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام؟ فاللؤلؤ: الحسن ، والمرجان الحسين...». بحار الأَنوار ، ٢٤: ٩٩/ ح٦. مناقب آل أبي طالب ، ٣: ١٠١.

٤ـ عن فرات الكوفي ، عن ابن عبَّاس أَيضاً ، قال: «في قوله تعالىٰ: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ، قال: عليٌّ وفاطمة. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ ، قال: رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله. ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ، قال: الحسن والحسين عليهما السلام».

وحدَّثنا عَلِيُّ بن عتَّاب والحسين بن سعيد وجعفر بن مُحَمَّد الفزاريّ ، عن الصَّادق عليه السلام يقول: «**هكذا معنىٰ الآية. وقال: عَلِيٌّ بن موسىٰ الرِّضا عليه السلام هكذا**». بحار الأَنوار ، ٣٧: ٦٤/ ح٣٤. تفسير فرات الكوفي: ١٧٧.

ودلالة الجميع واضحة.

وينبغي الإلتفات: أَنَّ بيان الآية الكريمة هذه شامل ـ كما ورد في بيانات أَهل البيت عليهم السلام ـ لبحور النُّور ، وللبحور العرشيَّة ، ولبحور القدرة ، وبحور العظمة ، وبحور الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة.

ومن ثَمَّ ما قامت به فاطمة الزهراء صلوات اللَّـه عليها من تسجيل بناء وبنيان عقائدي ومعرفي لم تكن فيه مُخالفة للمسار العقائدي والمعرفي؛ أَو المسار الولائي؛ أَو لمسار الولاية السياسيَّة؛ أَو الولاية الإعتقاديَّة لأَمير المؤمنين صلوات اللَّـه

عليهما ، ولم تَخُن في الدِّين بمواثيق اللّـه ، ولا بمواثيق سيِّد الأَنبياء ﷺ ، ولا بمواثيق الدين ، شبيه ما حصل بين النَّبيّ موسىٰ والخضر عليهما السلام في القضيَّة الواردة في سورة الكهف ، فإنَّ كلَّ واحدٍ منهما لم يتعدَّ على صلاحيَّات الآخر ، ومن ثَمَّ وصف النَّبيّ موسىٰ عليه السلام نفسه بأَنَّه تابع للخضر عليه السلام.

فانظر: بيان قوله جلَّ وتقدَّس الحاكي لخبرهما: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٥ـ ٦٦].

وهكذا حال الخضر عليه السلام؛ فإنَّه لم يفرض على النَّبيِّ موسىٰ عليه السلام إِتِّباعه أَو عدم إِتباعه ، وإِنَّما ترك الخيار مفتوحاً للنَّبيّ موسىٰ عليه السلام.

فلاحظ: بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠].

وبالجملة: ما تقدَّم بيان واضح وصريح دالٌّ على علوِّ مقامات فاطمة الزهراء (صلوات اللّـه عليها) الإِلٰهيَّة ، وتقدُّمها على مقامات الأَئمَّة الأَحد عشر من سائر أَهل البيت عليهم السلام ، فإِنَّ مقاماتها الإِلٰهيَّة كفؤ لمقامات أَمير المؤمنين عليهما السلام الإِلٰهيَّة ، وأَصل لكلِّ مقامات الأَصفياء.

الأَمر الرَّابع عشر:

بيانات الوحي الواردة في زواج وولادة فاطمة عليها السلام معارف إِلٰهيَّة

إِنَّ ما ورد في بيانات الوحي عن زواج فاطمة (صلوات اللّـه عليها) باب من أَبوات معرفتها عليها السلام.

وكذا ما ورد في بيانات الوحي عن ولادتها (صلوات اللّـه عليها) فإِنَّه بابٌ آخر من أَبواب معرفتها المُتعدِّدة.

→ وليس ما يُذكر فيهما مُجرَّد ترنيم أَلفاظ ومدائح أَو مجرَّد فضائل عاديَّة ، بل معارف وعقائد إِلٰهيَّة ومقامات وشؤون وفضائل إِلٰهيَّة يكتشفها الباحث من بيانات الوحي شيئاً فشيئاً.

الأَمر الخامس عشر:

تقارب ومشاركة بين المقامات الإِلٰهيَّة لأَمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام

ورد في بيانات الوحي: أَنَّ فاطمة الزَّهراء كفؤ لأَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليهما) ، ولرتبتها الإِلٰهيَّة ومقامها الإِلٰهيّ مشاركة لرتبة أَمير المؤمنين الإِلٰهيَّة ومقامه الإِلٰهيّ.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، الوارد في حَقِّ جدَّته الزهراء (صلوات اللّٰـه عليها): «... **لولا أَنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام تزوَّجها لَـمَا كان لها كفو إِلى يوم القيامة على وجه الأَرض آدم فَمَن دونه**». بحار الأَنوار ، ٤٣: ١٠/ح١.

ودلالته واضحة.

لكن: ورد في بيانات الوحي الأُخرىٰ تقدُّم رتبة أَمير المؤمنين عليه السلام ومقاماته الإِلٰهيَّة على رتبتها عليها السلام ومقاماتها الإِلٰهيَّة.

فانظر: بيانات الوحي الأُخرى ، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الوارد في بداية الخلقة: «... **خلقني اللّٰـه من صفآء نوره فدعاني فَأَطعته ، وخلق من نوري عليّاً فدعاه إِلى طاعته فأَطاعه ، وخلق من نوري ونور عَلِيّ عليه السلام فاطمة فدعاها فأَطاعته** ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٦ـ٨/ح٩. المحتضر: ١٥٢ ـ ١٥٣.

ودلالته واضحة. ←

وهذا شبيه ما ورد في حقِّ سيِّدا شباب أَهل الجنَّة عليهما السلام ، فقد ورد في لسان بيانات الوحي: أَنَّ بينهما (صلوات اللّـه عليهم) مشاركة وكفؤيَّة في الرتب والمقامات والشؤون الإِلٰهيَّة.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها :

١ـ تتمَّة بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله المُتقدِّم: «... **وخلق مِنِّي ومِنْ عَلِيّ ومِنْ فاطمة الحسن والحسين فدعاهما فَأطاعاه ...**».

٢ـ بيانه صلى الله عليه وآله: «**الحسن والحسين خير أَهل الأَرض بعدي وبعد أَبيهما ، وأُمَّهما أَفضل نساء أَهل الأَرض ...**». بحار الأَنوار ، ٤٣: ١٩ ـ ٢٠/ ح٥.

٣ـ بيانه صلى الله عليه وآله: «**الحسن والحسين سيِّدا شباب أَهل الجنَّة ...**». بحار الأَنوار ، ٤٣: ٢١/ح١٠.

ودلالة الجميع واضحة.

لكن: ورد في بيانات الوحي الأُخرىٰ: تقدُّم رتبة الإِمام الحسن عليه السلام ومقاماته وشؤونه الإِلٰهيَّة على رتبة الإِمام الحسين ومقاماته وشؤونه الإِلٰهيَّة.

ومعناه: أَنَّ بين رتبتيهما ومقاماتهما وشؤونهما الإِلٰهيَّة مشاركة وتقارب وشيك؛ وإِنْ لم يحصل بينها تساوي وتساوق مُطلق.

فانظر: بيانات الوحي الأُخرىٰ الدَّالَّة على ذلك التَّقَدُّم ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **إِنَّ اللّـه ... كان ولا مكان ولا كون معه ، ولا سواه أَحد في فردانيَّته ... مشيء لا شيء معه ، فلَمَّا شآء أَنْ يخلق خلقني بمشيئته وإِرادته لي نوراً ... ثُمَّ خلق مِنِّي أَخي عليّاً ، ثُمَّ خلق مِنَّا فاطمة ، ثُمَّ خلق مِنِّي ومن عَلِيّ وفاطمة الحسن ، وخلق مِنَّا الحسين ...**». الهداية الكبرىٰ: ٤٤٨ ـ ٤٥١/ح٥٦. صحيفة الأَبرار ، ١: ٢٠٨ ـ ٢١١/ ح١٠.

٢ـ بيانه صلى الله عليه وآله أيضاً: «... **خلقنا اللّـه نحن حيث لا سمآء مبنيَّة ... فلمَّا أَراد اللّـه بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش ... ثُمَّ فتق نور ابن أَبي طالب فخلق منه الملائكة ... وفتق نور ابنتي فاطمة منه فخلق السَّماوات والأَرض ... ثُمَّ فتق نور الحسن فخلق منه الشَّمس والقمر ... ثُمَّ فتق نور الحسين فخلق منه الجنَّة والحور العين ...**». بحار الأَنوار، ٢٥: ١٦ ـ ١٧/ ح٣٠.

ودلالتهما واضحة.

ثُمَّ إِنَّ ما تقدَّم أَحد الشَّواهد الدَّالَّة على تقدُّم رتبة فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) ومقاماتها وشؤونها الإِلٰهيَّة على رتب الأَئِمَّة الأَحد عشر من أَهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم وشؤونهم الإِلٰهيَّة.

والخلاصة: أَنَّ ما ورد في بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام الوارد في حقِّ فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها): «**لولا أَنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام تزوَّجها لما كان لها كفو إِلى يوم القيامة على وجه الأَرض آدم فمن دونه**» برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ علوم فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) وحُجِّيَّتها ومقاماتها وفضائلها الإِلٰهيَّة متكافئة مع علوم أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) وحُجِّيَّته ومقاماته وفضائله الإِلٰهيَّة، وانْ كان له عليه السلام تقدُّم ومُميَّزات خاصَّة.

إِذَنْ: بينهما عليهما السلام تقارب لكن من دون تساوق وتساوي من كافَّة الجهات، كحال تقدُّم حُجِّيَّة الإِمام الحسن المجتبىٰ ومقاماته وفضائله الإِلٰهيَّة على حُجِّيَّة سيِّد الشُّهداء عليهما السلام ومقاماته وفضائله الإِلٰهيَّة.

ومنه يتَّضح:

أَوَّلاً: تقدُّم علوم فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) وحُجِّيَّتها ومقاماتها وفضائلها وشؤونها الإِلٰهيَّة على علوم أَنبياء أُولي العزم الأَربعة عليهم السلام وحُجَجهم ومقاماتهم وفضائلهم وشؤونهم الإِلٰهيَّة.

ثانياً: تقدُّم علومها (صلوات اللّـه عليها) أَيضاً وحُجِّيَّتها ومقاماتها وفضائلها وشؤونها الإِلٰهيَّة على علوم سائر الأَئِمَّة الأَحد عشر من أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وحُججهم ومقاماتهم وفضائلهم وشؤونهم الإِلٰهيَّة؛ فإِنَّه لم يثبت في بيانات الوحي كفؤيَّة واحد منهم عليهم السلام لأَمير المؤمنين عدا فاطمة ، بل ورد في بيانات الوحي: «**أَنَّ الحسن والحسين من شيعة أَمير المؤمنين**». [بحار الأَنوار ، ٦٥: ١٥٨] ، بل ورد عن الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**ولايتي لِعَلِيّ بن أَبي طالب** عليه السلام **أَحبّ إِلَيّ من ولادتي منه؛ لأَنَّ ولايتي لِعَلِيّ بن أَبي طالب فرض ، وولادتي منه فضل**» [بحار الأَنوار ، ٣٩: ٢٩٩/ح١٠٥.] ، ومن ثَمَّ تكون لفاطمة ولأَمير المؤمنين عليهما السلام خصوصيَّة دون سائر الأَئِمَّة عليهم السلام.

الأَمر السَّادس عشر:

بين نهج أَمير المؤمنين ونهج فاطمة عليهما السلام تمام الموائمة والانسجام واقعاً

نهج أَمير المؤمنين ونهج فاطمة عليهما السلام بابان إِلٰهيَّان أَيّهما سلك المُكلَّف نجا

وجوب توزيع أَدوار المؤمنين على نهج أَمير المؤمنين ونهج فاطمة عليهما السلام

إِنَّ ما ورد في بيان الإِمام الصَّادق ـ المتقدِّم ـ الوارد في حقِّ جدَّته الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها): «**لولا أَنَّ أَمير المؤمنين** عليه السلام **تزوَّجها لما كان لها كفؤ إِلى يوم القيامة على وجه الأَرض آدم فمَن دونه**» برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ ـ كما تقدَّم ـ على وجود كفؤيَّة في الحُجِّيَّة والمقامات والشؤون والفضائل الإِلٰهيَّة بين أَمير المؤمنين وفاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها).

ومعناه: أَنَّه وإِنْ كان يُشاهد من أَمير المؤمنين وفاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) نهجان كإِنَّما في الظَّاهر لا انطباق بينهما ، لكن واقعهما أَنَّهما ينبعان من ينبوعٍ فاردٍ. وكأَنَّ هذا البيان الوحيانيّ إِخبار عن قضيَّة حاصلها: أَنَّه يُشاهدون منهما عليهما السلام منهجان وموقفان مختلفان ، لكن بينهما بحسب الواقع تمام الإِنسجام.

وقد لقَّنا (صلوات اللّـه عليهما) اتباعهما في حادثة السَّقيفة هذين المنهجين والدورين والموقفين المتوازيين في آن واحد ، وفي موقف وبيئة واحدة ، وفي موضوع فارد ، وهو قضيَّة السَّقيفة. لكن موقف أَمير المؤمنين عليه السلام من نمط ، وموقف الزَّهراء عليها السلام من نمط آخر ، وهما بابان أَيَّهما سلك المخلوق نجا ، بل يجب توزيع أَدوار الـمؤمنين وطاقاتهم على كِلَا البابين ، فجناح يُساند دور أَمير الـمؤمنين عليه السلام ، وجناح آخر يُساند دور فاطمة الزَّهراء عليها السلام.

وعلى هذا قس منهج ودور وموقف الإِمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام ومنهج ودور وموقف الإِمام الحسين عليه السلام ، فموقفيهما وإِنْ كان بحسب الظَّاهر نهجان لا انطباق بينهما ، لكن واقعهما أَنَّهما يرتضعان من ثدي واحد ، فالإِمام الحسن عليه السلام وإِنْ التزم بالهدنة مع معاوية وجيشه؛ والإِمام الحسين عليه السلام لم يلتزم بها ، لكن بينهما بحسب الواقع تمام الانسجام ، وهما بابان أَيَّهما سلك المُكلَّف نجا ، بل يجب توزيع أَدوار المؤمنين وطاقاتهم على كِلَا البابين؛ فجناح يُساند دور الإِمام الحسن عليه السلام ، وجناح آخر يُساند دور الإِمام الحسين عليه السلام ، وليس في ذلك اصطكاك وتدافع وتناقض ، بل بينهما تمام الموائمة والإِنسجام. وليس في الأَخذ بأَحد الدورين والمنهجين أَمر مشروع وراجح فحسب ، بل ضرورة وحيانيَّة ، فحينما أَخذ الإِمام الحسن عليه السلام على معاوية: (أَنَّ أَخي الحسين عليه السلام لا يُهادن ولا يلتزم بالهدنة ولا بشروطها) ، فمعناه: مُخاطبة مواليه ومُتَّبعي منهجه أَنَّ هناك منهجاً ودوراً وباباً آخر للوصول إِلى الحقِّ والحقيقة والكمال ، وهو منهج أَخي الحسين عليه السلام ، وإِنْ كان كِلَا المنهجين تحت ظلّ إِمامة الإِمام الحسن عليه السلام.

وهذه فريدة مُهمَّة جِدّاً في معرفة نهج أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وسننهم.

الأَمر السَّابع عشر:

حقيقة الزَّهراء عليها السلام منظومة معرفيَّة إِلٰهيَّة خطيرة

→ إِنَّ لشخصيَّة وحقيقة فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) منظومة معرفة ومنظومة مقامات وأَبعاد إِلٰهيَّة كثيرة ـ كحال منظومات النُّبوَّة والإِمامة الإِلٰهيَّة ومقاماتها؛ فإِنَّها تأتي في بدء الخلقة وبدء عوالمها ، وفي استمرارها وفي نهاياتها ـ ، منها :

١ـ إِنَّها (صلوات اللّـه عليها) صدِّيقة.

٢ـ إِنَّها (صلوات اللّـه عليها) سيِّدة نساء أُمَّة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ، كما روىٰ ذلك المستولي الأَوَّل في فضائلها.

٣ـ إِنَّها (صلوات اللّـه عليها) سيِّدة نساء العالمين.

٤ـ إِنَّها (صلوات اللّـه عليها) سيِّدة أَهل الجنَّة ، وهذه ضرورة ثابتة في كُتُب الصحاح العشرة لدىٰ العامَّة ، فهي (صلوات اللّـه عليها) سيِّدة ، ولها سؤدد لكن ليس على نساء أَهل الجنَّة فحسب ، بل على أَهل الجنَّة؛ فتكون سيِّدة على سيِّدا شباب أَهل الجنَّة ـ الحسن والحسين ـ فضلاً عن التسعة المعصومين وسائر الأَنبياء والمرسلين ، منهم سائر أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام.

ومعناه: أَنَّ سؤددها يفوق سؤدد الحسنين (صلوات اللّـه عليهما) وسائر كُمَّل المخلوقات.

وهذه القضيَّة ثابتة بصريح بيانات الوحي.

بل لها (صلوات اللّـه عليها) دورٌ أَساسيٌّ في العلاقة والوراثة الإِلٰهيَّة بين سيِّد الأَنبياء وأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهم وآلهم).

٥ـ إِنَّها (صلوات اللّـه عليها) روح والدها سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الَّتي بين جنبيه.

٦ـ إِنَّها (صلوات اللّـه عليها) يرضىٰ اللّـه لرضاها ، ويغضب ويسخط لغضبها وسخطها. ←

٧ـ إنَّها (صلوات اللّـه عليها) حوراء إنسيَّة. وهذا المقام والبُعْد ناظر إلى جانب بدنها الشَّريف ، وهو على مراتب وطبقات إلى ما شاء اللّـه تعالىٰ. وهذا البُعْد ـ كسابقيه ـ ناظر إلى أَواسط خلقتها (صلوات اللّـه عليها) المقدَّسة.

الأَمر الثَّامن عشر:

دور الزَّهراء عليها السلام الإلٰهيّ يأتي في جملة العوالم وشامل لكافَّة المخلوقات

المعارف الإلٰهيَّة شاملة لجملة العوالم والمخلوقات غير المتناهية

إنَّ من الأُمور المُهمَّة المُقوِّمة لمعرفة حقيقة فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) وأَدوارها الإلٰهيَّة: التَّعرُّف على ما قامت به من أَدوار في بداية الخلقة والعوالم والنَّشَآت السَّابقة ، وما قامت به في عَالَمَ الدُّنيا الأُولىٰ ولا زالت قائمة به ، وما ستقوم به في العوالم اللَّاحقة ، كعَالَمَ البرزخ ، وعَالَمَ الرَّجعة ، وعَالَمَ القيامة ، وعَالَمَ الآخرة الأَبديَّة وما بعدها.

وهذه القضيَّة ليست مُختصة بها (صلوات اللّـه عليها) ، بل شاملة لجملة العقائد والمعارف الإلٰهيَّة ، فإنَّها لا تنحصر بهذه النَّشْأَة الأَرضيَّة ، بل تأتي من بداية الخلقة والوجود والعوالم السَّابقة وعَالَمَ الدُّنيا الأُولىٰ والعوالم اللَّاحقة.

وهذا ما أَكَّدت عليه بيانات الوحي ، فإنَّها تُمهِّد المخلوقات للتَّعرُّف على الحقائق والعقائد والمعارف الإلٰهيَّة الَّتي ستلاقيها في العوالم اللَّاحقة؛ كيما يحصل لها استعداد لذلك ، وهذا ما يُشير إليه مفهوم بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ٧٢] .

ومعناه: أَنَّ المخلوق إذا أَراد أَنْ لا يضلّ السَّبيل في عَالَمَ البرزخ وفي عَالَمَ آخرة الدُّنيا (الرَّجعة)؛ وفي عَالَمَ القيامة وفي عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة وما بعدها من عوالم فعليه أَنْ يكون في هذه النَّشْأَة الأَرضيَّة ذا بصيرة بالعوالم التَّالية وأَحكامها وشؤونها وأَحوالها وما يحصل فيها ، وإلَّا فسيكون أَعمىٰ في تلك العوالم وأَضَلّ سبيلاً من

هذه النَّشْأة الأَرضيَّة ، وهذه نذارة للبشر خطيرة؛ أَنَّه من ها هنا يجب التَّعرُّف على الحقائق والعقائد والمعارف الإِلٰهيَّة؛ والتَّعرُّف على العوالم التَّالية وأَحكامها وشؤونها وأَحوالها.

إِذَنْ: المعرفة بذرة المُشاهدة ، ونافذتها عَالَمنا الأَرضي هذا.

بعد الإِلتفات: أَنَّه لا تكفي معرفة المخلوق بأَصل الحقيقة العقائديَّة والمعرفيَّة ، بل لا بُدَّ من معرفة طبقاتها ، فلا يكفي معرفة النُّبوَّة والرِّسالة ، ومعرفة أَنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله مُرْسَلٌ من اللّٰه عزوجل ، ومعرفة الإِمامة الإِلٰهيَّة ومعرفة الإِمام ، ومعرفة عَالَم البرزخ ، وعَالَم الرَّجعة ، وعَالَم القيامة ، ومعرفة الصراط والميزان والحشر والنشر وتطاير الكُتُب والحساب ، وهلمَّ جرّاً ، بل لابُدَّ من معرفة طبقات هذه الحقائق في نفسها ، و فيما بينها ، وايَّها المُقدَّم.

الأَمر التَّاسع عشر:

الإِعتقاد بمقام الزَّهراء عليها السلام من المعتقدات الضروريَّة

إِنَّ الإِعتقاد بمقام الصدِّيقة فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّٰه عليها) من المعتقدات الضَّروريَّة في مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّٰه عليهم) ، لكن غفل وسهىٰ وأَخفق المتكلِّمون في هذا المبحث ، ولم يفرزوا له مبحثاً في علم الكلام. ولست ادري ، وليتني دريتُ لِمَ خفي كُلّ ذلك على مُحقِّقي العلم.

نعم ، بحثه البعض (والعياذ باللّٰه تعالىٰ) ، استطراداً ، لكنَّه ركن ركين لا يجوز التَّعامل معه وبحثه بهذا الشَّكل.

بل بعض الأَجلَّة والفضلاء اخذته الغفلة الفاحشة واخذه الوهم الشنيع ليدَّعي (والعياذ باللّٰه تعالىٰ): أَنَّ الإِعتقاد بمقاماتها (صلوات اللّٰه عليها) الإِلٰهيَّة وعصمتها وحُجِّيَّتها الإِلٰهيَّة ليست من الأُصول الإِعتقاديَّة. وغير خفيٍّ على من يُحكِّم عرفانه وينصف وجدانه ـ بعد ـ مراجعته لبيانات الوحي ، وتدبَّر في معانيها

وحقائقها ، وعمل نظره في ملحمة التحليل وسندان التَّعَمُّق وغاص في بحر التَّفكير ـ أَنَّه يراه كالشَّمس بلا حجاب وستار على غير أَصلٍ فنيٍّ وقاعدة صناعيَّة ، بل شطط كلام وشطح مقال زائل مُضمحل فاسده ، ونقول له مُتمثِّلين: (أَين ضلَّت مطيَّتكَ يا حسَّان).

الأَمر العشرون:

العطيَّات الإِلٰهيَّة لكُمَّل المخلوقات دائرة على قدر معرفتهم بالزَّهراء عليها السلام

إِنَّ ما ورد في بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام الوارد في حَقِّ جدَّته فاطمة الزَّهراء عليها السلام: «... وهي الصدِّيقة الكبرىٰ ، وعلى معرفتها دارت القرون الأولىٰ» [أَمالي الشَّيخ الطوسي ، ٢: ٢٨٠. بحار الأَنوار ، ٤٣: ١٠٥/ ح١٩] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ النخب المصطفين وكُمَّل المخلوقات من الأَنبياء والرُّسُل والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام في القرون السَّالفة دارت نبوَّاتهم ورسالاتهم ووصايتهم الإِلٰهيَّة واصطفائهم الإِلٰهيّ على قدر معرفتهم بحقيقة فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّٰـه عليها).

الأَمر الحادي والعشرون:

معرفة حقيقة الزَّهراء عليها السلام معرفة ثقيلة الهضم على كُمَّل المخلوقات

إِنَّ معرفة حقيقة فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّٰـه عليها) معرفة ثقيلة الهضم على كُمَّل المخلوقات؛ من الأَنبياء والرسل والأَوصياء والأَصفياء والملائكة المُقرَّبين عليهم السلام غامضة ومُبهمة ، ومن أَصعب الصعاب.

الأَمر الثَّاني والعشرون:

المعرفة برتبة مقام الزَّهراء عليها السلام يُنظِّم أُصول الدِّين وفروعه لدىٰ المخلوق

إِنَّ معرفة المخلوق برتبة مقام الزَّهراء (صلوات اللّٰـه عليها) تُنظِّم لديه أُصول الدِّين وأُصول المعرفة وأُصول التَّشريع في فروع الدِّين ، بخلاف عدم معرفتها؛

فإنَّه يولِّد لديه اِختلال بنظام أُصول الدِّين ، وأُصول المعرفة ، وأُصول التَّشريع في فروع الدِّين.

الأَمر الثَّالث والعشرون:

بيانات الوحي الحاكية لولادة الزَّهراء عليها السلام وزواجها

إنَّ ما ذُكِرَ في بيانات الوحي الحاكية لولادة السيِّدة فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) نغمات علميَّة معرفيَّة؛ فإنَّ ولادتها عليها السلام ـ كحال زواجها ـ ليست في البدء بدنيَّة دنيويَّة أَرضيَّة ، بل نوريَّة ، فهي عليها السلام نور قبل أَن تكون بدن.

الأَمر الرَّابع والعشرون:

أَحد معاني (السِّرّ المستودع في الزَّهراء عليها السلام)

لعلَّ أَحد معاني ما ورد في بيان الدُّعاء المشهور الواردة في حقِّ فاطمة الزَّهراء عليها السلام: «... **والسرّ المستودع فيها** ...»: أَنَّه استودع في نورها (صلوات اللّـه عليها) جملة أَنوار وعلوم وكمالات أَئمَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليها).

الأَمر الخامس والعشرون:

اِشتقاق أَنوار الأَحد عشر من نور الزَّهراء عليهم السلام

إنَّه لم يرد في بيانات الوحي أَنَّ نور النَّبي عيسىٰ اُشْتُقّ وتَجَلَّىٰ من نور مريم عليهما السلام ، بينما ورد فيها: أَنَّ أَنوار الأَئِمَّة الأَحد عشر عليهم السلام اُشْتُقَّتْ وتَجَلَّت من نور فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها). وهذا دالٌّ على عظيم خطرها.

فانظر: بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **خلقني اللّـه من صفآء نوره فدعاني فأطعته ، وخلق من نوري عليّاً فدعاه إِلى طاعته فأَطاعه ، وخلق من نوري ونور عَلِيّ عليه السلام فاطمة فدعاها فأطاعته ، وخلق مِنِّي ومن عَلِيّ ومن فاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه** ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٦ـ٨ / ح٩. المحتضر: ١٥٢ ـ ١٥٣.

٢ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **وهذا كُلّه لآل مُحمَّد لا يُشاركهم فيه مُشارك ... فهم الكواكب العلويَّة والأَنوار العلويَّة المُشرقة من شمس العصمة الفاطميَّة ...**». بحار الأَنوار، ٢٥: ١٦٩ـ ١٧٤/ ح٣٨.

الأَمر السَّادس والعشرون:

بعض طبقات حقيقة الزَّهراء عليها السلام ملائكيَّة وبحر وحي لا ينزف

إِنَّ ما ورد في مضمون بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الكاشف عن بعض طبقات حقيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام: «... **خلقت فاطمة حوراء إِنسيَّة ، لا إِنسيَّة** ...» [بحار الأَنوار، ٤٣: ١٨/ ح١٧] مطابق لمضمون بيان قوله تعالىٰ: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾ [الكهف: ١١٠].

فإِنَّه بعدما كانت حقيقة الشيء بفصلها الأَخير كانت حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بحر وحي زخَّار لا ينزف أَبداً من بداية الخلقة والوجود إلى ما لا نهاية؛ فإِنَّ بيان قوله تعالىٰ عَبَّرَ عنها بالفعل المضارع (يوحىٰ) المفيد للتجدُّد والاستمرار التأبيدي ، ومن ثَمَّ تكون حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله حقيقة جوهريَّة تختلف عن حقائق سائر المخلوقات.

ومطابق أَيضاً لمضمون بيان قوله جلَّ قوله الوارد لبيان حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله أَيضاً ، بل لمُطلق حقائق الأَنبياء عليهم السلام: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ**﴾ [الأَنعام: ٩].

فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على قاعدة وحيانيَّة عقليَّة ، حاصلها: «أَنَّ أَصل سنخ وحقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، بل وحقائق سائر الأَنبياء عليهم السلام سنخ ملكوتي ، لكنَّه أُلبس لباس البشر».

الأَمر السَّابع والعشرون:

طبقات حقيقة فاطمة الزَّهراء عليها السلام

من الأُمور الجذَّابة معرفيّاً وكمعتقدٍ عظيم في الدِّين الإِسلامي؛ وفي الإِيمان ما ذكرته بيانات الوحي الواردة في التَّعريف بحقيقة فاطمة الزَّهراء (صلوات اللّـه عليها) ، فقد ذكرت لها منظومة مقامات إِلٰهيَّة تظهر في بداية الخلقة ، وفي وسطها ونهاياتها ، فلها أَدوار في بدء عوالم الخلقة ، وأَدوار أُخرىٰ في استمرار عوالم الخلقة ، وأَدوار في نهايات عوالم الخلقة ، فدورها (صلوات اللّـه عليها) من البدء إِلى الختم. وهذه خريطة معرفيَّة دائريَّة.

هذه هي حقيقة فاطمة (صلوات اللّـه عليها).

بعد الإِلتفات: أَنَّ هذه المعرفة غير ناظرة لبدنها عليها السلام الشَّريف ـ فإِنَّه وإِن كان له بُعْد من أَبعاد وجودها المُقدَّس ـ وإِنَّما ناظرة إِلى نفسها عليها السلام وإِلى روحها ونورها وطبقات حقيقتها الصَّاعدة.

الأَمر الثَّامن والعشرون:

لفاطمة الزَّهراء عليها السلام شأن وعلوّ خاصّ

إِنَّه مع ما لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله من ولايةٍ على كافَّة المؤمنين ، وأَوْلَىٰ بهم من أَنفسهم ، وهو الأَب لبدن وروح فاطمة (صلوات اللّـه عليها) ، وإِمام الكُلّ وسيِّد الكائنات ، لكنَّه حينما خُطِبت عدَّة مرَّات كان جوابه صلى الله عليه وآله: أَنَّ أَمر نكاحها وولاية أَمرها ليست بيدي ، بل بيد اللّـه ، فكيف خرجت هذه القضيَّة من ولايته؟! فانظر: بحار الأَنوار ، ٤٣: ١٢٥. المناقب ، ٢: ١٨٢. تذكرة الخواص: ٣١٨.

وهذا برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّها (صلوات اللّـه عليها) خِلْفَة إِلٰهيَّة ، ولها شأن وعلوّ خاصّ ، ولمقاماتها وشؤونها الإِلٰهيَّة خطورة خاصَّة ، ومن ثَمَّ لا بُدَّ أَنْ تُنَزَّل بعض شؤونها وتدبيراتها من ساحة القدس الإِلٰهيَّة بوحي مباشر من اللّـه جلَّ قدسه.

➢ **الأَمر التَّاسع والعشرون:**

من المُختصَّات الإلٰهيَّة للزَّهراء عليها السلام إدارة حكومات البشر إلى عَالَمَ القيامة

للزَّهراء عليها السلام أَدواراً وصلاحيَّات إلٰهيَّة خطيرة

أَحد الملفَّات السياسيَّة والشؤون والأُمور الَّتي أَوكلها اللّٰـه العزيز الجبَّار لفاطمة (صلوات اللّٰـه عليها) وولَّاها عليها من حين نزول مصحفها إلى عالم القيامة: إِدارة حكومات البشر في عَالَمَ الدُّنيا؟

وهذا ما يُوضِّح نُكتة اِطِّلَاع الباري عزوجل لها عليها السلام في مُصحفها على ملوك وحكَّام الأَرض.

بل خُصَّت عليها السلام بأَمر أَخطر من مُصحفها ، وما ذُكِرَ فيه ، وهو (اللوح الأَخضر)؛ فإِنَّ اللّٰـه جلَّ قدسه أَنزله على سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وخصَّه صلى الله عليه وآله بها (صلوات اللّٰـه عليها) ، وليس فيه حُكَّام الأَرض ، بل حُكَّام الدولة الإلٰهيَّة ، أَي: فيه أَسمآء الأَئمَّة الاثني عشر (صلوات اللّٰـه عليهم) ، وحُكم الإِمامة الإلٰهيَّة ومُلكها ، وهذا كاشف ودليل على أَنَّ لفاطمة الزهراء (صلوات اللّٰـه عليها) أَدواراً وشؤوناً ومناصباً وصلاحيات وأَسراراً إلٰهيَّة خطيرة لم تُعْطَ لسائر أَئِمَّة أَهل البيت وأَنبياء أُولي العزم الأَربعة فضلاً عن سائر الأَنبياء والمرسلين عليهم السلام ولم يطَّلعوا عليها. بل ورد في بيانات الوحي: أَنَّ الإِمام من أهل البيت عليهم السلام إِذا آلت النوبة لإِمامته فلا يحقُّ له إِلَّا فتح الكتاب الخاصّ به وبإِمامته ، ولا يُسمح له فتح كتاب إِمام آخر ، أَمَّا فاطمة عليها السلام فهي مُطَّلِعَة على جميع تلك الكُتُب ، وتقوم بدفعها إِلى أَئِمَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم).

وهذا ليس من عالم المجاملات ، بل بيان واقع تظهره السَّاحة الإلٰهيَّة.

نظيره: ما يحصل في عَالَمَ السياسة وعَالَمَ النِّظام القانوني؛ فإِنَّ الملفَّات الحسَّاسة والخطيرة لا تُعطىٰ إِلَّا لصاحب الموقعيَّة والصَّلاحيَّة.

ثالثاً: بيان الإمام الباقر عليه السلام ، عن زيد الشحام ، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾[1] قال: قلتُ: ما طعامه؟ قال: **علمه الَّذي يأخذه مِمَّن يأخذه**»[2].

الرَّابع: ما تماثلت فيه الكلمتين في الحروف الأَصليَّة ، أَي: ما عدا الحروف المُعتلَّة ـ الهمزة ، والأَلف ، والياء ، والواو ـ.

نحو: (قيوم: قيامة)[3] ، و (هو: هويَّة) ، و (موه: ماهيَّة).

---

(١) عبس: ٢٤.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢: ٩٦/ ح٣٨.

(٣) أَحد مفاتيح معرفة عَالَم القيامة: معرفة اسمه العظيم؛ فإِنَّه مفتاحٌ وحيانيٌّ ومعرفيٌّ عظيم جِدّاً ، ومعرفته توجب وتولِّد مكارم الأَخلاق وتُذيب الرَّذائل والحُجُب الظلمانيَّة والظلمات الأَخلاقيَّة والمعرفيَّة ، ويحصل للمخلوق عدم الإِحتجاب عن خالقه تعالىٰ ، وعدم الغفلة عنه جلَّ ذكره ، بل ويحصل له توجُّه شديد نحوه جلَّ ثناؤه ، وحينها تصير ذات المخلوق عَالَم نور.

وعَالَم القيامة عَالَمٌ بحدِّ نفسه؛ أَطول عمراً ، وأَعظم وأَشَدُّ قوَّة وقدرة من دون قياس من عَالَمنا الدُّنيويّ الأَرضيّ هذا ، بل هو عَالَم الحقيقة والجدّ والجهد والإِجتهاد. وعَالَمنا هذا عَالَم مُمهِّد لذلك العَالَم.

وهذا أَحد تأويلات كثير من بيانات الوحي المعرفيَّة الواردة في المقام ، منها :

١ـ بيان قوله تقدَّست أَسمآؤه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طٰه: ١٠٥ ـ ١٠٨].

فإنَّ المراد من الجبال في هذا البيان الإلٰهيّ ليست المادِّيَّة فحسب ، بل وجبال الأَنا والفرعونيَّة؛ وينكشف للإنسان في عَالَمَ القيامة: أَنَّ كُلَّ ما كان في عَالَمَ الدُّنيا من محاسبات زيف ووهم وخيال.

٢ـ بيان قوله عظمت آلاؤه: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

فإنَّه في عَالَمَ القيامة تُرفع الحُجُب ، وتُكشف الأَغطية ويتبيَّن: أَنَّ قِوَام كُلّ شيءٍ وتمام حقيقته قائم باللّـه ﷻ.

إِذَنْ: معرفة عَالَمَ القيامة وأَبوابه وفصوله وشجونه مشهد نوريّ.

ومنه تتَّضح: فلسفة بيانات الوحي المعرفيَّة الحاثَّة على الإِطِّلاع على المعارف الإلٰهيَّة ، ومعرفة الدِّين والشَّريعة ، ومعرفة أَحوال وشؤون العوالم لا سيما عَالَمَ القيامة وعَالَمَ الآخرة الأَبديَّة؛ وذلك لأَجل أَنْ تستنير ذات الإِنسان ، بل والإِنسانيَّة ، وعَالَمَ الدُّنيا ، ويُنشر ربيع السَّلام والمحبَّة والوئام في النَّشْأة الأَرضيَّة؛ ليصل الإِنسان إِلى الفرد الكامل ، والمدينة إِلى المدينة الفاضلة.

وبالجملة: لا يُمكن لِـمَنْ ينشد السَّلام والأَمن والعدل إِلَّا أَنْ يجعل معرفة عَالَمَ القيامة والمعاد أَساسه ، لأَنَّه بهذه المعرفة تنمحي الأَوهام الموجبة للظُّلم والعداوات والحروب ، وحينها يعمُّ السَّلام ورغد العيش.

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله علا ذكره: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

وهذه المعارف ليست تنظيرات وشعارات تجريديَّة فكريَّة ، وسحائب طوقيَّة فضفاضة ، بل معارف دخيلة في صميم كمال الإِنسان والمجتمع البشري وسعادته في دار الدُّنيا قبل الآخرة ، بل لها مسيس في فلسفة الحقوق والقوانين ، وفلسفة السياسة.

وإلى هذا أشارت بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام ، عن جابر ، قال: «قلتُ: جُعِلْتُ فداكَ ، لِمَ سُمِّي أَمير المؤمنين أَمير المؤمنين؟ قال: لأَنَّه يميرهم العلم ؛ أَمَا سمعتَ كتاب اللّـه عزّ وجلّ: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾[1] »[2] [3].

← **وعصارة القول**: أَنَّ لمعرفة عَالَم القيامة دخالة في الصلح والرَّبيع السياسي والإِقتصادي والحضاري ، وهلمَّ جرّاً ، بل وربيع الدُّنيا والآخرة ، وهذا ما يُشير إِليه أَحد تفاسير بيان قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

(١) يوسف: ٦٥.

(٢) بحار الأَنوار ، ٣٧: ٢٩٣/ ح٧. معاني الأَخبار: ٦٣. علل الشرائع: ٦٥.

(٣) ينبغي الإِلتفات في المقام إِلى القضايا التَّالية:

القضيَّة الأُولىٰ:

طريق ونهج أَهل الخلاف لإِبادة السُّنَّة الشَّريفة

توجد لدىٰ أَهل الخلاف كُتُب حديثيَّة وكُتُب تفسيريَّة ـ كتفسير الثعلبي ـ وكُتُب دورات رجاليَّة مخطوطة كثيرة ختموا عليها بعدم الطَّبع؛ لإِحتوائها على ذكر وفضائل وتراجم أَهل البيت عليهم السلام ورواة وفقهاء مدرستهم عليهم السلام ، وهذا من الأُمور الخطيرة (والعياذ باللّـه تعالىٰ) لإِبادة السُّنَّة الشَّريفة.

القضيَّة الثَّانية:

عتاب بيانات الوحي لِـمَن قصَّر في جملة علوم إِلٰهيَّة

إِنَّ ما ورد في بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ ←

[الأَعراف: ١٨٥] برهانٌ وحيانيٌّ يحمل في طيَّاته عتاباً لجملة البشر ـ إِلَّا أَصحاب البصيرة واليقين ـ؛ لتقصيرهم في علومٍ إِلٰهيَّة مُهمَّةٍ وعظيمةٍ وخطيرةٍ ومهولةٍ جِدّاً.

القضيَّة الثَّالثة:

فائدة زيادة معرفة المخلوق بأَهل البيت عليهم السلام

زيادة معرفة المخلوق بأَئمَّة أَهل البيت الأَطهار (صلوات اللّٰـه عليهم) يوجب علو مراتبه ودرجاته؛ وعلو تكامل جوهره.

القضيَّة الرَّابعة:

المواد الوحيانيَّة للتَّعرُّف على حقائق أَهل البيت عليهم السلام

من أَراد التَّعرُّف على البطاقة الشَّخصيَّة للإِمام عليه السلام فعليه: مراجعة إِضافة إِلى بيانات القرآن الكريم والروايات مراجعة بيانات الأَدعية والزيارات وهما الأَهم.

القضيَّة الخامسة:

فهم حقائق المعصومين عليهم السلام

إِنَّه لا يُمكن فهم ذوات المعصومين عليهم السلام من دون فهم مراتب الذَّات الواحدة ، ومراتب ذواتهم عليهم السلام فيما بينهم ، بل هذه القضيَّة تأتي في حقِّ جملة البشر.

القضيَّة السَّادسة:

خلقة أَهل البيت عليهم السلام النُّوريَّة على طبقات

إِنَّ أَنوار أَهل البيت عليهم السلام وخلقتهم النُّوريَّة على طبقات وعوالم إِلى ما شآء اللّٰـه تعالىٰ.

القضيَّة السَّابعة:

اِندماج هويَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وهويَّات سائر أَهل البيت عليهم السلام بعضها بالآخر

→ أَنَّ هويَّة سائر أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ليست منحازة عن هويَّة سيِّد الأَنبياء ﷺ ، بل مدمجة ومندمجة في هويَّة نبوَّته ﷺ ، وهويَّة نبوَّته ﷺ مدمجة ومندمجة ومعجونة في هويَّة العترة الطَّاهرة عليهم السلام ، والإِلتفات إِلى هذه القضيَّة أَمر بالغ الأَهميَّة والثمرة والخطورة.

القضيَّة الثَّامنة:

طريقة قراءة الظَّواهر السياسيَّة في حياة المعصوم عليه السلام وسيرته التأريخيَّة

إِنَّه يجب أَنْ لا تُقرأ الظَّواهر السياسيَّة في حياة المعصوم عليه السلام وسيرته التَّأريخيَّة بقراءة تاريخيَّة وسيرويَّة وسياسيَّة وقانونيَّة بحتة ، بل لابُدَّ من قرائتها بقراءة عقائديَّة ومعرفيَّة ، ومن البُعد العقائدي والمعرفي الإِلٰهي أَيضاً؛ وذلك لوجود جانب غيبيّ ، وجهة تكوينيَّة إِلٰهيَّة غير متناهية فيه عليه السلام.

القضيَّة التَّاسعة:

من أَوصاف أَمير المؤمنين عليه السلام: (ليث الحجاز وكبش العراق)

إِنَّ ما ورد في وصف الإِمام السَّجَّاد لجدِّه أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليهما) في بيان خطبته في مجلس يزيد: «... **ليث الحجاز ، وكبش العراق** ...» [بحار الأَنوار ، ٤٥: ١٣٩] برهانٌ وحيانيٌّ عظيمٌ ، مُشير إِلى مقامات رفيعة لأَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه)؛ فإِنَّ المُراد من هذه العناوين ليس تسمية الأَعلام ، بل إِشارة إِلى أُصولها الوصفيَّة؛ فإِنَّ المراد من عنوان (ليث): القوَّة والقدرة الفائقة ، والمراد من عنوان (الحجاز): الفاصل بين الإِسلام والكفر ، والمراد من عنوان: (كيش العراق): أَعراق الحضارات ، فالعراق سُمِّي بذلك لكثرة ما فيه أَعراق وحضارات ، ونُعِتَ أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) بهذا العنوان لدوره في تأسيس وإِقامة الإِسلام ودولته ، ولدوره عليه السلام أَيضاً في تأسيس وإِقامة الحضارات في عهد وظلِّ الإِسلام. ←

← **القضيَّة العاشرة:**

جزاء البيتوتة عند أَمير المؤمنين وسيِّد الشهداء عليهما السلام

ذكر ابن قولويه في كتاب كامل الزيارات ـ وهو كتاب عظيم وفيه أَسرار خطيرة ـ رواية بطريقين: «أَنَّ البيتوتة ليلة واحدة في كربلاء ثوابها أَفضل وأَعظم من ثواب ليلة القدر» وهذه بيتوتة عاديَّة ، بغضِ النَّظر عن التَّعَبُّد والصَّلاة والزيارة والدُّعاء والتهجُّد وسائر العبادات ، وإِلَّا فالأَمر أَعظم وأَخطر.

ومعناه: أَنَّه يصدر من قبر سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه) وتتنوَّر به أَرواح من جاور ضريحه المُقدَّس من المؤمنين ، بل هو معراج للملائكة فتتأَثَّر تلقائيّاً بجملة ذلك أَرواح المؤمنين شاؤوا أَم أَبوا.

لكن: قطع ابن قولويه تتمَّة هذه الرواية ، وذكر تمامها الشَّيخ آقا بزرك الطهراني في كتاب الذَّريعة في ترجمة كتاب: (مدينة العلم للشَّيخ الصدوق) وبسند آخر ، والتتمَّة هي: «أَنَّ المجاورة عند قبر أَمير المؤمنين عليه السلام ليلة واحدة أَفضل من عبادة سبعمائة عام» ، وهذه بيتوتة فحسب ، أَمَّا إِذا قُرنت بالعبادة والتهجُّد والصَّلاة والدُّعاء والزيارة كان الأَمر أَعظم.

فلاحظ :

روىٰ السقاقلي عن حفظه حديثاً للسيِّد عبد العزيز في فضل مجاورة أَمير المؤمنين عليه السلام ، نقله عنه السيِّد عبد العزيز بالمعنىٰ ، وهو: «أَنَّ مجاورة ليلة عند أَمير المؤمنين عليه السلام أَفضل من عبادة سبعمائة عام ، وعند الحسين عليه السلام أَفضل من سبعين عاماً». الذريعة ، ٢٠: ٢٥٢.

بعد الِالتفات: أَنَّ الثَّابت في بيانات الوحي وفتاوىٰ قاطبة علماء الإِماميَّة: أَنَّ الصَّلاة عند أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) تعدل مائتي أَلف ركعة ، بينما عند ←

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن مُحَمَّد بن مسلم ، قال: «سألتُ أَبا جعفر عليه السلام على قول اللّـه عزّ وجلّ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[1] ؛ كيف هذا النفخ[2]؟[3] فقال: إِنَّ الرُّوح مُتحرِّك كالرِّيح ، وإِنَّما سُمِّي رُوحاً ؛ لأَنَّه

← المسجد الحرام تعدل مائة أَلف ركعة. نعم ، الصَّلاة عند قبر سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله أَعظم أَجراً وثواباً من الصَّلاة عند قبر أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه).

(١) الحجر: ٢٩.

(٢) **ينبغي الإِلتفات**:

أَوَّلاً: أَنَّ أَجوبة أَهل البيت ، بل سائر كُمَّل المخلوقات من الأَنبياء والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام قد لا تكون بالضَّرورة على النقطة الَّتي يُريدها السَّائل؛ لكون ما ينبغي تسليط النَّظر عليه شيء آخر ، بل قد يكون التَّركيز على ما يُريده السَّائل شيء خاطئ.

ثانياً: أَنَّ بعض الأُمور والعلوم والمعارف الإِلٰهيَّة قد يطلبها الإِنسان من ساحة القدس الإِلٰهيَّة ، لكنَّه لا يعلم أَنَّها مُعيقة لكمالٍ أَعظم ، فمثلاً: يطلب من الباري تقدَّس ذكره أَنْ يُريه عَالَمَ الملكوت ، لكنَّه لا يعلم بأَنَّ هذا العلم قد يحجبه عن الأَعظم والأَكمل ، فالباري تعالىٰ إِذا كان حريصاً على هذا العبد ويريد إِيصاله إِلى مدارج عالية في العلم والفضيلة والكمال سيحرمه من تلك المرتبة؛ لأَنَّها ستسبِّب له حجاباً وعقبة وسجناً معرفيّاً.

(٣) **لا بأس بالإِلتفات**: أَنَّ البشريَّة لا زالت تخلط بين الشَّكِّ والتَّساؤل والفحص والتَّحقيق. وهذا الخلط وعدم التَّمييز داء ، بل من أَعتىٰ الإِنحرافات والهلكات العلميَّة الَّتي أُصيبت بها البشريَّة ، وستبقىٰ إِلى عَالَمَ القيامة ، وقد نبَّهت عليها بيانات الوحي وحذَّرت منها.

اشتقَّ اسمه من الرِّيح ، وإِنَّما أَخرجه على لفظة الرِّيح ؛ لأَنَّ الرُّوح مـجانس للرِّيح[(١)] [(٢)] ...»[(٣)] [(٤)].

---

(١) في الكافي: (الأَرواح مجانسة للرِّيح).

(٢) **يجدر الإلتفات**: أَنَّ ما صدر من معارف إِلٰهيَّة عن الإِمامين الهمامين السَّجَّاد وولده الباقر (صلوات اللّٰـه عليهما) مدرسة روحيَّة ورياضيَّة وعباديَّة ومعرفيَّة وفكريَّة عظيمة جِدّاً ، وفكر قلبي عظيم وخطير جِدّاً ، وباب نظام روحي مهول.

(٣) بحار الأَنوار ، ٥٨: ٢٨/ح١. معاني الأَخبار: ١٧. الكافي ، ١: ١٣١. الاحتجاج: ٧٦.

(٤) لا بأس بالإِلتفات في المقام إِلى الأُمور التَّالية :

الأَمر الأَوَّل:

التَّرابط بين الرِّيح والرُّوح وأَنَّ حقيقتيهما على طبقات

إِنَّ عنوان (الرِّيح) و(الهواء) لَـمَّا كانا حاكيين عن عوالم تكوينيَّة على طبقات من حيث الهول والعظمة ـ كما أُشير إِليها في بيانات الوحي ، فعنوان (الهواء) مثلاً حاك عن عوالم تكوينيَّة خطيرة جِدّاً ، منها: ١ـ تحت السَّمآء الأُولىٰ. ٢ـ فوق السَّمآء السَّابعة. ٣ـ تحت العرش. ٤ـ فوق العرش ـ كانت الرُّوح على طبقات مهولةٍ وعظيمةٍ أَيضاً؛ صعوداً ونزولاً. ولَـمَّا كانت الرِّيح والهواء في حالة تقلُّبٍ مُستمرٍ كانت الرُّوح كذلك.

التَّرابط بين معنىٰ: (الهواء) ، ومعنىٰ: (هوىٰ النَّفس)

ومنه يتَّضح: التَّرابط: بين معنىٰ: (الهواء) ، ومعنىٰ: (هوىٰ النَّفس) ، وجهة الشبه بينهما ، وهي: (البعثرة) و(الإِنْفِلات) ، وعدم: (الثبوت) ، و(الهدف) ، و(الإِستقرار).

←

والظَّاهر: أَنَّ هذه النُّكْتَة هي السَّبب الموجب للذَّم الوارد في بيان قوله تعالىٰ ذكره: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٢٤ـ ٢٢٦] وذلك لعدم وجود هدف ومقصد واضح ، بخلاف (الحكمة) ، ومِنْ ثَمَّ جَعل الإِمام الصَّادق عليه السلام بينهما مقابلة في بيان حديث (جند العقل والجهل) ، قال (صلوات اللّٰه عليه): «... **والحِكْمَةُ وضِدُّها الْهَوَاءَ** ...» [أُصول الكافي ، ١: ١٨/ح١٤] فإِنَّه رغم وجود تعدُّد وتنوّع في الحكمة ، لكنَّها تجري على وفق منهجة فاردة ونظام واحد ، ومن ثَمَّ أُطلقت على الحكمة النظريَّة وعلى المعارف الإِلٰهيَّة ، فإِنَّها ـ أَي: الحكمة ، والحكمة النَّظريَّة ، والمعارف الإِلٰهيَّة ـ تعني وضع الشيء في محلّه؛ وإِدراك الشيء على ما هو عليه من حقيقة.

وهذا المطلب ـ المُستفاد من علم الاِشتقاق؛ وإِنَّ الرُّوح اُشتقَّت من الرِّيح لفظاً ودلالة وتكويناً ـ أَحد المطالب والزوايا المُهمَّة الموضِّحة لحقيقة ذات الإِنسان؛ وأَنَّ لها أَرواحاً مُتعدِّدة؛ بحسب طبقاتها وطبقات العوالم ، ولكلٍّ منها أَعضاءها الرُّوحيَّة وحواسِّها الخاصَّة ، فلها: (سامعة) ، و(باصرة) ، و(لامسة) ، و(ذائقة) ، و(شامَّة).

وهذا ما يُؤيِّده الواقع الخارجي ، فـ: انفصام الشَّخصيَّة ، والإِزدواجيَّة ، والتَّوُّحد وغيرها من الأَمراض والحالات والظَّواهر شواهد صدق على أَنَّ للإِنسان مجموعة أَرواح ومنظومة قوىٰ ، والمهيمن عليها والجامع لها والمدبِّر لأُمورها ـ وهي خوادم له ـ ليس إِلَّا ذات حقيقة الإِنسان وعقله ، لكنَّه قد يصبح ـ هذا المهيمن والسيِّد ـ عبداً ذلولاً ومَسُوداً ، وذلك إِذا انساق وراء هواه ونفسه الأَمَّارة بالسوء.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **وكم عن عقل أَسير تحت هوىٰ أَمير** ...». بحار الأَنوار ، ٦٦: ٤١٠/ ح١٢٥.

ومن ثَمَّ تُعبِّر بيانات الوحي الإِلٰهيّ أَحياناً عن الرُّوح بـ: (القلب)؛ وذلك: لتقلُّب أَحوالها ، وهذا التقلُّب مُؤيِّد آخر على تعدُّد أَرواح الإِنسان.

ولَـمَّا كانت ذات الإِنسان ذات أَرواح مُتعدِّدة: تمرُّ على صاحبها شؤون وأَحوال يتقلَّب فيها حاله من حالةٍ لأُخرىٰ؛ فتارة تراه ملكاً عفيفاً رصيناً نورانيّاً ، وأُخرىٰ جنيّاً لم تضبط حركاته وسكناته ، وثالثه وحشاً كاسراً ، ورابعة حيوانيّاً شهوانيّاً بشدَّة وشراسة وهلمَّ جرّاً.

وهذه الأَرواح المُتعدِّدة إِنْ كانت تحت سيطرة الأَرواح النُّوريَّة الصَّاعدة ـ العقل العملي وما فوقه من طبقات ذات الإِنسان الصَّاعدة ـ كانت لطيفة ومُهذَّبة ونافعة ، وإِلَّا فلت زمامها ، وصارت غليظة وشرسة وشهوانيَّة ، ضارَّة ، ولا تنضبط بدينٍ ولا بشرعٍ ولا بعقل ، تعصف بأَصحابها ذات اليمين وذات الشَّمال.

الأَمر الثَّاني:

اِنبثاق جملة شؤون المخلوقات وأَحوالها من الذَّات المُقدَّسة

الثَّابت منطقيّاً وعقليّاً ، بل ومن ثوابت قوانين وقواعد عَالَم الخلقة: أَنَّ جملة شؤون المخلوقات وأَحوالها منبثقة من الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة.

الأَمر الثَّالث:

للمخلوق أَمثال في عَالَم الملكوت

الثَّابت في بيانات الوحي: أَنَّ لكُلِّ مخلوقٍ أَمثالاً في عَالَم الملكوت.

الأَمر الرَّابع:

طينة الشَّخص برج تحكُّم في طبقات أَرواحه

إِنَّ الطينة والنَّشْأَة والكينونة الأَصليَّة للرُّوح ـ والَّتي هي دون العرش ـ برج تحكُّم في جملة نَشَآت المخلوق ، وتتصرَّف فيه وفي طبقات روحه ، بل أَرواحه ، وتُمسك بما دونها من أَرواح الشَّخص الواحد.

الأَمر الخامس:

لتلطُّف طبقات الرُّوح أُطلق عنوانها على معانٍ مُتعدِّدة

إِنَّ عنوان ولفظ (الرُّوح) يُطلق على معانٍ مُتعدِّدة ، كحال عنوان ولفظ (الجسم اللَّطيف)؛ فإِنَّ اللَّطافة على مراتب ودرجات. ثُمَّ إِنَّه كُلَّمَا تلطَّف الشيء كُلَّمَا نفذ في ما دونه ، ويحسبه الأَغلظ أَنَّه مجرّدٌ تجرُّداً تامّاً؛ لتلطفه وسرعة حركته.

إِذَنْ: لتلطُّف طبقات حقيقة الرُّوح أُطلق عنوانها على معانٍ مُتعدِّدة.

حركة (كُنْ فيكون) حركة تدريجيَّة ومن عَالَمَ الأَجسام

وهذا ما يُوضِّح حقيقة فعل (كُن فيكون)؛ فمع أَنَّ الثَّابت لدىٰ أَصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة ـ كالفلاسفة والمُتكلِّمين والعرفاء ـ: أَنَّ فعل (كن فيكون) من عَالَمَ المُجرَّدات تجرُّداً تامّاً ، ومن ثَمَّ تكون حركته دفعيَّة ـ وليست تدريجيَّة ـ ، لكن الثَّابت في بيانات الوحي: أَنَّه من عَالَمَ الأَجسام ، فتكون حركته تدريجيَّة.

والنُّكْتَة: ما تقدَّم.

الأَمر السَّادس:

عَالَمَ (البرزخ) نازل وصاعد

الثَّابت في بيانات الوحي وبيانات اللُّغة العقليَّة في العلوم المختلفة: أَنَّ عَالَمَ المثال (البرزخ) ليس موجوداً في قوس الصعود فحسب ـ أَي: المصير إِلى اللّـه تعالىٰ ـ ، بل وموجود أَيضاً في قوس النُّزول الَّذي تُنزَّل الأَرواح فيه من عَالَمَ الملكوت إِلى عَالَمَ الدُّنيا.

إِذَنْ: الأَرواح تمرّ ببرزخ ومثال.

الأَمر السَّابع:

للجوامد أَرواح ونفوس ستُفعَّل في العوالم الصَّاعدة

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**إِنَّ اللّـه سبحانه تفرَّد في وحدانيَّته ، ثُمَّ تكلَّم بكلمةٍ فصارت نوراً ، ثُمَّ خلق من ذلك النُّور مُحَمَّداً وعليّاً وعترته عليهم السلام ... ثُمَّ خلق شيعتنا ، وإِنَّما سُمُّوا شيعة لأَنَّهم خلقوا من شعاع نورنا**»[1] .

→ يُعتقد في العلم الرُّوحي الغربي الحديث: أَنَّ للجوامد أَرواحاً ونفوساً ، لكنَّها ليست بمُفَعَّلة ، ويمكن لها أَنْ تُفَعَّل في يومٍ ما. وهذا ما دلَّت عليه بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تقدَّست أَسمآؤه: ﴿**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [فصلت: ٢١].

الأَمر الثَّامن:

مُصطلح: (تروُّح الجسم) و (تجسُّم الرُّوح)

المراد من تروُّح الجسم: تلطُّفه. ومن تجسُّم الرُّوح: تغلظها وتنزّلها إِلى جسمٍ أَغلظ.

الأَمر التَّاسع:

خلط جملة من الفرق بين المعارف الحقَّة والباطلة

خلط كثير من أَصحاب الفرق الباطنيَّة والصُّوفيَّة بين معارف وعقائد حقَّة؛ ومعارف وعقائد باطلة كالتناسخ.

الأَمر العاشر:

اِرتطام كثير من أَصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة بأَمراضٍ معرفيَّة

إِنَّ الخلط بين سبق خلق عَالَمَ الأَرواح على عَالَمَ الأَبدان والتَّناسخ الباطل أَحد الأَمراض المعرفيَّة؛ والدَّاء الدَّهياء الَّتي ارتطم بها جملة كثيرة من الفرق الباطنيَّة والعرفانيَّة والصوفيَّة وأَصحاب؛ الأَسرار ولم يتفطَّنوا إِليها.

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢٣ ـ ٢٤/ ح٣٩.

٤ـ بيان الإمام الرِّضا عليه السلام: «... **والعامَّة اسمٌ مشتقٌّ من العمىٰ ، ما رضي اللّـه لهم أَنْ شَبَّههم بالأَنعام حتَّىٰ قال: بل أَضلُّ سبيلاً**»[1].

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة.

الخامس: ما تماثلت فيه الكلمتين في حرفٍ واحدٍ.

مثاله :

أَوَّلاً: بيان الإمام الصَّادق عليه السلام عن سفيان الثوري ، قال: «قلتُ للصَّادق عليه السلام ، يابن رسول اللّـه ، ما معنىٰ قول اللّـه عزوجل: (الٓمٓ) ، و(الٓمٓصٓ) ، و(الٓر) ، و(الٓمٓر) ، و (كٓهيعٓصٓ) و(طٰه) و(طسٓ) و(طسٓمٓ) ، و(يسٓ) و(صٓ) ، (حمٓ) و(حمٓ عٓسٓقٓ) ، و(قٓ) ، و(نٓ)؟ قال عليه السلام: **أَمَّا (الٓمٓ) في أَوَّل البقرة فمعناه: أَنَا اللّـه الملك. وأَمَّا (الٓمٓ) في أَوَّل آل عمران فمعناه: أَنا اللّـه المجيد. و(الٓمٓصٓ) معناه: أَنا اللّـه المُقتدر الصَّادق. و(الٓر) معناه: أَنا اللّـه الرَّؤوف. و(الٓمٓر) معناه: أَنَا اللّـه المحيي المميت الرَّازق ...**»[2].

ثانياً: بيانه عليه السلام ، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ**﴾[3] قال: **(السَّمآء) في هذا الموضع: أَمير المؤمنين** عليه السلام ، **و(الطَّارق): ... الرُّوح الَّذي**

---

(١) بحار الأَنوار ، ١: ١٩٥ـ١٩٦/ح١٧.

(٢) المصدر نفسه ، ٨٩: ٣٧٣/ ح١. معاني الأَخبار: ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) الطارق: ١.

مع الأَئِمَّة عليهم السلام من عند ربهم مِمَّا يحدث بالليل والنَّهار ...»[١].

ثالثاً: بيان الإمام الرِّضا عليه السلام في تفسير بيان قوله جلَّ قدسه: «﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾[٢]، قال: (المساجد) الأَئِمَّة (صلوات اللّـه عليهم)»[٣].

رابعاً: بيان النَّاحية المُقدَّسة، عن سعد بن عبد اللّـه، قال: «سألت القائم عليه السلام عن تأويل (كهيعص)، قال عليه السلام: **هذه الحروف من أَنباء الغيب اطلع اللّـه عليها عبده زكريا ... فقال: كهيعص، فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة الطَّاهرة، والياء يزيد وهو ظالم الحسين، والعين عطشه، والصاد صبره ...»**[٤].

ودلالة الجميع واضحة.

خامساً: ما ذكره أَصحاب علم الاِشتقاق: أَنَّ بين لفظة: (ماء) أَي: (موه)، و(ماهيَّة)، و(الهواء) مادَّة مشتركة واحدة، وهي: (الهاء)[٥].

---

(١) بحار الأَنوار، ٢٤: ٧٠/ ح٣. تفسير القمي: ٧٢٠.
(٢) الجن: ١٨.
(٣) بحار الأَنوار، ٢٣: ٣٣١/ ح١٥. تفسير القمي: ٧٠٠.
(٤) بحار الأَنوار، ٤٤: ٢٢٣/ ح١. الإِحتجاج: ٢٣٩.
(٥) يبغي علماء الفيزياء؛ وعلماء العوالم الفيزيائيَّة النَّازلة في العصر الراهن: إِثبات رجوع الماء إِلى الهواء، والهواء إِلى الماء. ←

[مستويات الاِشتقاق اللَّفظي]

للاِشتقاق اللَّفظي عِدَّة مستويات ، منها:

المستوى الأَوَّل:

المستوىٰ الأَوَّل: المُشتقَّات المشهورة عند الصرفيين والنحاة ، وهي: تصريفات الفعل ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، وصيغ المبالغة ، والصِّفة المُشبهة ، واسم التَّفضيل ، واسما الزَّمان والمكان ، واسم الآلة.

ويلحق بهذا المستوىٰ:

أَوَّلاً: المصادر بأَنواعها ـ الأَصلي ، والميمي ، والصناعي ـ .

← وهذه منبِّهَات سفليَّة نازلة ، ونكتة مُهِمَّة ولطيفة تنفع ـ في أَبحاث أَلفاظ ومعاني وحقائق بيانات الوحي ـ مَنْ يبغي السباحة في بحور عوالم المعاني والحقائق بتوسِّط علم الاِشتقاق.

وَلَكَ أَنْ تقول: إِنَّ التأويلات الواردة في بيانات الوحي لا تُفهم إِنْ لم يكن الشَّخص مُطَّلعاً على علم الاِشتقاق.

ومن ثَمَّ ظنّ كثير من الَّذين لم يطَّلعوا على علم الاِشتقاق: أَنَّها تأويلات تعبُّديَّة لا تُفهم ، لكنَّ عُقدتها تُحلُّ بملاحظة علم الاِشتقاق؛ ضمن الموازين والضَّوابط العلميَّة ، فعلم الاِشتقاق ـ كسائر العلوم؛ كعلم: (الصرف) ، و(النحو) ، و(البلاغة) ـ له موازينه وأُسسه وضوابطه وقواعده العلميَّة الخاصَّة به ، نعم ، هذه الموازين والضوابط هجرت واندرست لهجران واندراس علم الاشتقاق. وهذا أَمر خطير؛ لكونه كسائر العلوم إِذا اندرس أَو هُجر أَحدها اندرست أَو هُجرت معه (والعياذ باللّـه تعالىٰ) ما يُناسبه من بيانات الوحي ، وسعة البحث ، ومِنْ ثَمَّ يؤثِّر بشكل أَساسيٍّ على قدرة وتبحُّر واجتهاد وفقاهة الفقيه والباحث والمستنبط.

ثانياً: اسما المرَّة والهيئة ، كـ: جَلْسة وجِلْسة.

ثالثاً: الصّيغ شبه القياسيَّة لمعانٍ معينة ، وهي كثيرة ، كـ: صيغة (فِعَال) لمعنىٰ الآلة ، كـ: سِرَاد ، وخِيَاط. وصيغة (فَعيل) للمشاركة ، كـ: أَكيل ، وشَرِيب. وصيغة (فَعُول) لإمكان إيقاع المعنىٰ الحرفي على الموصوف بها ، كما يُقال في ماءٍ: (شَرُوب) ، أَي: يمكن أَنْ يُشرب. وجمل (رَكُوب) ، أَي: يُمكن أَنْ يُرْكب ، بمعنىٰ: أَنَّه بلغت سِنَّه أَنْ يُستعمل للركوب ، أَو رُوِّض لذلك. وصيغة (فَعِيل) لمعنىٰ المفعوليَّة ، كـ: قَتِيل وجريح.

رابعاً: صيغتي التَّعَجُّب القياسيَّتين: (ما أَفعَله وأَفعِلْ به) ؛ فإِنَّهما موضوعتان للتَّعَجُّب من تحقُّق المعنىٰ الحرفي للفعل.

المستوى الثَّاني:

المستوىٰ الثَّاني: الأَفعال المزيدة ، أَي: الَّتي أُخِذَت من مُجَرَّداتها ، ووُضِعَت في صيغة مَزيدة ؛ لتُعَبِّر عن معنىٰ هذه الصيغة مع المعنىٰ الحرفي.

مثاله: «قرأ الكتاب» ؛ فإِنَّه يؤخذ من هذا الفعل أَفعال أُخرىٰ: كـ: أَقْرأه ، قَرّأه ، قارأه ، تَقَرّأ ، اقْتَرأ ، تقارءا ، استَقْرَأه ... ، فكُلٌّ من هذه الأَفعال مأخوذة من الفعل (قرأ) بمعناه الحرفي المشهور. فالفعل (أقرأه) ، على صيغة: (أفعل) ، وهي تعني في جملة ما صيغ عليها الجَعْل ، فتعني في الجعل: أَنَّ هناك شخصاً أَو شيئاً جعل شخصاً أَو شيئاً آخر يُؤدِّي الفعلَ بالمعنىٰ الحرفي لثلاثيِّة ـ يؤدِّيه أَو يقوِّيه أَو يوقعه على المفعول ـ فمعنىٰ قولكَ: «أَقرأ زيدٌ عمراً» أَنَّ زيداً جعلَ عمراً (يفعل) القراءة.

وعلى هذا قس سائر الصيغ. بعد الِالتفات: أَنَّ لكلِّ صيغةٍ أَكثر من معنىٰ ، كما هو معروف.

وغرضنا من هذه الأَمثلة: بيان أَنَّ الفعل في صيغته الجديدة ينصبّ على المعنىٰ الحرفي لصيغته الثلاثيَّة ، ولا يخالف ذلك المعنىٰ ولا يُغيِّره. فإِذا خالفه أَو غيره بأَنْ قيل: «أقرأه السلام عليه» أَو أُستعمل: (تقرّأ) بمعنىٰ: تَنَسَّك ؛ خرج من كونه اشتقاقاً لفظياً. فإِنْ رُدَّ (إِقراء السَّلام) إِلى قراءة الكتاب كان اِشتقاقاً دلالي ، وليس لفظيّاً.

والتقرؤ بمعنىٰ التَّنَسُّك ليس من القراءة في شيءٍ ، ومِنْ ثَمَّ لا يكون اِشتقاقاً لفظيّاً ولا دلاليّاً. نعم هو اِشتقاق دلالي من القُرء ، بمعنىٰ: (اختزال الدَّم) ؛ وذلك إِذا اعدناه إِلى المعنىٰ العام للتركيب ، وهو: جمع الشيء في الباطن إِلى أَجلٍ يخرج بعده.

ثُمَّ إِنَّ استيفاء دراسة الصيغ[1] وضوابط صوغها لمعانيها من حيث حصر الصيغ نفسها ، وبيان المعاني الَّتي تُستعمل لها كلُّ صيغةٍ ، ومن حيث مدىٰ قياسيَّة كلّ صيغةٍ في معانيها ، والعلاقة بين معاني كلّ صيغةٍ ، ومن حيث نيابة الصيغ بعضها عن بعضٍ ، وما إِلى ذلك هو عمل جليل ، وكثير من جوانبه متاح ، ولو بذل الصرفيُّون فيه شطر ما يَبذلون في دراسة الإِعلال والإِبدال لأتوا بخير كثير.

---

(١) تبلغ صيغ العربيَّة في إِجمالها نحو أَربع مائة صيغة ، لكن لم تُحدَّد معانيها ـ سوآء أَكان في كُتُب الصرف وغيرها ـ إِلَّا نحو سبعين صيغة ، مع أَنَّ هذا من صميم عمل اللغويِّين عامَّة والصرفيِّين خاصَّة.

المستوى الثَّالث:

المستوىٰ الثَّالث: الإِشتقاق من اسم العين لـمعنىٰ الصيغة في اسم العين ، وليس هو إِشتقاق لصفات وخصائص اسم العين.

إِذَنْ: يقصد في هذا المستوىٰ من الإِشتقاق اللَّفظي أَسمآء الأَعيان بذواتها ـ وهي: أَسمآء المُسمَّيات ماديَّة أَو حسيَّة ـ لا بصفاتها ولا بخصائصها.

مثاله: قولهم في المُشتق من الإِبل: «أَبَّل الرَجُل» ـ بالتَّضعيف ـ أَي: كثرت إِبله. و: «تأَبَّل الرجل» ـ بالتضعيف أَيضاً ـ بمعنىٰ: اتَّخذ الإِبل ، أَي: اقتناها.

ويجدر الإِلتفات :

أَوَّلاً: أَنَّ هذا المستوىٰ من الإِشتقاق اللَّفظي فاشٍ جِدّاً في إِستعمالات اللُّغة العربيَّة.

ثانياً: أَنَّ هذا المستوىٰ من الإِشتقاق يأتي على صيغٍ كثيرةٍ لمعان كثيرةٍ ، لكنَّه يحتاج إِلى تقعيد من حيث قياسيَّة الصَّوْغ ، ومعاني الصيغ المصوغة.

المستوى الرَّابع:

المستوىٰ الرَّابع: الإِشتقاق الصوتي ، وهذا النحو من الإِشتقاق اللفظي قائم على صوغ اسم أَو فعل من حكاية صوت ، من أَجل التَّعبير عن صدور هذا الصوت أَو ترديده.

مثاله: (أَفَّف بفلان) ، أَي: قال له: «أُفّ» ، و(رَجُلٌ أَفَّاف) ، أَي: كثير

التأفف. و(رَجُلٌ أَفَّ ويَئِفٌّ) ، أَي: قال: «أُف» من كَرْبٍ أَو ضَجَر.

وهذه وغيرها الكثير مشتقَّات لفظيَّة صوتيَّة وأَسمآء وأَفعال أُخذت من أَلفاظ مصوغة لـحكاية أَصوات تصدر من الإِنسان وغيره لأُمورٍ مُتنوِّعةٍ ، معظمها للزَّجر ، ومنها: ما هو حكاية لأَصواتٍ تلازم بعض النَّاس عند كلامهم ـ كـ: الفأفأة ، والتأتأة ، والظأظأة ـ. ومنها: ما هو حكاية لـمقاطع تصدر منهم في ظروف مُعيَّنة ـ كـ: الـجَهْجَهـة ، والعطعطة ـ. ومنها: ما هو حكاية لأَصوات الحيوانات ـ كـ: الصَّئِـيّ ـ.

[الاِشتقاق الدلالي ومستوياته]

تعريف الاِشتقاق الدلالي:

تقدَّم تعريف الاِشتقاق الدلالي ضمن التَّعريف العام للاِشتقاق ؛ وأَنَّه: «الاِشتقاق الَّذي يُقصَد به اِستحداثُ كلمةٍ جديدة المعنىٰ من كلمة أُخرى (أَو كشف الرَّبط الاِشتقاقي بين كلمتين أَو أَكثرٍ) مع تناسب الكلمتين في المعنىٰ ، وتماثلهما في الحروف الأَصليَّة ومواقعهما في الحالتين».

والمراد من: «استحداث كلمةٍ جديدة المعنىٰ» أَي: كون المعنىٰ الحادث ليس هو عين المعنىٰ الحرفي للمأخذ ـ على ما هو الحال في الاِشتقاق اللَّفظي ـ وإِنَّما هو جديد أَي: مختلف ـ وإِنْ كان بأَدنىٰ اِختلاف ـ عن المعنىٰ الحرفي للمأخذ.

والمراد من: (تناسب الكلمتين في المعنىٰ) أَي: كون المعنىٰ الجديد من جنس معنىٰ المأخذ ، يؤخذ منه ماديّاً أَو معنويّاً.

مثاله: اشتقاق معنى كلمة: (العِلْم) ، فإِنَّ معناها مأخوذ من معنىٰ كلمة: (العَلَم) ومرادفاته العقليَّة ، كـ: معنىٰ: (الراية) و(الجَبَل الطويل) ، و(العَلَامة) ، و(المنار)[1] . وجميعها تُتَّخذ دليلاً للدلالة على أَمر مُعيَّن ، كـ: اِتِّجاه الطَّريق. هكذا معنىٰ: (العِلْم) ؛ فإِنَّه دليلٌ على أَمر ما.

مثال آخر: اِشتقاق معنىٰ كلمة: (المعرفة) ، فإِنَّ معناها مأخوذ ومُشتق

---

(١) المنار: شيءٌ يُنصب في الفلوات لتهتدي به الضَّالَّة.

بالإِشتقاق الدلالي من: (عُرف الديك والدابة) ، من حيث إِنَّهما زيادتان ظاهريَّتان تُمثِّلان ملامح ظاهريَّة مُميِّزة ، هكذا (المعرفة) ، فإِنَّها تنصبّ على الملامح الظَّاهريَّة المُميِّزة للشيء.

[مستويات الاِشتقاق الدلالي]

للاشتقاق الدلالي مستويات ، وهي:

المستوى الأَوَّل:

المستوىٰ الأَوَّل: الاِشتقاق الجزئي أَو الرَّبط الجزئي. وفي هذا المستوىٰ ينصَبُّ الأَخذ الاِشتقافي أَو الرَّبط الاِشتقاقي على كلمتين بأَعيانهما من جهة المعنىٰ ؛ فإِحدىٰ الكلمتين هي المأخذ ، والأُخرىٰ هي الكلمة المُشتقَّة سواء استحدثناها (أَخذاً) أَو وجدناها (ربطاً).

وسُمِّي هذا النحو من الاِشتقاق الدلالي (اِشتقاقاً جزئيّاً) وذلك لقصر النظر فيه على المأخذ والمُشتق ؛ دون النَّظر إِلى شقائق المأخذ ، أَي: دون النظر إِلى سائر مفردات جذر المأخذ واِستعمالاته.

وأَساس قصر النَّظر هذا هو وضوح ملمح في المأخذ عند اللُّغوي ، فيصوِّب اللُّغوي إِليه النظر ؛ ليأخذ منه معنىٰ جديداً مناسباً له ؛ لأَنَّ هذا المعنىٰ هو الَّذي يُراد استحداث لفظ له ، أَو يُراد بيان ارتباطه بلفظ آخر.

ومن أَمثلة الاِشتقاق في هذا المستوىٰ ما نلمحه من الاِرتباط بين اِستعمالين أَو اِستعمالات من تركيبٍ واحدٍ ؛ كـ: الاِرتباط بين (السَّمَك) وبين (السِّماك) ؛ بتحقيق معنىٰ الرَّفع والاِرتفاع ؛ فإِنَّ (السَّمَك) يعوم ولا يرسب إِلى القاع كَرها ، والعوم: اِرتفاع. و(السِّماك) آلة لرفع السَّقف.

والاِرتباط بين (المَرَق) و (مُروق السهم) ؛ بتحقُّق معنىٰ النفاذ من

أَثناءٍ ؛ فَإِنَّ (المَرَق) ينفذ من أَثناء اللحم. و(السهم) ينفذ من أَثناء الرَّمِيّة.

والإِرتباط بين (القَمَر) و(المقامرة) ؛ بتحقُّق معنىٰ التزايد شيئاً فشيئاً ؛ فإِنَّ (القَمَر) يتكامل ويزداد جرمه ليلةً بعد أُخرىٰ ، أَي: شيئاً فشيئاً. و(المقامر) يحاول ضمّ مالِ صاحبه إِلى مال نفسه مرَّة بعد أُخرىٰ ، ليزداد شيئاً فشيئاً.

والإِرتباط بين (الحَجَر) و(الحُجْرة) ؛ بتحقُّق معنىٰ امتناع الإِختراق والإِقتحام في كُلٍّ منهما.

والإِرتباط بين (القَصْر) ـ المسكن الخاص ـ و(القَصِير) ـ وَصْفاً ضدَّ الطَّويل ـ ؛ بتحقُّق معنىٰ عدم الإِنبساط في كُلٍّ منهما ؛ فإِنَّ (القَصْر) لم يُباح ولا يتَّسع لآخرين. و(القَصير) ليس له إِمتداد طولاً.

والإِرتباط بين (الحِصْن) و(الحِصَان) ؛ بتحقُّق معنىٰ الحِماية والإِمتناع به في كُلٍّ منهما.

وهذا النحو من الإِشتقاق ورد في جمٍّ غفير من بيانات الوحي ، منها: ما تقدَّم في مبحث: (أَنواع الإِشتقاق) ، ويضاف إِليها:

أَوَّلاً: بيان الحديث القدسي الوارد في حقِّ الرَّحِم: «**أَنا الرَّحمان وهي الرَّحِم ، شققتُ لها اسماً من اسمي ، مَن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته**»[1].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٣: ٢٦٦/ ح١٢.

ودلالته واضحة ؛ فإنَّ اِشتقاق (الرَّحِم) من (الرَّحمان) اِشتقاق دلالـي ؛ لأَنَّ الرَّحم اسم عين ، والمعنىٰ الَّذي فيه من الرَّحمة هو الأَصل المادي المُتَمَثِّل في سعة الأَثناء أَو الباطن مع الرِّقَّة.

ثانياً: بيان تفسير الإِمام الرِّضا عليه السلام ، عن فضالة بن أَيُّوب ، قال: «سُئِلَ الرِّضا (صلوات اللّـه عليه) عن قول اللّـه عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[1] ، قال عليه السلام: **ماؤكم: أَبوابكم الأَئِمَّة ، والأَئِمَّة أَبواب اللّـه ، ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ يعني: يأتيكم بعلم الإِمام**»[2].

ثالثاً: بيان الإِمام الهادي عليه السلام: «... **والعامَّة اسمٌ مشتقٌّ من العمىٰ ، ما رضي اللّـه لهم أَن شبَّههم بالأَنعام حتَّىٰ قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾**[3]»[4].

رابعاً: ما رواه الصَّدوق في الفقيه وثقة الإِسلام في الكافي: «قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾[5] ، الطَّاغوت: مشتقٌّ من الطغيان ، وهو: الشَّيطان أَو الأَصنام أَو كلّ ما عُبِدَ مِنْ دون اللّـه ، أَو

---

(١) الملك: ٣٠.
(٢) بحار الأَنوار ، ٥١: ٥٠/ح٢١.
(٣) الفرقان: ٤٤.
(٤) بحار الأَنوار ، ١: ١٩٥ ـ ١٩٦/ح١٧.
(٥) النساء: ٦٠.

صَدّ عن عبادة اللّـه»[1].

المستوى الثَّاني:

المستوىٰ الثَّاني: (التَّأصيل) ، أَي: الرَّبط الإِشتقاقي الشَّامل بمعنىٰ محوري عام ، أَي: دوران إِستعمالات الجذر على معنىٰ.

إِذَنْ: حقيقة هذا المستوىٰ تدور مدار ربط جملة إِستعمالات الجذر الواحد بمعنىٰ عام ، تدور عليه ، وترجع إِليه.

وسُمِّي: (تأصيلاً) ؛ وذلك لتصوُّر: أَنَّ المعنىٰ العام هو المعنىٰ الأَصلي ؛ أَي: الأَوَّل للجذر ، أَي: لتصوُّر: أَنَّ أَقدم لفظ وُجِدَ من هذا الجذر كان يُعبِّر عن هذا المعنىٰ. وأَساس هذا التصوُّر: أَنَّ كافَّة إِستعمالات الجذر تحمل هذا المعنىٰ ، أَو تؤول إِليه.

وقد أثبت الإِستقراء ـ من خلال فحص معاني أَكثر من أَلفين من الجذور ؛ من حيث العلاقات بين معاني إِستعمالاتها ـ صحَّة هذا الأَساس.

ومنه يتَّضح: أَنَّ ربط جملة إِستعمالات الجذر بمعنىٰ محوري ترجع إِليه هو عمليَّة تجميع لهذه الإِستعمالات إِلى معنىٰ ، في حين أَنَّ الإِشتقاق ـ كما تقدَّم ـ هو: تفريع ؛ لأَنَّه: إِمَّا استحداث لفظ لم يكن ـ وهذا تفريع صريح ـ وإِمَّا كشف للعلاقات الإِشتقاقيَّة الَّتي استُحدثت الأَلفاظ التَّالية للأُصول في حين سابق بناءً عليها ـ وهذا كشف لوجه التفريع ـ.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ٢٢٢.

وعليه: كيف يَحقُّ لهذا المستوىٰ ـ أَي: التَّأصيل ـ أَنْ يُجعل نحو ونوع من أَنحاء وأَنواع الاِشتقاق الدلالي.

والجواب: إِنَّما جُعل هذا النحو اِشتقاقاً ـ مع أَنَّه تجميع ـ وذلك ، لوجوه ، منها:

أَوَّلاً: أَنَّ هذا المستوىٰ قائم على كشف العلاقات الاِشتقاقيَّة بين اِستعمالات الجذر ، وقد تبيَّن ـ فيما تقدَّم ـ: أَنَّ كشف العلاقات الاِشتقاقيَّة ممارسة لشطر الجهد الاِشتقاقي ، وهو شطر معنىٰ الاِشتقاق أَيضاً.

ثانياً: أَنَّ هذه الممارسة تُربِّي القدرة على التَّعرُّف على المعنىٰ الاِشتقاقي ، وعلى الملاحظة الاِشتقاقيَّة من خلال المعاني المعجميَّة.

والمعاني الاِشتقاقيَّة والمُلاحظ المكونة لها هما من أَهم ركائز الرَّبط الاِشتقاقي الصَّحيح.

ثالثاً: أَنَّ كشف العلاقات الاِشتقاقيَّة والمعاني الاِشتقاقيَّة وملاحظتها والتمهر فيها أَهم مُؤهِّل لِاستحداث الأَلفاظ بالاِشتقاق ، بل هي أَساسيَّة في الاِشتقاق الدلالي الجزئي بوجهيه ـ ١ـ استحداث المشتقات. ٢ـ كشف الرَّوابط ـ.

رابعاً: أَنَّه تنبني على هذا المستوىٰ: القدرة على صياغة المعنىٰ الأَصلي ـ العام أَو المحوري ـ صياغة دقيقة. والصياغة الدَّقيقة للمعنىٰ الأَصلي ـ العام أَو المحوري ـ تفيد في القدرة على الاِستحداث الاِشتقاقي ، وفي تحرير معاني

المستحدثات الإِشتقاقيَّة ، مضافاً إِلى فائدتها في تحرير المعاني المعجميَّة.

وبالجملة: أَنَّ هذا المستوىٰ من الإِشتقاق الدلالي وكافَّة تفاصيله: عمليَّات إِشتقاقيَّة ، فيكون من صميم مستويات الإِشتقاق الدلالي ؛ مع أَنَّ مساره إِلى التَّجميع يبدو عكس الإِشتقاق الَّذي هو تفريع.

مثاله: الجذر (سنن) ؛ فإِنَّ كافَّة إِستعمالاته ترتبط بمعنىٰ عام ومحوري ، وهو: امتداد الشيء بدقَّة وقوَّة وحِدَّة ؛ يمكن أَنْ ينفذ في ما يُقصد به ، كـ: (السِّنِّ) ـ مفرد أَسنان ـ فإِنَّه يمتدُّ حادّاً وينفذ في المأكول. وكـ: (سِنان الرمح) ؛ فإِنَّه حديدة دقيقة وقويَّة وحادَّة ؛ تمتدُّ في مُقدِّمة الرمح وتنفذ في الضَّريبة. ومن ثَمَّ سُمِّيت الفئوس السِّنَن ، وكذا سمي سِنّ المنجل ، وسِنّة المحراث. ومن معنىٰ الحِدَّة قالوا: «سَنَّ الحديدةَ». ومن الإِمتداد المذكور: قولهم:

١ـ السَّنِينة: رمال تستطيل على وجه الأَرض ، كهيئة الجبال من الرمل.

٢ـ السَّنَنُ: الطريق. وكذا السُّنَّة.

والإِمتِدَاد واضح فيهما. بل إِمتِدَاد الطريق متميّزاً بين ما يحيط به يُعدُّ نفاذاً أَيضاً.

ومن (السُّنَّة) بمعنىٰ: الطَّريق أُخذت السُّنَّة بمعنىٰ الطَّريقة الَّتي تُتَّبَع ، سواء أَكانت تلك السُّنَّة والطَّريقة: ديناً ، أَو عادةً ، أَو سلوكاً ، أَو نصوصاً تقود إِلى ذلك.

٣ـ سَنَّوا المالَ: أَرْسَلُوه في المرعىٰ.

والمراد من المال ـ هنا ـ: الإبل وما شاكلها.

ومعنىٰ: (إرسالها في المرعىٰ): إطلاقها فيه ترعىٰ كما تشاء. وهذا اِمتِدادُ تسيُّب وعدم تقيُّد.

٤ـ سَنّ عليه الدرع: صبها.

والمقصود بالدرع هنا: القميص الحديدي المُكوَّن من حلقات دقيقة سهلة الحركة ، فإذا وضعها لابسُها في عنقه وكتفيه اِسترسلت ـ بسبب ثقلها ـ إلى غاية طولها ، محيطةً به. وهذا اِمتداد أيضاً ، وهو في وسطها نافذ فيها.

٥ـ سَنَّت الدَّمعَ العينُ: صبَّته ، أي: كان نزوله مسترسلاً متوالياً نفاداً واِمتداداً.

٦ـ حَمأ مسنون: مصبوب على سُنَّة الطَّريق.

والإِنْصِبَاب نفسه نفاذ واِمتداد من مصدر الإِسقاط إلى نهاية الاِمتداد أو المقر.

٧ـ طعنة جاء منها سَنَنٌ يدفع كُلّ شيءٍ: إذا خرج الدَّم بحَمْوته. ومِنْ ثَمَّ يكون الدَّم نتيجة إنفجاره مبتعداً وممتدّاً. وهذا اِمتداد مع نفاذ من البدن.

٨ ـ سَنَّ الإبل: ساقها سَوْقاً سريعاً ممتدّاً.

٩ـ تسننَ في عدوه واستنَّ: مضىٰ على وجهه. وهذا امتداد ونفاذ.

١٠ـ جاءت الرياح سنائن: إذا جاءت على وجهٍ واحدٍ ، وطريقةٍ

واحدةٍ لا تختلف ، واستمرار هبوبها وإمتداده في اتِّجاهٍ واحدٍ بعينه.

١١ـ سانّ البعيرُ النَّاقَة: طَرَدَها وجرىٰ وراءها مسافة حتَّىٰ يُنوِّخها ليَسفِدها.

ونظراً لكثرة مسائل هذا المستوىٰ من الإشتقاق الدلالي وتميُّزها سيأتي (إنْ شاء اللّـه تعالىٰ) ، مزيد بيان عن هذا المستوىٰ في المنفعة التَّاسعة من منافع دراسة علم الإشتقاق ، تحت عنوان: (قيم التَّأصيل ، ومنافعه ، وصعوباته) ، فانتظر هنيئة.

[أَمثلة لتأكيد التَّمييز بين الاِشتقاق اللفظي والاِشتقاق الدلالي الجزئي]

وللتوضيح أَكثر ، ودفعاً للتوَهُّم والخلط والاِشتباه بين الاِشتقاق اللَّفظي والاِشتقاق الدلالي الجزئي من نفس التَّراكيب نأتي بالأَمْثِلَة التَّالية:

الأَوَّل: (البُسر) ـ وهو: التمر قبل أَنْ يرطب ، والعرب تعدّه غضّاً لم يبلغ النضج ، ومن ثَمَّ يُطلق (البُسر) على: «الغضِّ مِنْ كُلِّ شيءٍ» ، أَي: ما كان في أَوَّل أمره ـ وقد اُشتقّ منه قولهم: «أَبسر النخل» ، أَي: حمل البُسر. وهذا اِشتقاقٌ لفظيّ ؛ لأَنَّه صيغ للتَّعبير عن أَمرٍ ينصبّ على اسم العين ـ البُسر ـ بذاته.

ومن جهة أُخرىٰ قالوا: «بَسَرَ القُرْحَة» ، أَي: نكأها قبل النضج. وقالوا: «بَسْرَتُ غريمي» ، أَي: قاضيتُه وطلبت منه ردَّ ما عليه من الدَّين قبل الوقت المُحدَّد للسداد. وقالوا: «بَسَرَ الرَّجُلُ حاجته» وابتسرها وتَبسَّرها ، أَي: طلبها في غير أَوانها. ومن الواضح أَنَّ هذه الأَمثلة وما جرىٰ على شاكلتها إِنَّمَا اُشتقَّت من (البُسْر) ـ أَي: البلح وكُلّ غضٍّ ـ لكن لا من جهة لفظه ، بل من جهة صفة الغضوضيَّة ، أَي: كون الشيء في مرحلة ما قبل النضج ، أَي: قبل أَنْ يستحقَّ ويصلح للأَكل. وهذه الصِّفَة هي الملاحظة في اِشتقاقات هذه الأَمثلة ؛ فتكون اِشتقاقاتها اِشتقاقات دلاليَّة جزئيَّة.

المثال الثَّاني: (البَرَد) ، وهو: حَبُّ الغَمام ، وقد اُشتُقَّ منه فعل: (بُردت

الأَرض) ، أَي: أَصابها البَرَد ، وفعل: (بُرد القوم) ، أَي: أَصابهم البَرَد. ومن الواضح: أَنَّ هذه اِشتقاقات لفظيَّة ؛ لأَنَّ هذين الفعلين مصوغان للتَّعبير عن أَمرٍ ينصبُّ على اسم العين ـ البَرَد ـ نفسه.

ومن جهة أُخرىٰ يُشتقُّ منه (البَرْد) ـ ضدَّ الحرّ ـ فيقال: «كان البَرْدُ قارِساً فوق الجَبَلِ» أَي: طقس باردٌ. و«بَرْد الحديد» ، أَي: سَحْله.

وهٰذان المثالان مُشتقَّان من (البَرَد) من حيث ما فيه من تماسك الماء السائب وتجمُّده وتقلُّصه ؛ لأَنَّ (البَرْد) ـ ضد الحر ـ يجعل الشيء يتداخل بعضه في بعضٍ ، ويكفّ انتشارَه وتسيُّبه ، وقد يتجمَّد ويتصلَّب. ويُقصد من (بَرْد الحديد بالمبرد): تسويته بسَحْل النُّتُوءات الَّتي تجعل ظاهره مُشعَثاً مُنتشراً ، وبالسَّحْل يتقلَّص حجمه الحقيقي ، كما أَنَّ سَحْل شَعَثه الَّذِي يُبديه مُنْتَشِراً يُقلِّصه أَيضاً. وهذا اشتقاق دلاليٌّ جزئيٌّ ؛ لأَنَّه أُخذ من المعنىٰ الحرفي لاسم العين ، وما في مُسمَّاه من ملحظٍ أَو معنىٰ اِشتقاقي ـ وهو ـ في هذين المثالين ـ: التَّداخل والتَّجمُّد والتقلُّص ـ والَّذي هو سرُّ التَّسمية.

المثال الثَّالث: (البحر) ، وقد اُشتقّ منه قولهم: «ابحر الرَّجُلُ» ، أَي: ركب البحر. وهذا اِشتقاقٌ لفظيٌّ ؛ لأَنَّه مصوغ للتَّعبير عن أَمر ينصبّ على نفس اسم العين ـ البحر بحسب المثال ـ.

ومن جهة أُخرىٰ قالوا: «استبحر المحل» ، أَي: اتَّسع. و«استبحر الرَّجُلُ في المال وتبحْر» ، أَي: انبسط واتَّسع ماله. و «تَبَحَّر فلان في العلم واستبحر» ، أَي: تَعمَّق وتوسَّع في العلم. وهذه وما شاكلها اِشتقاقات

دلاليَّة جزئيَّة ؛ لكون هذه الإستعمالات لم يُؤخذ في معناها اسم العين ـ أَي: البحر بحسب المثال ـ بذاته كما حصل ذلك في الجهة الأُولىٰ ، وإِنَّما أُخذ فيها وروعي في تسمية البحر: الملحظ الأَساسي ؛ والمعنىٰ الإِشتقاقي في البحر ، وهو: كونه شقّاً واسعاً.

المثال الرَّابع: (الإِبل) ؛ فإِنَّهم من جهة قالوا: «أَبَّل الرَّجُلُ» ، أَي: كثرت إِبله. و «تأَبَّل الرَّجُلُ» ، أَي: اقتنىٰ الإِبل. وهذان إِشتقاقان لفظيَّان ، كما هو واضح.

ومن جهة أُخرىٰ قالوا: «أَبَل الرَّجُلُ عن امراته وتأبل عنها» ، أَي: امتنع من غشيانها ـ لحزن أَو غيره ـ. وهذا إِشتقاق دلاليّ جزئيّ ؛ لأَنَّه مأخوذ من المعنىٰ الإِشتقاقي أَو الملحظ الإِشتقاقي الَّذي من أَجله سُميت الإِبل إِبلاً ، وهو: صبرها عن الماء ، فقد يصل تحمُّلُها العطش إِلى عشرين يوماً متوالية من دون شرب. ويؤخذ من إِستعمالات (أَبل) أَنَّهم فسَّروا صَبْرَها على العطش بـ: (أَنَّها تختزن الماء في أَجوافها) ـ ولعلَّ ذلك هو الَّذي شجَّعهم أَحياناً على خزن الماء في أَجوافها خزناً حقيقيّاً ، كما حدث ذلك في إِتِّجاه جيش المسلمين من العراق إِلى الشَّام عبر الصحراء ـ. وعليه: قالوا ـ في المثال المُتقدِّم ـ: «أَبَل الرَّجُلُ عن امرأته وتأبل عنها» بالمعنىٰ المُتقدِّم ؛ لأَنَّ خلاصة معنىٰ ذلك: أَنَّهُ إِخْتَزن ماءه ؛ أَي: لم يسفحه.

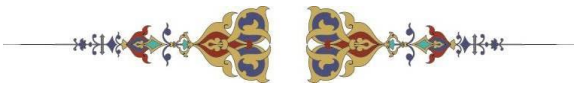

[منافع دراسة علم الاِشتقاق]

لدراسة علم الاِشتقاق والإِحاطة به منافع [1] عِدَّة ، منها:

الأُولَىٰ: أَنَّ الاِشتقاق هو أَهمُّ وسيلة لِاستحداث الأَلفاظ لَـمَا يُستحدث من المعاني.

واستحداث الأَلفاظ هو أَهَمُّ ما يُعين اللُّغة على أَداء وظيفتها الأَساسيَّة ؛ وهي التَّعبير عن المعاني والأَفكار والتَّمكين من تداولها ، ومن سائر الأَغراض.

بعد الاِلتفات: أَنَّ سيل المعاني والفِكَر الجديدة لن يتوقَّف ولن ينتهي عند حدٍّ أَبداً عبر جملة العوالم ولدىٰ كافَّة المخلوقات العاقلة ، سوآء أَكانت تلك المعاني مصنوعات ومبتكرات تحتاج إِلى أَلفاظٍ تُسمِّيها ، أَو كانت فِكَراً وخواطرَ وتكييفاتٍ تولِّدها العقول ؛ وتتوقَّ إِلى تصيُّدها وتقييدها في قوالب أَو صياغات لفظيَّة تُعبِّر عنها ، وتتمكّن من نقلها والتَّعامل بها. وبهذا الاِستحداث للأَلفاظ تتمكَّن اللُّغة الَّتي تتوافر لها إِمكانيَّة الاِستحداث بيسر مجارات الحياة المُتطوِّرة والمُتغيِّرة ، ومن ثَمَّ تستطيع أَنْ تبقىٰ.

بعد الاِلتفات: أَنَّ بقاء اللُّغة من أَهَمِّ مُقوِّمات بقاء أَهلها مُتميِّزين

---

(١) **ينبغي الاِلتفات**: أَنَّ منفعة العلم وإِنْ كانت تُذكر في مُقدِّماته كأَحد الرؤوس الثمانية ، لكنَّنا فضَّلنا ذكر منافع علم الاِشتقاق في الخاتمة؛ ليكون الكلام عنها أَوضح وأَجلىٰ؛ لأَنَّ معرفة منافع العلم ، والإِلمام بجوانبه ، والحُكْم عليه فرع عن تصوِّره.

بمقوماتهم ؛ لأَنَّ اللُّغة تُعبِّر عن فكرهم وحياتهم وحضارتهم وخصائصهم ، فإذا اضمحلَّت ـ اللُّغة ـ أَو ضعفتْ ضعف اِنتماء أَهلها إِلى جنسهم وحضارتهم ، وشحُبت معالم خصائصهم ، فتميَّعت شخصيَّتهم ، وسهل تخلِّيهم عن ذواتهم ، ثُمَّ عن دينهم واستقلاليَّتهم (والعياذ باللّـه تعالىٰ).

وهذا ما يوضِّح: نكتة وفلسفة وسرّ هجوم أَعداء الإِسلام وأَذنابهم من العلمانيين وغيرهم على اللُّغة العربيَّة

المنفعة الثَّانية: أَنَّ الاِشتقاق وسيلة من وسائل كشف معاني الكلمات الغامضة المعنىٰ ، بل هو أَكمل الطرق في تعريف مدلولات الأَلفاظ ، ومن ثَمَّ شاع الاِستناد إِليه في كُتُب التَّفسير والشُّروح.

المنفعة الثَّالثة: أَنَّ معنىٰ اللفظ قد يختلف تبعاً لِاختلاف الوجهات أَو الأَقوال في مأخذه الاِشتقاقي. وهذا يُفيد في تنوِّع المعنىٰ أَحياناً مِـمَّا يوسِّع مجال التَّصَرُّف.

مثاله: الاِختلاف في تسمية الإِنسان إِنساناً: أَهي من الأُنْس ، أَي: الإِحساس بالتآلف وحبّ الإِجتماع وإِمكانيَّة التَّعاون إِلى أَقصىٰ مدىٰ ، أَم من النسيان ؛ لأَنَّه نسي فأَكل من الشجرة في قضيَّة آدم عليه السلام في بداية الخِلقة. والرأي العلمي ـ والَّذي يتَّسق مع القواعد اللفظيَّة للاشتقاق ـ يميل إِلى جانب القول الأَوَّل. أَمَّا القول الثَّاني ـ أَي: اِشتقاق لفظ وعنوان الإِنسان من النسيان ـ فيحتاج إِلى حذف الياء ، ولا أَساس لحذفها. مضافاً: أَنَّ جانب المعنىٰ يُزَكِّي ذلك تماماً ؛ فإِنَّ المُستفاد من بيانات الوحي: أَنَّ الإِنسان خُلق

ليتعارف ويتعاون ويُعمِّر الأَرض ، لا لينسىٰ.

المنفعة الرَّابعة: أَنَّ الرجوع إِلى الإِشتقاق يحسم كثيراً من الخلاف في معنىٰ الكلمة.

مثاله: الاسم الإِلٰهي: (الصَّمد) ؛ فإِنَّه ذكرت للمُسَمَّىٰ به عِدَّة معانٍ ، منها:

١ـ الَّذي كمل في أَنواع الشَّرَف والسُّؤدد: العظمة والحلم والعلم والحكمة والجبروت ... .

٢ـ الَّذي لا جوف له.

٣ـ الَّذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أَحد.

٤ـ الَّذي لا يخرج منه شيء.

٥ـ الَّذي لا يأكل ولا يشرب.

٦ـ الباقي بعد خلقه.

٧ـ السيِّد الَّذي يُصْمَد إِليه في الأُمور ؛ ويقصد إِليه في الحوائج والنَّوازل ؛ فإِنَّ أَصل الصَّمْد ـ بسكون الميم ـ: القَصْد ، يُقال للرَّجُل: اصمُدْ صَمْدَ فلان ؛ أَي: اقصِدْ قَصْدَه. ومن ثَمَّ ذكر البعض: أَنَّ هذا المعنىٰ هو أَصحُّ ما قيل من هذه المعاني ؛ لكونه يشهد له علم الإِشتقاق.

المنفعة الخامسة: أَنَّ الإِشتقاق [١] وسيلة من وسائل كشف ومعرفة تراكيب الكلمة ، ومعرفة أُصولها وزوائدها.

مثاله: كلمة: (مُرَّان) ـ الرماح اللَّدْنة ـ ؛ فإِنَّها من تركيب (مرن) ، وليس من تركيب (مرارة) ؛ لأَنَّ المُرَّان سُمِّيت بذلك للينها ، وحينئذٍ تكون النون أَصليَّة.

وهكذا كلمة: (فَيْنان) ـ في وصف الشَّعْر ـ فإِنَّها من تركيب (فنن) ؛ لأَنَّ الشَّعْر إِنَّما يوصف بها وذلك إِذا كانت له فنون كأَفنان الشجر ، وحينئذٍ تكون النون أصليَّة أَيضاً.

بخلاف كلمة: (العنتريس) ـ أَي: الشَّديد ـ ؛ فإِنَّها من تركيب (عترس) ، وهي: الأَخذ بالشدَّة ، فتكون النون زائدة.

وهكذا كلمة: (الَنْدَد) ـ أَي: شديد الخصومة ـ ؛ فإِنَّها من تركيب (اللَّدَد). وكلمة: (الخَنْفَقيق) ـ أَي: الخفيفة من النساء الجريئة ـ ؛ فإِنَّها من تراكيب (خَفَق إِليهم) أَي: أَسرع أَو علاهم. وكلمة: (البُلَهْنَية) ـ أَي: الرخاء وسعة العيش ـ ؛ فإِنَّها من تركيب (بله) ، كما يُقال: عيش أَبله ، أَي: واسع قليل الغموم. وكلمة: (السَّرَنْدي) ـ أَي: الجريء ـ ؛ فإِنَّها من تراكيب

---

(١) هذا المنفعة تُعَدُّ وجها مقابلاً للمنفعة الثَّانية وما تلاها؛ فإِنَّه في تلك المنافع كان يُتَّخذ من معرفة التَّركيب الَّذي أُخِذَت منه الكلمة وسيلة إِلى تحديد معناها. بخلافه في هذه المنفعة؛ فإِنَّه يُتَّخَذ من معنىٰ الكلمة ـ إِذا كان معروفاً ـ وسيلة إِلى معرفة تركيبها الَّذي يُناسب معناها معناه.

(السَّرْد) ، وهي: من يمضي قُدُماً. وعليه: فتكون النون في الجميع زائدة أَيضاً.

المنفعة السادسة: أَنَّ الِاشتقاق يوضِّح في الذهن الأَلفاظ المعنويَّة من خلال صور الأُصول الحسيَّة ، ويخرجها من الهلاميَّة والضبابيَّة.

مثاله: (الصَّبر المعنوي) ؛ فلتوضيح حقيقته في الذهن يُرجع إِلى بعض الحسيَّات ، منها: (الصَّبر) ـ كـ: كتف ـ: النبات المعروف الَّذي يحتفظ بمائه لمدَّةٍ أَطول من غيره من سائر النباتات. أَو (الصُّبْرة) ـ بالضم وبالفتح ـ: الحجارة الغليظة. أَو (الصَّبير) ـ بوزن أَمير ـ: الجبل. أَو (أُم صَبَّار): الصفاة الَّتي لا يحيك فيها شيء ، وما شاكل ذلك ، والرجوع إِلى شيءٍ من ذلك يوضِّح: أَنَّ الصَّبر ثبات وصمود وتماسك وتحمُّل ، ومن ثَمَّ يُفهم اِستعماله بمعنىٰ: الصُّمود والصَّلابة في المُواجهة.

مثال آخر: (الحَقّ) ؛ فإِنَّه لتوضيح حقيقته في الذهن يُرجع إِلى بعض الأُمور الحسيَّة ، منها: (الحُقّ) ـ بالضم ـ: الوعاء المعروف. أَو (الحُقّ من الوَرِك): مغرِس رأس الفخذ فيها. أَو (حَقِّ الطريق): وَسَطِها ، وما فيهن من ثبات الشيء مُتمكِّناً في حيز أُعِدَّ له بقدْره ، وما شاكل ذلك ، والرجوع إِلى شيءٍ من ذلك يوضِّح: أَنَّ الحَقَّ هو: كون الشيء بقدْر حَيِّزه لا يجاوزه ولا يقل عنه مع الثَّبات التَّام والتمكُّن.

المنفعة السَّابعة: أَنَّه يُعين على التَّحقُّق من صحَّة اللفظ المروي وعدم تعرُّضه للتصحيف أَو التَّحريف ؛ وذلك من خلال التَّعَرُّف على معنىٰ

اللفظ المشكوك في تصحيفه أَو تحريفه ـ حسب هيئته ـ من خلال معرفة ما اشتُقَّ منه ، أَو معرفة شقائقه الإشتقاقيَّة ، فإِنْ تبيَّن أَنَّ معناه يُناسب السياق أَو المقام الَّذي ورد فيه وَثِقنا بصحَّة روايته ، وإِلَّا قلَّبنا اللَّفظ على هيئةٍ أُخرىٰ ، وبحثنا عن معناه في هذه الهيئة الجديدة ـ بالإِستعانة بالإِشتقاق أَيضاً ـ حتَّىٰ نهتدي إِلى حقيقة اللَّفظ المقصود ، ونطمئن إِلى عدم تصحيفه أَو تحريفه.

المنفعة الثَّامنة: أَنَّ العلم بالإِشتقَاق يُعين مَنْ قَصَد حفظ الأَلفاظ ومعانيها ؛ فإِنَّ أَلفاظ التَّركيب الواحد تحمل معاني متشابهة ومن بابٍ واحدٍ ، ومن ثَمَّ حفظ بعض إِستعمالات جذر ومعانيها يعين على حفظ سائرها.

المنفعة التَّاسعة: أَنَّ الإِشتقاق يجسِّم صوراً من الرَّبط بين الأَلفاظ والمعاني مختلفة الإِتِّساع.

وحيث إِنَّ أَوسع صور الرَّبط الإِشتقاقي وأَعلى رتبه يتحقَّق في التَّأصيل ، ولشمول التَّأصيل لكافَّة إِستعمالات التَّركيب[1] ، ولكون لرتبته تلك: قيم ومنافع وصعوبات ؛ تتطلَّب الدراسة ومواجهتها حقّ أَن تُبيَّن تلك القيم والمنافع والصُّعوبات ، لكن نذكرها بشكل مختصر يناسب هذه المسألة والمقام المبتني على الإِختصار.

---

(١) بخلاف الرَّبط الجزئي؛ فإِنَّه يقتصر على بعض إِستعمالات التَّركيب.

[قيم التَّأصيل ومنافعه وصعوباته]

[قيم التَّأصيل]

للتأصيل قيم ، نذكر منها :

القيمة الأُولىٰ: أَنَّ الرَّبط الشَّامل ـ والَّذي هو عماد التَّأصيل ـ يُثْبت ويُحقِّق انضباط اللُّغة وإِحكَامَها ، فإِنَّ إِثبات العلاقة يعني جَرَيان العربيَّة ـ في مجال المفردات ومعانيها ـ على الأَصل الَّذي ينبغي أَنْ يكون في اللُّغة ، وهو أَنْ يُعبِّر التَّركيب الواحد بِكُلِّ صوره واستعمالاته عن معنىٰ بعينه وما يتفرَّع عن هذا المعنىٰ ، فالتَّأصيل يكشف ويُثْبِت أَنَّ أَلفاظ التَّركيب الواحد واستعمالاته تدور كلُّها في فَلَك المعنىٰ المحوري ، وليست نثاراً مبتوت الوشائج ، فكلّ تركيبٍ وفروعه أُسرة لفظيَّة مترابطة ، مقابلة لأُسرة من المعاني مترابطة ، وهذا هو الأَصل الَّذي ينبغي أَنْ تكون عليه اللُّغة المحكمة المنضبطة المباني والمعاني. فإِذا خرجت اللُّغة عن ذلك فقد خرجت عن الأَصل ، وكانت أَلفاظ التَّركيب الواحد منقطعةَ الصلة بعضها عن الآخر ؛ وحقّ عليها الحُكْم بالجزافيَّة ، وَأَنَّها مُجرَّد رموز لفظيَّة وُضعت لمعان بصورةٍ عشوائيَّة واعتباطيَّة. وقد تنزهتْ اللُّغة العربيَّة عن ذلك بفضل ساحة القدس الإِلٰهيَّة ، والتَّأصيل أَحد شواهد هذا التنزُّه.

القيمة الثَّانية: أَنَّ اِطراد دوران اِستعمالات التَّركيب على معنىٰ بعينه في كُلِّ تراكيب اللُّغة يُثْبت أَنَّ هناك علاقة بين الأَلفاظ والمعاني في اللُّغة العربيَّة.

[منافع التَّأصيل]

وللتَّأصيل منافع ، منها :

المنفعة الأُولىٰ: أَنَّ المعنىٰ العام أَو المحوري لأَيِّ تركيبٍ يكشف ـ إِذا كان دقيق الإِستخلاص والصياغة ـ أَبعاداً مُهمَّة في معاني اِستعمالات ذلك التَّركيب ، تُجلِّي غواشي غوامضها ، وتُمكِّن من تحريرها وتحديد ظلالها.

مثاله: تركيب: (جهل) ؛ فإِنَّه يُعبِّر عن الفراغ والخلو من العلامات المُميّزة. وهذا المعنىٰ مُستنبط ومأخوذ من قولهم: «المجهل» أَي: المفازة الَّتي لا أَعلام بها ولا جبال. وقولهم: «ناقة مجهولة» أَي: لم تُحلب قَطُّ ـ وكأَنَّها فارغة ، أَو لم يعرف من أَمرها ما يُميزه ـ. وقولهم أَيضاً: «ناقة مجهولة» أَي: لا سمة عليها. وقولهم: «اِسْتَجْهَلت الرِّيحُ الغصنَ» أَي: حرَّكته فاضطرب ؛ واِضْطِرَابه وخفَّة حركته ناتج عن الفراغ.

وعليه: يكون معنىٰ كلمة: (الجهل) ومشتقَّاتها: خلوّ مَنْ يتَّصَف بها من المعالم الصَّحيحة الَّتي تُبيِّن الرُّشد من الغي ، أَو عدم التزام مَنْ يتَّصف بها بالمعالم الصَّحيحة الَّتي تُبيِّن الرُّشد من الغي ؛ وكأَنَّها غير موجودةٍ ، مع اِتِّصافه بالخِفَّة الَّتي تدفع إِلى مطاوعة الهوىٰ.

المنفعة الثَّانية: أَنَّه يُمَكِّن من حسم الخلاف في ما اُختلف في معناه من الأَلفاظ.

المنفعة الثَّالثة: أَنَّه يُمكِّن من اِختيار أَدقّ الأَلفاظ المراد استحداثها

اِشتقاقاً ، وأَنسبها للمعنىٰ المراد وَضْع لفظ له.

ثُمَّ إِنَّ منافع التَّأصيل ترجع إِلى أَنَّ المعنىٰ المحوري الدَّقيق يُمَثِّل ميزاناً يُحتكم إِليه في معاني الاِستعمالات المراد إِنشاؤها في أَيِّ مجالٍ ، سوآء أَكان علميّاً ، أَو أَدبياً أَو تشريعيّاً أَو غيرها.

[صعوبات التَّأصيل]

إِنَّ صعوبات التَّأصيل تتمَثَّل في صعوبات كشف العلاقة بين معاني اِستعمالات التَّركيب ؛ وذلك لأُمور ، منها:

أَوَّلاً: غموض بعض المعاني في تعابير المعاجم اللُّغويَّة.

ثانياً: خفاء بعض الجوانب الحضاريَّة والتَّأريخيَّة المُتعلّقة بمعاني بعض الاِستعمالات.

ثالثاً: اِحْتِيَاج صياغة المعنىٰ المحوري إِلى تحرير دقيق.

غير أَنَّ هناك مفتاحاً للمساعدة في كشف المعنىٰ المحوري ، وتحريره ، وهو: التَّركيز على الاِستعمالات الحسيَّة.

[زبدة المخض]

وعصارة ما تقدَّم: إنَّ منهج اِستكشاف المعاني ونظامها ، ومنهج الصِّلة المعنويَّة من وراء الأَلفاظ في أَبواب المعارف مُهِمٌّ جِدّاً ، فإنَّ التَّعابير الواردة في بيانات الوحي: جمل ومحاور ومعادلات محوريَّة ، لها قوالب وأُطر ؛ واردة ضمن فقرات وطيَّات جمل مختلفة.

مثاله: الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ فإنَّها تنقسم بنحو إلى أَربعة أَقسام ومحاور ، وينحو آخر إلى ثمانية ، و ثالث إلى عشرة ، ورابع إلى إثني عشر ، وهذه التَّقسيمات والمحاور موضوعيَّة علميَّة ، فإذا لاحظ الباحث هذه الزيارة بهذه النَّظرة المنظوميَّة ونظر إلى المعنىٰ ـ بقطع النَّظر عن جنبة اللَّفظ ونغمة الصَّوت ـ فستحصل لديه لا محالة يقظة علميَّة ومعرفيَّة ؛ لأَنَّ ما تعرَّضت إليه من محاور وتسلسل اِستنتاجي موجود بقوالبه ومعادلاته وأُطره بقوالب ومعادلات وأُطر قريبة المخرج في سائر بيانات الوحي لاسيما بيانات الزيارات.

وهذه الخاصيَّة المنظوميَّة: نظام قواعد كمعادلات وبنود ليست موجودة في زمان خاصٍّ من أَزمنة الأَئِمَّة المعصومين عليهم السلام ، بل شاملة لسَّائر أَزمنة التَّشريع.

وهذا المنهج نوع اِنتباه للنظام المعنوي في معلومات أَبواب المعارف ، وهو منهج اِكتشاف المعاني أَو منهج نظام المعاني وراء الأَلفاظ في أَبواب المعارف ، فأَلفاظ الرواية وإِنْ كانت مُقدَّسة وعظيمة ، لكن حبس الباحث

والمُستنبط نفسه على سطحها يجعله جموديّاً وقشريّاً وحشويّاً وظاهريّاً ، وصاحب سفه سطحي ، بخلاف الدراية ؛ فإنَّها تعني: مضمون الرواية العرفي وتَبَطُّن المعاني ، فلذا وردت في بيانات الوحي عند جميع فرق المسلمين ضابطة قطعيَّة ومُسلَّمة لِاعتبار الرُّواية وحُجِّيَّتها ، وهي ليست نقل الثِّقة ، ولا العدول ، ولا كون أَلفاظها ظاهرة وصريحة ، بل العرض على محكمات الكتاب والسُّنَّة ، وليس المراد العرض على أَلفاظ الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، بل على مجموع نظام معاني الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، فإذا استطاع الباحث والمستنبط اِستكشاف نظام ومنظومة معاني المعارف في القرآن والسُّنَّة القطعيِّين تـمكَّن من عرض وموازنة أَيّ رواية عليه ، بعد ملاحظة الصِّلة بينها وبين الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، فإذا وجدها مطابقة لذلك المضمون والنِّظام والمنظومة المعرفيَّة أَخذ بها وإِنْ كانت ضعيفة السَّند.

لكن: الِالتفات إِلى الصِّلة المعنويَّة يراد له دراية خاصَّة وصعبة وغور عميق.

ولكَ أَنْ تقول: إِنَّ حُجِّيَّة متون الأَدلَّة ومضامينها في أَبواب المعارف لا سيما أَبواب العقائد لا تقوم بالتَّعَبُّد بالسَّند والبُعْدِ الظَّنِّي ، وإِنَّما بالبُعْدِ العقلي ، فَبَعْدَ تدرُّب وتمرُّس الباحث والمستنبط في المدارس البشريَّة ينطلق ليسبح ويغوص في أَعماق بحور بيانات الوحي العقليَّة المعرفيَّة غير المتناهية.

وهذا ما دعت إِليه وأَكَّدت وحثَّت عليه بيانات الوحي الإِلٰهيّ

الشَّريف الوافرة الباهرة ، منها :

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (١)(٢).

فـ: (التلاوة) ـ المُشار إِليها في بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ ـ: إِشارة إِلى العلم النَّقلي الحسِّي ، وهو مُقدِّمة.

وضرورة (التَّعَلُّم) ـ المُشار إِليها في بيان قوله تقدَّس ذكره:

---

(١) الجمعة: ٢.

(٢) **يجدر الإِلتفات: أَنَّه** يجب على مَنْ يُريد استيضاح بيانات أَهل البيت عليهم السلام المُفسِّرة لآية من آيات القرآن الكريم فلا يخدعنَّه الفحص بمراجعة تفسير أَو تفسيرين ، بل عليه التَّيقُّظ والتَّفطُّن إِلى موارد وجود هذه الآية بأَلفاظها أَو بما يُقارب أَلفاظها ومعانيها في بيانات الوحي الأُخرىٰ ، وعليه أَيضاً أَنْ لا يُراجع مصدراً واحداً من مصادر التَّفسير ، بل عِدَّة مصادر.

وبالجملة: باب الفحص والتَّنقيب العلمي باب واسع وشاسع جِدّاً ، ومن ثَمَّ لا ينخدع الباحث بدرجةٍ من الفحص والتنقيب ، ولا بدرجةٍ من التَّفكير والتَّأمُّل ، وإِذا ظَنَّ أَن ما توصَّل إِليه هو الذروة ورأس الهرم فليعلم أَنَّه أَرتطم بغفلة شنيعة وجهالة كبيرة؛ فإِنَّ ما توصَّل إِليه بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة لا بُدَّ أَنْ يكون متناهياً ومحدوداً ، ومعاني وحقائق بيانات الوحي غير متناهية ولا محدودة أَبداً بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة أَيضاً ، ولا توجد نِسبة رياضيَّة بين المحدود وغير المحدود؛ فإِنَّه دائماً إِذا قيس المحدود إِلى غير المحدود كان لا شيء وصفراً على جهة الشِّمال ، وإِلَّا لانقلبت ماهيَّة غير المحدود وكانت متناهية ، وبطلان انقلاب الماهيَّة من الواضحات ، بل هو خُلف الفرض.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾[1]ـ: إشارة إلى الفهم العقلي لموارد الوحي ؛ لتحصيل العلم واليقين والبرهان الوحياني ، وهو ذو المُقدِّمة والغاية الأَسْمَىٰ ، الَّذي هو فحوىٰ مفاد المُعجزة.

فانظر:

بيان قوله عزَّ قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[2][3].

ودلالته واضحة على أَنَّ المعاجز ـ كمعجزة القرآن الكريم ، وهي الأَعظم ـ ، بل والكرامات الإِلٰهيَّة تُورِث لِـمَنْ تأَثَّر بها: العلم واليقين والبرهان الوحياني.

وبالجملة: أَحد تعاريف المُعجزة: أَنَّها عبارة عن بزوغ وبروز لمعان أَشعَّة أَنوار غيبيَّة مهولة ؛ إِمَّا في القُدرة ، أَو في آيةِ كمالٍ غيبيٍّ رهيبٍ ، تنتشل بسرعة مَنْ يرىٰ من خلالها لمعان أَنوارِ غيبٍ عظيمةٍ ، ومن ثَمَّ تحصل له

---

(١) الطريقة التعليميَّة السَّارية عليها بيانات الوحي في إِيصال المعلومة للطرف هي: التَّدرُّج في التَّعليم وعلى مراحل.

(٢) القصص: ٣١ ـ ٣٢.

(٣) **لا بأس بالإِلتفات:** أَنَّه لا توجد لقطة في القرآن الكريم إِلَّا وتصبّ في ذكر اللّٰـه تقدَّس ذكره وخشيته وخشوعه.

حالة إخبات دفعيّ قهريّ ، تتضعضع له أَعماق ذاته وكافَّة قواه ؛ فيسجد لباعثها تذلُّلاً ، كما حصل ذلك لسحرة بني إسرائيل.

فانظر:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

وهذه نفس فائدة البرهان ؛ فإِنَّه يُخرج الطرف من ساحة الفكر إِلى تجلِّيات في الفطرة ، فإِذا شاهد العظمة خبت.

إِذَنْ: المعجزة الإِلٰهيَّة خطاب إِلهيّ مباشر ؛ ومن دون واسطة من اللّٰه عزَّوجلَّ مع خلقه.

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ

---

(١) الشعراء: ٤١ ـ ٥١.

﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(١)(٢).

فـ: (النفر): إِشارة إِلى مرحلة الرُّواية ؛ والنقل الحسِّيّ ؛ وهو مُقدِّمة.

و (التَّفقُّه) ـ المُشار إِليه في بيان قوله جلَّ قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾ ـ وهو: الفهم(٣): إِشارة إِلى الفهم العقلي لمضامين متون بيانات الوحي في المرحلة الثانية ، وهو: ذو المُقدِّمة ؛ والغاية الأَسْمَىٰ ؛ المُشار إِليها بلام الغاية: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا﴾(٤).

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ القرآن الكريم هو: دستور اللّٰـه الخالد ، لكنَّ دستوريَّته وخلوده ومُؤدَّاه وفائدته وخطره وعلومه وعقائده ومعارفه لا تختصُّ في هذه النَّشأَة الأَرضيَّة ، ولا يُخاطب به الجنّ والإِنس فحسب ، بل شاملة لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات؛ لأَنَّه من الدِّين ، وهو شامل للجميع ، ومِنْ ثَمَّ خطاباته الواردة بلسان: «يا أَيُّها الَّذين آمنوا» شاملةٌ لكافَّة المؤمنين ، منهم: جملة الملائكة عليهم السلام ، فلذا ورد في بيانات الوحي: «**أَنَّ الملائكة ، منهم المُقَرَّبين ـ كـ: جبرئيل وإِسرافيل وميكائيل** عليهم السلام **ـ حينما ينزل وحي القرآن الكريم على سيِّد الأَنبياء** صلى الله عليه وآله **يتعلَّمون منه** صلى الله عليه وآله **ذلك القرآن المُنَزَّل**».

(٣) **ينبغي الإِلتفات**: أَنَّ (الفهم): أَمرٌ غيبيٌّ ، صادر من عوالم غيبيَّة صاعدة ، تتحكَّم فيها طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، ومرتبتها فوق عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ، وهي فوق عَالَمَ السَّماوات السَّبع بعوالم ومراتب ، والكلُّ من عوالم الأَجسام.

(٤) **يجدر الإِلتفات** في المقام إِلى الأُمور الأَربعة التَّالية:

الأَوَّل: أَنَّ المعرفة الإِلٰهيَّة ناموس مُقدَّس ، والسعي إِليها ناموس مُقَدَّس أَيضاً يقضُّ مضجع فِطَر المخلوقات. ←

٣ـ بيان قوله جلَّ جلاله: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾(١).

وتقريب الدلالة واضح ؛ فإنَّه مع عدم تماميَّة السَّند ونسبة الصُّدور ـ إذ بحسب ما فرضه بيان الآية الكريمة أنَّه خبر فاسق ـ ، ومع عدم صحَّة طرحه ، أَو الأَخذ به بعناية هناك مسلك ثالث أَوصىٰ به بيان الآية الكريمة وأَوجبه ، وهو: (فحص المتن والمضمون ، والتَّبيُّن منه).

وهذه التَّوصية الوحيانيَّة دالَّة على أَنَّ الأَساس والعُمدة والرُّكن الرَّكين في حُجِّيَّة الخبر والأَخذ والعمل به هو: (تبيُّن المتن والمضمون).

نعم ، السَّند المُعتبر معاضد لحُجِّيَّة الخبر ، لكنَّ الرُّكن الرَّكين والعُمدة فيها هو: (حُجِّيَّة المتن والمضمون).

٤ـ بيان قوله جلَّ وعلا: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٢).

← **الثَّاني**: أَنَّ أَعظم نِعَم اللّـه الواردة في بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] النعم المعرفيَّة والمعنويَّة ، وليست البدَنيَّة.

الثَّالث: أَنَّ أخطر قلعة يغير عليها العدو: قلعة الفكر والرؤية العقائديَّة؛ فإنَّ أَمكنه زحزحة المخلوق عن الورع في العقيدة فسوف يتنجَّس باطنه وظاهره بكُلِّ نجاسةٍ ورجاسةٍ. ثُمَّ إنَّ أَطهر الطهارات في التَّعَقُّل.

الرابع: أَنَّ التكليف في العوالم اللاحقة لا ينقطع ، بل يزداد ويشتدُّ ، وهو شامل لكافَّة المخلوقات.

(١) الحجرات: ٦.

(٢) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

ودلالته واضحة ؛ فإِنَّ مضمونه نفس مضمون بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه: «**خُذِ الحِكْمَة مِمَّن أَتاك بها ، وانظر إِلى ما قال ، ولا تنظر إِلى مَنْ قال**»[١] ؛ فإِنَّ الأَساس ينبغي أَنْ يكون النَّظر إِلى المتن والمضمون.

٥ـ بيان قوله علا ذكره: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ**﴾[٢].

فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ أَيضاً على أَنَّ المركز وقطب مرجعيَّة الفقيه والباحث والمُستنبِط وطالب الحقيقة ينبغي أَنْ يكون نظره إِلى المتن والمضمون ؛ فإِنَّ المُحكمات صارت كذلك ليس من جهة سندها وصدورها ، وإِنَّما من جهة متنها ومضمونها.

وهذا البيان الوحيانيُّ من البيانات والبراهين القرآنيَّة العظيمة المُبيِّنة لهذا المنهج المعرفيّ الخطير والدالَّة عليه.

٦ـ بيان خطبة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**نضّر اللّـه ، عبداً سمع مقالتي فوعاها ؛ وبلّغها مَنْ لم يسمعها ، فكم من حامل فقه غير فقيه ، وكم من حامل فقه إِلى من هو أَفقه منه ...**»[٣].

٧ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**همَّة السفهاء الرواية ، وهمَّة العلماء**

---

(١) غرر الحكمة ، ١: ٣٩٤. ميزان الحكمة ، ٦: ٤٨٥. كنزل العمَّال / ٤٢٢١٨.
(٢) آل عمران: ٧.
(٣) بحار الأَنوار ، ٢: ١٤٨/ ح٢٢.

الدراية»[١].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ؛ فإنَّ المراد من عنوان: (السُّفهاء) المأخوذ في هذا البيان الإلٰهيّ الشَّريف: مَنْ يتعامل مع بيانات الوحي بسطحيَّة وعدم رشد ، وعدم غور ، فيقتصر على صدور الرُّواية وألفاظها.

٨ ـ بيانه عليه السلام أيضاً: «**عليكم بالدرايات لا بالروايات**»[٢].

٩ـ بيانه عليه السلام أيضاً: «**اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ؛ فإنَّ رواة العلم كثير ورعاته قليل**»[٣].

١٠ـ بيانه عليه السلام أيضاً: «**... وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه ، إنَّ على كُلِّ حَقٍّ حقيقة ، وعلى كُلِّ صوابٍ نوراً ، فما وافق كتاب اللّـه فخذوا به وما خالف كتاب اللّـه فدعوه**»[٤].

١١ـ بيان الإمام الباقر مُخاطباً ولده الإمام الصَّادق عليهما السلام: «**يا بُنَيَّ ، اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم ؛ فإنَّ المعرفة هي الدراية للرُّواية ، وبالدرايات للرُّوايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان ، إنِّي نظرتُ في كتابٍ لِعَلِيٍّ عليه السلام فوجدتُ في الكتاب: أنَّ قيمة كُلّ امرئٍ وقدره معرفته ، إنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ يُحاسب النَّاس على قدر ما آتاهم من العقول**

---

(١) بحار الأنوار ، ٢: ١٦٠/ح١٣.
(٢) المصدر نفسه: ١٦٠/ح١٢.
(٣) المصدر نفسه: ١٦١/ح٢١.
(٤) المصدر نفسه: ١٦٥/ح٢٥.

في دار الدُّنيا»[١].

١٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**رواة الكتاب كثير ، ورعاته قليل ، فكم من مستنصحٍ للحديث مستغش للكتاب ، والعلماءُ تحزنهم الدراية ، والجهَّال تحزنهم الرواية**»[٢].

١٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**حديث تدريه خير من أَلفٍ ترويه ، ولا يكون الرَّجُل منكم فقيهاً حتَّىٰ يعرف معاريض كلامنا ...**»[٣].

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة على ضرورة الدراية بمتن ومضمون الرُّواية ، وعدم صحَّة واعتبار وحُجِّيَّة منهج الإِقتصار على مُجَرَّد الرُّواية.

١٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**إِذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب اللّـه ، فما وافق كتاب اللّـه فخذوه ، وما خالف كتاب اللّـه فذروه ...**»[٤].

ودلالته واضحة أَيضاً ؛ فإِنَّه تعرَّض لأَعظم ضابطة وردت في بيانات الوحي الإِلٰهيّ الشَّريف ، وهي ضابطة مضمونيَّة.

وهذه الضَّابطة ترجمان علمي لبيان حديث الثقلين.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ١٨٤/ح٤.
(٢) المصدر نفسه: ١٦١/ح١٤.
(٣) المصدر نفسه: ١٨٤/ح٥.
(٤) المصدر نفسه: ٢٣٥ / ح٢٠.

ومعناها: قراءة عقليَّة برهانيَّة صناعيَّة ، لمضامين الرُّوايات المتعارضة ، وعرضها على مُحكمات الكتاب والسُّنَّة ؛ مِنْ خلال الإِستعانة ببديهيَّات بيانات الوحي ، وهذا يعني: أَنَّ الرُّكن الأَساسي في الرُّوايات: المضمون دون السَّند. فتأَمَّل جيداً.

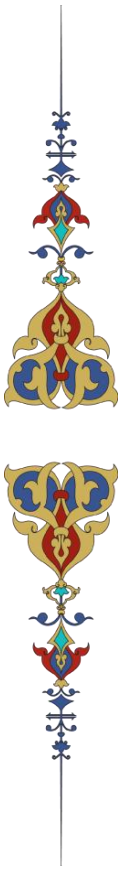

[الخاتمة]

هناك قضايا تتعلَّق بما تقدَّم يجدر الإلتفات إليها ، وهي :

القضيَّة الأُولى :

الإشتقاق اللُّغوي آية على الإشتقاق التَّكويني

إنَّه ينبغي على الباحث عندما يبحث في أَبواب المعارف عن الإشتقاق أَنْ لا يقف عند حدِّه ، بل يجعله مُنطلقاً وآية ينطلق منها ؛ ليسبح في عوالم الغيب غير المتناهية ؛ فإنَّ الثَّابت في عوالم المعارف: أَنَّ الإشتقاق اللُّغوي آية وأَمارة على الإشتقاق التَّكويني. والمراد من الإشتقاق التَّكويني نوع إيجاد شيءٍ من شيءٍ آخر من دون توالد وتوليد. واشتقاق الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة ومخلوقات عَالَم النُّور يكون بهذا اللَّحاظ.

وإلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان الحديث القدسي: «... **هذا مُحمَّد وأَنا الحميد والمحمود في أَفعالي شققتُ له اسماً من اسمي ، وهذا عَلِيٌّ وأَنَا العليّ العظيم شققتُ له اسماً من اسمي ، وهذه فاطمة وأَنا فاطر السَّماوات والأَرض ، فاطم أَعدائي عن رحمتي ... فشققتُ لها اسماً عن اسمي ، وهذا الحسن وهذا الحسين ، وأَنا المحسن المجمل ، شققتُ لهما اسماً من اسمي ...**»[1].

---

(١) بحار الأَنوار ، ١١: ١٥١.

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله «**أَوَّل ما خلق الله نوري ؛ ابتدعه مِنْ نوره ، واشتقَّه مِنْ جلال عظمته ، فأَقبل يطوف بالقدرة ... ففتق مِنه نور عَلِيّ عليه السلام ، فكان نوري مُحيطاً بالعظمة ، ونور عَلِيّ عليه السلام مُحيطاً بالقدرة ، ثُمَّ خلق العرش واللوح ... والعقل ... مِنْ نوري ، ونوري مُشتق مِنْ نوره ...**»[١] .

٣ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام المتقدِّم عن هشام بن الحكم ، قال: «سألت أَبا عبد اللّٰـه عليه السلام عن أَسمآء اللّٰـه عزَّ ذكره واشتقاقها ، فقلتُ: (اللّٰـه) مِمَّا هو مُشتق؟ قال: **يا هشام ، (اللّٰـه) مُشتق من إِلٰه ، وإِلٰه يقتضي مألوهاً ...**»[٢] .

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢٢/ ح٣٨. رياض الجنان (مخطوط).
(٢) بحار الأَنوار ، ٤: ١٥٧/ ح٢.

القضيَّة الثَّانية:

البيان اللساني وطبقات خلقة الإنسان التَّكوينيَّة بيان لما ورائها من عوالم

إنَّه يتَّضح مِـمَّا سبق: أَنَّ بيان قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[1] ، وما شاكله من بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، دالَّة على أَنَّ البيان اللساني رأس خيط إِلى عَالَم الغيوب ، فإِنَّ كُلُّ طبقةٍ من طبقات خلقة الإِنسان التَّكوينيَّة بيانٌ لـما ورائها من طبقاتٍ ، فطبقة عَالَم البدن الغليظ وعَالَم المعاني الذهنيَّة آية وبيان لطبقة وعَالَم البدن الحسّي ، وطبقة البدن الحسّي آية وبيان لطبقة وعَالَم البدن البرزخي (الـخيالي) ، وطبقة البدن البرزخي (الخيالي) آية وبيان لطبقة وعَالَم البدن الوَهَمي ، وطبقة البدن الوَهَمي آية وبيان لطبقة العَالَم العقلي ، وهلمَّ جرّاً لتصل إِلى عَالَم الحقائق العينيَّة.

ومِنْ ثَمَّ أَكَّد وشَدَّد القدماء في الحوزات العلميَّة على العلوم اللُّغويَّة والأَدبيَّة ؛ لكونها مُنطلق لِـمَا ورائها.

---

(١) الرحمٰن: ١ـ ٤.

القضيَّة الثَّالثة:

المخلوقات أَحداث وأَعرَاض

هناك مبحث معرفيٌّ وتوحيديٌّ رائعٌ وشامخٌ جِدّاً ، وقاعدة ونظريَّة لغوية ومعرفيَّة توحيديَّة مُهمَّة جِدّاً ، عامَّة وسيَّالة في أَبواب المعارف ، وهي منجمٌ لمعَارفٍ عديدةٍ ، وتتولَّد منها نتائج معرفيَّة كثيرة وخطيرة ، حاصلها: «أَنَّ كلَّ عنوانٍ واسمٍ ومسمَّىٰ لمخلوق ما مشتقٌّ من فعلٍ يُرجع إِليه بأَحد اِشتقاقات علم الاِشتقاق».

ومعناها: أَنَّه ليست لحقيقة وكُنْه المخلوق: جوهرٌ وجبلٌ مُستقِلٌّ بنفسه ، بل فعلٌ وحدثٌ ، فما أَنْ يُؤتىٰ باسمٍ إِلَّا وكان أَصله حدثاً وفعلاً ، فتكون حقيقة الاسم آية وعلامة مشيرة لفاعلها ؛ العزيز الجبَّار ، تقدَّست أَسمآؤه ، وعظمت آلاؤه.

وهذه القاعدة شاملة بإِطلاقها لـ: عَالَم الصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ؛ ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة ، بعدما كان الجميع مخلوقاً.

فإِذا كانت مُطلق الصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ مُشتقَّة وأَحداث وأَفعال فكيف بِمَنْ دونها.

ومعناه: أَنَّه ليست هناك حقيقة وواقعيَّة ثابتة إِلَّا الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، وما عداه ﷻ أَحداثٌ وأَفعال وأَعرَاضٌ. وهذا ما صرَّح به قدماء الفلاسفة.

إِذَنْ: جميع ذوات وحقائق المخلوقات وأَسمائها وعناوينها ـ بالدِّقَّة ـ

مُشتقَّة مِنْ أَفعال ، لكنَّها صيغة بصورة اسم ، فهي أَفعال أُشتقت من أَفعال عدا الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة.

مثاله: حقيقة وعنوان واسم: (الهواء) ؛ فإِنَّه مَنْ يُدقِّق في بيانات الوحي الواردة لبيان عوالم الخلقة فسيجده عنواناً لعوالم مخلوقة مهولة وعظيمة جِدّاً :

أَحدها: تحت السَّماء الأُولىٰ ، وفوق الأَرضين السَّبع.

الآخر: فوق السَّماء السَّابعة وتحت عَالَم الجنَّة الأَبديَّة.

الثَّالث: تحت العرش وفوق عَالَم الجنَّة الأَبديَّة.

الرَّابع: فوق العرش.

وأَصل جميع هذه العوالم أَفعال وأَحداث ؛ مُشتقَّة مِنْ أَفعال وأَحداث أَرفع منها خطراً وهولاً ومقاماً ، وأَعظم وأَكمل عَالَماً.

وهذه المعلومة ، بل ومعلومات وحقائق ومعارف وعلوم وحيانيَّة وعقليَّة أُخرىٰ مهولة وعظيمة وخطيرة جِدّاً غير متناهية أَبد الآباد ودهر الدُّهور أَزلاً وأَبداً لم يشمَّ رائحة بعضها إِلى الآن ، بل إِلى عَالَم القيامة ، بل إِلى عَالَم الآخرة الأَبديَّة ، بل بعده ، ولم تخطر على بال بشر ، بل مخلوق قَطُّ ؛ منهم أَنبياء أُولي العزم والملائكة المُقرَّبين ـ كـ: جبرئيل ـ عليهم السلام عدا أَهل البيت الأَطهار ـ: سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت ـ (صلوات اللّٰـه عليهم) ليس إِلَّا.

القضيَّة الرَّابعة:

اِشتقاق لفظ ومعنى: (الجبت)

أَنَّه لا يبعد: أَنَّ بين لفظ ومعنىٰ: (الجب) ولفظ ومعنىٰ: (الجبت)[1] اِشتقاق لغويّ؛ فإِنَّ معنىٰ لفظ: (الجب): القاطع. ومعنىٰ لفظ: (الجبت): القاطع للطريق الموصل للخير والسَّاحة الإِلٰهيَّة، كالأَصنام، وكُلّ ما يُعبد من دون اللّٰـه، ويُطاع من غير إِذنه تقدَّس ذكره، الصَّارف عن السَّبيل والصِّراط المُستقيم الموصل للخير والسَّاحة الإِلٰهيَّة.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي، منها:

١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام، الوارد في تفسير بيان قوله تعالىٰ: «...

---

(١) **ينبغي الإِلتفات** لعناوين ثلاثة، وردت في البيانات الوحي؛ والتفرقة بينها:
أَحدها: (الجبت)؛ فإِنَّه يُطلق في بيانات الوحي الإِلٰهيّ الشَّريف ويُراد منه: صاحب أَصل البِدْعَة والفتنة، القاطع للطَّريق المُستقيم بوجه المخلوق بعد سلوكه.
مثاله: المستولي الأَوَّل.
الآخر: (الطَّاغوت)؛ فإِنَّه يُطلق أَيضاً في بيانات الوحي ويُراد منه: المروج للفتن، والمُمدُّ للجوابيت والفراعنة.
مثاله: المستولي الثَّاني.
ثالثها: (الفرعون)؛ فإِنَّه يُطلق كذلك في بيانات الوحي ويُراد منه: الصَّاد للعبد مِنْ سلوك الصراط المُستقيم من بداية الطَّريق.
مثاله: أَبو جهل، والمستولي الثَّالث.
هذه ثلاثة عناوين دينيّة ووحيانيَّة خطيرة ومُهمَّة جِدّاً.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾[١] ، أَخذ العلم من أَهله ، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[٢] ، والخبائث قول مَنْ خالف ... ﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣] ، يعني: الَّذين اجتنبوا الجبت والطَّاغوت أَنْ يعبدوها ، والجبت والطَّاغوت فلان وفلان وفلان ، والعبادة: طاعة النَّاس لـهم ...»[٤].

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن داود الرقي ، قال: «قلتُ لأَبي عبداللّـه عليه السلام: حَدِّثني عن أَعداء أَمير المؤمنين وأَهل بيت النُّبوَّة ، فقال: **الحديث أَحبُّ إِليك أَم المعاينة؟** قلتُ: المعاينة ، فقال لأَبي إِبراهيم موسىٰ عليه السلام: **ائتني بالقضيب ، فمضىٰ واحضره إِيّاه ، فقال له: يا موسىٰ ، اضرب به الأَرض ، وأَرهم أَعداء أَمير المؤمنين عليه السلام وأَعداءنا ، فضرب به الأَرض ضربة فانشقَّت الأَرض عن بحرٍ أَسودٍ ، ثُمَّ ضرب البحر بالقضيب ، فانفلق عن صخرةٍ سوداءٍ ، فضرب الصخر فانفتح منها باب ، فإِذا بالقوم جميعاً لا يحصون لكثرتهم ، وجوههم مسودَّة ، وأَعينهم زرق ، كُلُّ واحدٍ منهم مصفد مشدود في جانب مِنْ الصخرة ، وهم ينادون: يا مُحَمَّد! والزبانية تضرب وجوههم ، ويقولون لهم: كذبتم ليس مُحَمَّد لكم ،**

---

(١) الأَعراف: ١٥٧.

(٢) الأَعراف: ١٥٧.

(٣) الأَعراف: ١٥٧.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٤: ٣٥٣ـ ٣٥٤/ ح٧٣.

ولا أَنتم له ، فقلتُ له: جُعِلْتُ فِدَاكَ! مَنْ هؤلاء؟! فقال: **الجبت ، والطَّاغوت ، والرجس ، واللَّعين ابن اللَّعين ، ولم يزل يُعدِّدهم كلّهم مِنْ أَوَّلهم إِلى آخرهم حتَّىٰ أَتَىٰ على أَصحاب السَّقيفة ، وَأَصحاب الفتنة ، وبني الأَزرق والاوزاع ، وبني أُميَّة ، جدَّد اللّـه عليهم العذاب بكرة وأَصيلاً ، ثُمَّ قال للصَّخرة انطبقي عليهم إِلى الوقت المعلوم»**[1] .

وعلى ضدِّه قام معنىٰ الآية الإِلٰهيَّة ؛ فإِنَّها: الوسيلة[2] والصِّراط الحصري المُستقيم ؛ والعاصم ، والموصل لساحة القدس الإِلٰهيَّة والخير ، والمُنجي من اِكتناه الذَات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، ومن التَّشبيه والتَّعطيل.

بعد الإِلتفات: أَنَّ الآيات الإِلٰهيَّة على نحوين:

تارة تكون ناطقة وصاحبة دعوىٰ ، وهذا النَّحو يصحُّ اِتِّصاف مَنْ يتَّبع تلك الآيات الإِلٰهيَّة بـ: (التَّصديق بها) ، ومَنْ لَم يتَّبعها بـ: (التَّكذيب بها).

وأُخرىٰ غير ناطقةٍ وليست صاحبة دعوىٰ ، وهذا النَّحو لا يصحُّ اِتِّصافه بذلك ؛ لكون صفة الصِّدق أَو الكذب في حقِّ هذا النَّحو من باب السَّالبة بانتقاء الموضوع ؛ وذلك لِاحتياج مُتعلَّق الصِّدق[3] ـ أَي: التَّصديق

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٨: ٨٤/ ح١٤ . عيون المعجزات: ٨٦.

(٢) **يجدر الإِلتفات**: أَنَّ أَعظم أَنواع التَّوسُّل ، بل أَعظم شيء في الدِّين هو: التَّوسُّل بالمعرفة والعقيدة الحقَّة.

(٣) مُتعلَّق: (الصِّدق) و(الكذب) في المقام هو: (الآيات الإِلٰهيَّة).

بتلك الآيات ـ ومُتعَلَّق الكذب ـ أَي: التَّكذيب بتلك الآيات ـ إِلى تمتُّع الآيات الإِلٰهيَّة بالنُّطقِ اللِّساني ؛ وأَنْ تكون صاحبة دعوىٰ. وإِنَّما يتَّصف هذا النَّحو ويُنعت من يعتقد بها ويتَّبعها بـ: (الإِقبال عليها) ، وَمَنْ لا يعتقد بها ولا يتَّبعها بـ: (الإِعراض عنها).

فانظر: بيانات الوحي المُشيرة إِلى هذا النَّحو الثَّاني ، منها:

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[1].

٢- بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[2].

ودلالتهما واضحة.

ولاحظ: بيانات الوحي الأُخرىٰ المُشيرة إِلى النَّحو الأَوَّل ، منها :

بيان قوله جلَّ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[3].

---

(١) الأَنبياء: ٣٢.

(٢) القمر: ١ـ٢.

(٣) الأَعراف: ٤٠.

[آيات اللّـه النَّاطقة حقائق أَهل البيت عليهم السلام]

ثُمَّ إِنَّ رأس هرم آيات اللّـه النَّاطقة حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، لا سيما طبقاتها الصَّاعدة في عَالَمَ السَّرمد والأَزَل ؛ عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، المُعبَّر عنه في بيانات الوحي بـ: (عنده).

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً: بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **الإِمام ... آية اللّـه** ...»[١].

ثانياً: بيانه (صلوات اللّـه عليه) أَيضاً: «... **لا تسمُّونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإِنَّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله اللّـه لنا ، ولا معشار العشر ؛ لأَنَّا آيات اللّـه ودلائله** ...»[٢].

ثالثاً: بيان الإِمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه): «... **ونحن الآيات ، ونحن البيِّنات** ...»[٣].

رابعاً: بيان تفسيره (صلوات اللّـه عليه): «... **قوله عزّ وجلّ**: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٦٩/ ح٣٨.
(٢) المصدر نفسه ، ٢٦: ١ـ٧/ ح١.
(٣) المصدر نفسه ، ٢٤: ٣٠٣/ ح١٤. كنز الفوائد: ٢ـ ٣.

﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] قال: **الآيات أَمير المؤمنين والأَئِمَّة** عليهم السلام ...»[2].

ودلالة الجميع واضحة.

وهذه القضيَّة لا يقبل أَنْ يفهمها ويميِّزها الوهابيَّة والسَّلفيَّة وَمَنْ جرىٰ على شاكلتهم ؛ فإِنَّ الآية الإِلٰهيَّة ضرورة للمعرفة الإِلٰهيَّة والتَّوحيد ، وبدونها يحصل: إِمَّا تعطيل معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، أَو الشرك ، أَو التشبيه ، وَلَا مفرَّ من هذه الثلاثيَّة ، وَمِنْ ثَمَّ اِرْتَطَمَ على مرِّ الدُّهور الماضية والأَزمان الخالية مَنْ لم يتمسَّك ولم يستعن بمسلك الآية ـ وهو التَّوحيد الحقيقي ـ بأَحد هذه الثَّلاثة كما يرتطم الحمار بالطين.

وبالجملة: قوام التَّوحيد: التَّمسُّك والتَّوجُّه بالآيات الإِلٰهيَّة ، وبدونها لا يقوم للتَّوحيد قائمة وَلَا عين وَلَا أَثَر ، ومن ثَمَّ كانت أَوَّل آية في القرآن الكريم وَأَعظمها: آية البسملة ، بل أَوَّل حرف فيه وفيها هو: (باء الإِستعانة).

ومنه يتَّضح: أَنَّ مصاديق الإِستعانة وأَفرادها وإِنْ كانت مُستحبَّة ، لكنَّ أَصلها واجبٌ ، كحال سائر الفرائض والواجبات الدِّينيَّة كـ: (زيارة المعصوم عليه السلام) ؛ والشَّرعيَّة كـ: (الصَّلاة) ؛ فصلاة الظهر ـ مثلاً ـ وإِنْ كان

---

(١) النمل: ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) مختصر البصائر: ١٥٢ ـ ١٥٣/ ح١١٨ ـ ١٨. تفسير القمي ، ٢: ١٣٠ ـ ١٣١.

أَصل طبيعتها واجبة على المُكلَّف لكنَّ إِيقاعها والإِتيان بها في الزَّمان والمكان والمصداق الأَوَّل أَو الثَّاني أَو الثَّالث وهلمَّ جرّاً ليست بواجبة ، وبعضها مستحبَّة ، فالتفت.

المسألة: (١٣/٤)

[أَنواع التَّرادف في المنهج المعرفي]

ينبغي الِالتفات : أَنَّ للتَّرادف ـ كعنصر مؤثِّر في الِاستظهار والِاستنباط من الأَدلَّة ، وكمقدِّمة ذات دخالة في مواد الِاستدلال البرهاني ـ أَقساماً وأَنحاءً ثلاثة: ترادف لغوي (لفظي). وترادف عقلي (معنوي). وترادف وجودي (تكويني عيني وتلازمات واقعيَّة)[1].

---

(١) التَّعرُّف علىٰ هذه الأَقسام الثلاثة لا تنحصر أَهمِّيَّته ـ تنظيراً وتطبيقاً ـ بالبيئة العلميَّة ، وإِنَّما هي ـ هذه الأَقسام الثلاثة ـ خير تُرجمان ووسيلة لنشر تعاليم الوحي الإِلٰهيّ المُقدَّس ، والإِرشاد إِلى هداية نوره ، وإِيصال ذلك النُّور إِلى أَذهان المخلوقات ومجتمعاتها وشرائحها ذات الأَفهام والأَذواق والمذاقات المتفاوتة والمختلفة بشكل أَسهل؛ فإِنَّ العلوم بعدما كانت علىٰ طبقات متفاوتة ومختلفة كانت لغاتها والحاكي عنها ، ووسيلة تفهيمها علىٰ طبقات متفاوتة ومختلفة أَيضاً تُوصِل لما ورائها من غايات ، وأَهم الترجمات ليست اللِّسانيَّة ، بل المعنويَّة العقليَّة.

النَّحو الأَوَّل:

التَّرادف اللُّغوي (اللَّفظي)

المراد من التَّرادف اللُّغوي (اللَّفظي) ـ والَّذي عادة ما تكون مفرداته لغويَّة ـ: اِشتراك أَلفاظ مُتعدِّدة في تمام معناها.

مثاله: اِشتراك لفظ: (الإِنسان) ، و(البشر) في تمام معنىٰ: (الحيوان النَّاطق).

وهذا النَّحو من التَّرادف لم يُنجز اِكتشافه لـحدِّ الآن بشكل وافر وكامل ؛ لتوقُّفه علىٰ التَّرادف العقلي (المعنوي) ، المُتوقِّف[١] علىٰ التَّحليل العلميّ للمعاني الكثيرة ، وعلىٰ التَّنقيب والنَّقض والإِبْرَام ، والتَّأَمُّل والتَّدبُّر في المواد الواصلة ـ ومنه يتَّضح وجه التَّسمية[٢] بـ: (التَّرادف المعنوي) ؛ لكون موطنه[٣] المعاني ـ ومِنْ ثَمَّ وقع في التَّرادف اللُّغوي الخلاف ، فأَقرَّه بعض وأَنكره آخر ؛ لِاختلاف النَّظرة ؛ فإِنَّه: إِن كان المدار علىٰ النَّظرة العرفيَّة ـ وهي مبتنية علىٰ التَّسَامُح والتَّساهل وعدم التَّدقيق والتَّحليل ـ فالمناسب هو الأَوَّل[٤] ، ومن ثَمَّ إِذا صبَّ الدَّليل الخاصّ أَثراً أَو حُكْماً معيَّناً علىٰ عنوان

---

(١) أَي: التَّرادف العقلي (المعنوي).

(٢) أَي: تسمية الترادف العقلي بـ: (التَّرادف المعنوي).

(٣) مرجع الضمير: (التَّرادف العقلي (المعنوي)).

(٤) أَي: القول الأَوَّل ، وهو: إِقرار وإِثبات التَّرادف اللُّغوي.

الإِنسان بلحاظ ماهيَّته ، وحصل القطع واليقين: أَنَّ ماهيَّة الإِنسان علَّة تامَّة لهذا الأَثر أَو الحُكْم سرَّىٰ العقل النَّظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إِلى عنوان البشر من دون حاجة إِلى دليل آخر.

وإِنْ كان المدار علىٰ النَّظرة الدِّقِّيَّة العقليَّة التَّحليليَّة فالمناسب هو الثَّاني[1] ؛ لعدم وجود اِتِّحاد ـ بالدِّقَّة العقليَّة ـ بين المعاني ؛ لأَنَّ كُلَّ لفظةٍ دالَّة علىٰ حالةٍ من حالات المُسمَّىٰ ، فلفظة: (الإِنسان) دالَّة علىٰ حالةٍ مُعيَّنة من حالات: (الحيوان النَّاطق) ، ولفظة: (البشر) دالَّة علىٰ حالةٍ أُخرىٰ من حالاته ، فأَين الاِتحاد ؛ كيما يحصل الاِشتراك بتمام المعنىٰ.

ومِنْ ثَمَّ إِذا صبَّ الدَّليل الخاصّ أَثراً أَو حُكْماً مُعيَّناً علىٰ عنوان الإِنسان بلحاظ ماهيَّته ؛ فلا يُسرِّي العقل النَّظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إِلى عنوان البشر من دون دليلٍ خاصٍّ ؛ وإِنْ حصل القطع واليقين بأَنَّ ماهيَّة الإِنسان علَّة تامَّة لهذا الأَثر أَو الحكم.

---

(١) أَي: القول الثاني ، وهو: إِنكار ونفي الترادف اللُّغوي.

النحو الثَّاني:

التَّرادف العقليّ (المعنويّ)

التَّرادف العقلي (المعنوي) نحو من أَنحاء التَّرادف ، وهذا النحو[١] [٢] من تطوُّر: (علم أُصول الفقه) ، و(علم الأَدب) ، و(علم الأَلفاظ) ، و(علوم الدِّلالة) ، و(علوم قراءة النَّصّ الدِّيني) ، ومن تطوُّر البحوث: (العلمية) ، و(المعرفيَّة).

وهذا النحو من التَّرادف وإِنْ كان معروفاً في العلوم والمعارف العقليَّة ، لكنَّه غير معروفٍ في العلوم الأَدبيَّة واللُّغويَّة.

وقد يبدو للوهلة الأُولىٰ أَنَّه منهجٌ وبحثٌ ذوقيٌّ اِستحسانيٌّ ، لكن مَنْ يغور فيه بوعي ودراية يجده منهجاً حكيماً ، وصراطاً قويماً ، وسبيلاً مُستقيماً ، وركناً حطيماً ، وبحثاً في بحور المعقولات غير المتناهية ، بليغ وخطير ، تعرف العقول عدله ، ولا يسعها إِنكار فوائده الزَّاخرة ، وجواهره النَّاصعة ، ودرره

---

(١) بحث التَّرادف العقلي: تنقيح وتحرِّي ثبوتي للواقعيَّات ، وليس مُجرَّد اِستكشاف دلالي وإِثباتي.

وَأَحد ثمرات هذا المنهج ـ أَي: الترادف العقلي ـ:

اِكتشاف المعنىٰ: (المتواتر) ، و(المستفيض) ، و(الموثوق) النَّظري؛ المُكْتَشَفَة ـ هذه الأَنحاء الثَّلاثة ـ بقوَّة الاِجتهاد والتَّحقيق. بل هناك ثمرة وفائدة أَعظم ، وهي: اِكتشاف نظام توافق وموافقة الأَدلَّة لقواعد الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة كبنيان منظومي.

(٢) **ينبغي الاِلتفات**: أَنَّ لسان ولغة بيانات الوحي في أَبواب المعارف لغة عقليَّة.

الفاخرة لَمَنْ يغوص بالأَدلَّة والبراهين العلميَّة في بحوره الخضم الزاخرة الَّتي يعبُّ عبابها ، وتصطخب أَمواجها ، الحاملة في طيَّات أَجوافها درر وجواهر الحقيقة الفاخرة ، فتورد سالكها منهلاً نميراً رويّاً صافياً ، تطفح ضِفَّتاه ، ولا يرتنق جانباه ، والغائص فيه وإِنْ بَعُدَ في الغور لكنَّه لا ينال نهاية حقيقته.

والمراد منه:

اِتحاد واشْتِرَاك عنوانين أَو لفظين أَو شيئين أَو ذاتين أَو ماهيَّتين أَو هويَّتين أَو حقيقتين أَو أَكثر في جزء المعنىٰ ـ سوآء أَكانا مُشْتَرَكِين في تمام الأَجزاء أَم لا ـ ؛ ولو كان جزءاً مُتجزِّءاً مِنْ أَجزاء المعنىٰ وإِنْ كان ضئيلاً ؛ فسوآء أَكان ذلك الجزء المُشْتَرَك هو: (الجنس) أَو (جنس الجنس) متوسِّطاً كان أَم عالياً أَو بعيداً ، أَو كان ذلك الجزء المُشْتَرَك هو: (الفصل) قريباً كان أَم مُتَوَسِّطاً أَم بعيداً ، أَو كان ذلك الجزء المُشْتَرَك هو: (الخاصَّة) أَو (لازم) أَو (معنىٰ فوقي).

وبهذا المقدار مِنْ الاِشْتِرَاك يحكم العقل النَّظري بالتَّرادف في تلك الحيثيَّة ، ومِنْ ثَمَّ الآثار والأَحكام الَّتي يُحكَم بها علىٰ شيءٍ ؛ الثابتة بتوسُّط الجزء المُشْتَرَك يَحْكُم بها العقل النَّظري علىٰ مرادفه بالتَّرادف العقلي.

مثال الأَوَّل ـ أَي: المُشترِك في تمام الأَجزاء والمعنىٰ ـ: ما مَرَّ في مثال التَّرادف اللُّغوي ، وهو: اِتِّحاد واِشْتَرَك لفظ وعنوان الإِنسان والبشر في تمام معناهما ، وهو: (الحيوان النَّاطق) [1].

---

(١) **ومنه يُعلم**: أنَّ النِّسْبَة المنطقيَّة بين التَّرادف العقلي والتَّرادف اللُّغوي هي: العموم والخصوص المطلق؛ فإِنَّ التَّرادف العقلي أَعمُّ مُطلقاً من التَّرادف اللُّغوي؛ فكُلُّ مترادفين لغة مترادفان عقلاً ، لكن ليس كُلُّ مترادفين عقلاً مترادفين لغة.

مثال الثاني ـ أَي: الـمُشْتَرِك في بعض أَجزاء المعنىٰ ـ: له مصاديق مُتعدِّدة ، منها:

١ـ اِشْتِرَاك ماهيَّة وحقيقة الإِنسان وسائر الحيوانات كالفرس في الجنس القريب ، وهو: (الحيوان).

وَمِنْ ثَمَّ كانت كثير من أَحكام وآثار طبيعة سائر الحيوانات موجودة في الإِنسان ؛ فلذا تجد كثيراً من البحوث الطِّبيَّة ؛ واِكتشافات المُصُوْل واللِّقَاحَات والأَدوية الَّتي يُراد ترتيب أَحْكَامها ؛ وآثارها علىٰ الإِنسان تجري اِبتداءً وتُجرَّب علىٰ بعض الحيوانات ؛ كالقِرَدَةِ والفئران والغنم والبقر والخنازير ، وبعدها تُجرَّب علىٰ الإِنسان ، ومعناه: وجود أَجزاء مشتركة بين هذه الحيوانات والإِنسان ؛ سرت مِنْ خلالها تلك الأَحْكَام والآثار علىٰ الجميع.

وعليه: فإِذا صَبَّ دليلٌ خاصٌّ أَثراً أَو حُكْماً مُعيَّناً علىٰ عنوان الفرس ـ مثلاً ـ بتوسُّط ذلك الجزء المُشْتَرَك بين الفرس والإِنسان ـ وهو: الحيوان ـ وحصل قطع ويقين: أَنَّ ذلك الجزء المُشْتَرَك علَّة تامَّة لذلك الأَثر أَو الحُكْم سرَّىٰ العقل النظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إِلى عنوان الإِنسان من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ آخر.

٢ـ اِشْتِرَاك عنوان وطبيعة وحقيقة الإِنسان والنبات في الجنس المُتوسُّط للإِنسان ، وهو (الجسم النَّامي).

ومن ثَمَّ كانت كثير من أَحكام وآثار طبيعة النباتات مودعة في ذات

وبدن الإِنسان ، فلذا تُجرىٰ تجارب مُتعدِّدة علىٰ النباتات من قبيل الأَحماض والإِنزيمات والخلايا كيف تنمو ، وفي حال نجاحها تُجْرَىٰ وتُرتَّب أَحكامها وآثارها علىٰ الإِنسان.

وعليه: فإِذا صبَّ دليلٌ خاصٌّ أَثراً أَو حُكْماً مُعَيَّناً علىٰ عنوان نباتٍ بتوسُّط ذلك الجزء المُشْتَرَك بينه وبين الإِنسان ـ وهو: الجسم النَّامي ـ وحصل قطع ويقين: أَنَّ ذلك الجزء المُشْتَرَك علَّة تامَّة لذلك الأَثر أَو الحُكْم سرَّىٰ العقل النظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إِلى الإِنسان من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ آخر.

٣ـ اِشْتِرَاك عنوان وطبيعة وذات الإِنسان والجماد في (الجسم) ؛ فلذا كانت كثير من أَحكام وآثار طبيعة الجمادات مغروزة في ذات الإِنسان وبدنه ، مِثْل: العناصر الأَوَّليَّة للفلزات ، وبعض خواصِّ: (الحديد) و(الكهرباء) و(المغناطيس) ، فإِذا اِكتشفوا تلك العناصر المُشْتَرَكة ، ولاحظوا الأَحكام والآثار المترتِّبة علىٰ الجمادات من خلالها سَرُّوا في العلوم التَّجريبيَّة أَحْكَامها وآثارها علىٰ الإِنسان.

وَمِنْ ثَمَّ إِذا صَبَّ دليلٌ خاصٌّ أَثراً أَو حُكْماً مُعيَّناً على عنوان جمادٍ بتوسُّط ذلك الجزء المُشْتَرَك بينه وبين الإِنسان ـ وهو: الجسم ـ وحصل قطع ويقين: أَنَّ ذلك الجزء المُشْتَرَك علَّة تامَّة لصبِّ ذلك الأَثر أَو الحُكْم سرَّىٰ العقل النظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إِلى الإِنسان من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ آخر.

٤ـ اِشْتِرَاك عنوان وماهيَّة وهويَّة وذات المَلَك والإِنسان في (العقل)[١]

(١) هناك جهة أُخرىٰ مُشْتَرَكة بين الإِنسان والملائكة ، وهي: لغة المعاني؛ فإِنَّها لغة التَّخاطب بينهما.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ [النساء: ٩٧].

٢ـ بيان قوله جلَّ ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾ [فصلت: ٣٠].

بل هذه اللُّغة مُشْتَرَكة أَيضاً بينهما وبين مخلوقات جمَّة ، فاللُّغَة المُشْتَرَكة بين الإِنسان والجنّ ، بل بينه وبين الحيوانات هي لغة المعاني ، فإِنَّ للحيوات درجة من درجات الاِشْتِرَاك في المعاني.

مثال ذلك: المعاني الوهميَّة ـ كالخوف ، والاِنبساط ، والغريزة ـ فإِنَّها كما هي موجودة لدىٰ الإِنسان والملائكة والجنّ موجودة أَيضاً لدىٰ سائر الحيوانات ، تحسُّ بها ، وتتعامل معها.

بل هناك لغة أُخرىٰ مُشْتَرَكة بين الإِنسان والملائكة والجنّ والحيوانات والنباتات ، بل كافَّة المخلوقات ، وهي: لغة الفطرة ، فإِنَّها لغة تكوينيَّة معنويَّة تفاعليَّة ، تُفسَّر وتُترجَم وتُبيَّن بها جمله الأَشياء والأُمور ، وهي أَسرع اللُّغات فهماً وأَكثرها شيوعاً وانتشاراً عند كافَّة المخلوقات ، وعلىٰ ضوء هذا يتمكَّن الإِنسان من تفسير حالات وظواهر عجيبة وغريبة تبدو بين المخلوقات مع اِختلاف أَجناسها وأَنواعها.

وهذا ـ أَي: بحث لغة الفطرة ـ باب وسيع ، ولغة من لغات المعارف ، ونظاماً من نظم أَبواب المعارف الجذَّابة والرَّائجة جِدّاً في العصر الرَّاهن ، وبها يُرتَّب ويُقرَّب ←

؛ فإنَّ هناك جهات مُشْتَرَكة بين المَلَك والإنسان ، منها: (العقل) ، فكما أَنَّ للمَلَك قوَّة فهم وعقلاً عمليّاً وقلباً كذلك للإنسان. **وعليه**: فتكون حقيقة المَلَك مطويَّة في ذات الإنسان ، وهذه الحقيقة قابلة في ذات الإنسان للشدَّة والضَّعف ؛ فقد تشتدُّ كمالاً أَو تفتر وتضعف وتخمد وتموت.

ومن ثَمَّ إذا صَبَّ دليلٌ خاصٌّ أَثراً أَو حُكْماً مُعيَّناً علىٰ عنوان مَلَكٍ بتوسُّط ذلك الجزء المُشْتَرَك بينه وبين الإنسان ـ وهو: العقل ـ ، وحصل قطع ويقين: أَنَّ ذلك الجزء المُشْتَرَك علَّة تامَّة لصَبِّ ذلك الأَثر أَو الحُكْم ؛ سرَّىٰ العقل النظري ذلك الأَثر أَو الحُكْم إلى الإنسان من دون حاجةٍ إلى دليلٍ آخر.

وبالجملة: إذا كانت هناك أَحكامٌ أَو آثارٌ مُترتِّبة علىٰ الشيء بلحاظ ذلك الجزء المُشْتَرَك ؛ فإذا دلَّ الدَّليل علىٰ ترتُّبها علىٰ أَحد المترادفين ، وحصل القطع أَنَّ ذلك الجزء المُشْتَرَك عِلَّة تامَّة لذلك الحُكْم أَو الأَثر ، فلا محالة حينئذٍ من دلالته علىٰ ترتُّبها علىٰ المرادف الآخر من دون حاجةٍ إلى دليلٍ آخر. كما لو دلَّ الدَّليل علىٰ ترتُّب أَثراً وحُكْماً مُعيَّناً علىٰ المَلَك بلحاظ كونه (عاقلاً) ـ كما

← البرهان لإثبات: (التَّوحيد) ، و(النُّبوَّة) ، و(الإمامة) ، و(المعاد) ، وقد شيَّدت بيانات الوحي هذا الباب ، وذَكَرَتها بعناوين مختلفة وكثيرة مقاربة لمعناها اللُّغوي ، منها: (الصِّبْغَة) و(الجِبِلَّة).

واستعمال لغة الفطرة أَحد أَسباب وأَسرار نجاح الأَنبياء والأَوصياء عليهم السلام لا سيما سيِّدهم نبيُّنا الأَكرم صلى الله عليه وآله في التَّأثير علىٰ البشريَّة؛ فإنَّهم اِهتمُّوا بها من بين سائر اللُّغات.

بخلاف سائر المُصلحين من البشر؛ فإنَّهم لا يستخدمونها ولا يهتمُّون بها غالباً.

تقدَّم ـ ، وحيث إِنَّ الإِنسان يشترك معه بهذا الجزء ، فإِذا جُزم بأَنَّ هذا الجزء المُشْتَرَك ـ وهو: العقل ـ علَّة تامَّة ـ لصَبِّ ذلك الحُكْم والأَثر فلا محالة حينئذٍ من دلالته وسريان ذلك الحُكْم والأَثر إِلى الإِنسان من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ آخر.

وهذه ليست تخيُّلات أَو تخرُّصات ، بل حقائق مُستفادة من الأَجزاء المُشْتَرَكة بين المخلوقات ، وبتوسُّط صناعة: (التَّحليل والتَّركيب).

[صناعة: (التَّحليل والتَّركيب)]

يُعبَّر عن آليَّة اِكتشاف الجزء المُشْتَرَك بـ: «صناعة التَّحليل والتَّركيب» ، وهي أَحد الصناعات الثلاث في الاِستدلال العقلي والطرق[1] للوصول إِلى البرهان ، المذكورة في علم المنطق:

أَحدها: (القياس الاِقْتِرَاني) بأَشكاله الأَربعة.

ثانيها: (الاِستقراء التَّام).

ثالثها: (التَّحليل والتَّركيب) ؛ فعندما يُعرَّف الإِنسان بصناعة التَّحليل والتَّركيب يُقال: هو: «جوهر ، جسم حسَّاس ، نامي ، مُتحرِّك بالإِرادة ، ناطق» ، وكُلُّ هذه المعاني وغيرها مُندكَّة ومُدمجة وملفوفة في (معنىٰ) لفظة الإِنسان ؛ لأَنَّ للعقل قدرة وهبتها له ومتعته بها يد السَّاحة الإِلٰهيَّة ؛ علىٰ كبس

---

(١) هذا عطف علىٰ كلمة (الصناعات) ، فتكون العبارة كالتَّالي: (وهي أَحَد الطرق للوصول إِلى البرهان...).

المعاني الكثيرة ودمجها وصهرها في معنىٰ واحد ؛ عبر قدرة الدَّمج والتَّركيب ، وله القدرة أَيضاً علىٰ تحليلها وتفكيكها ، فإِذا أَراد تحليل معناها الوحداني وتفكيكه وتفسيره فسوف يقول مثلاً: الإِنسان: «جوهر ، جسم حسَّاس ، نامي ، مُتحرِّك بالإِرادة ، مُدْرِك للكلِّيَّات» ، فبالنَّظرة الأَوَّليَّة وإِنْ كان المعنىٰ بسيطاً ، لكنَّه بصناعة التَّحليل تصبح معاني عديدة.

وهذا المنهج يوسِّع في اِستنطاق الأَدلَّة وتحليل مفادها ومعانيها بطرقٍ أَعمق وأَغور ، فلا يقتصر الاِستدلال ـ علىٰ وفق هذا المنهج ـ علىٰ الأَلفاظ المُشْتَرَكة وغيرها ، ولا علىٰ سطح المعاني ـ أَي: لا يقتصر علىٰ المعنىٰ المُتَّحِد في سطح الإِدْرَاك الأَوَّلي ـ وإِنَّما يعتمد[1] علىٰ المعنىٰ الـمُتَّحِد والمَطْوِيِّ بِخَفَاءٍ في طيَّاته معانٍ مُتعدِّدةٍ ، وهذا ـ المنهج والأُسلوب ـ يؤدِّي إِلى اِكتشاف الأَجزاء المُشْتَرَكةَ بين المعاني كنظام مُوحِّد بينها ، وهو اِكتشاف لبُنْيَان النظام في المعاني.

وعليه: فَمَنْ يلتفت في أَبواب المعارف إِلى التَّرادف العقلي فستتَّسع لديه دائرة المعارف ؛ إِذ البحث والمعنىٰ لا يدور مدار اللَّفظ الواحد ، بل ولا يدور مدار المعنىٰ الفارد.

وهذا المنهج في الاِستدلال ـ ناموس وقاموس المعرفة والمعارف ـ يأتي في كُلِّ العلوم ، كعلم: (العقائد) ، و(التَّفسير) ، و(الأَخلاق) ، و(فقه الفروع) ، وقد مارسه فحول الفقهاء ؛ فيُلاحظون ـ بعد التَّحليل علىٰ وفق الموازين العلميَّة ـ الأَثر والحُكْم المُنصبّ علىٰ الجهة المُشْتَرَكَة ، فإِذا جزموا بـ:

---

(١) أَي: الاِستدلال علىٰ وفق هذا المنهج.

أَنَّ تلك الجهة المُشْتَرَكَة عِلَّة تامَّة لذلك الحُكْم أَو الأَثر حكموا بدوران ذلك الحُكْم أَو الأَثر وراء تلك الجهة المُشْتَرَكَة ، ومن ثَمَّ أَيّنما وجدت تلك الجهة المُشْتَرَكَة وفي أَيِّ شأنٍ ومخلوقٍ صَبُّوا ذلك الحُكْم أَو الأَثر عليه من دون حاجةٍ إِلى دليلٍ آخر.

[مدرَسَة النَّصِّ : تمسُّكٌ بقوالب بيانات الوحي والغور فيها]

ومنه يتَّضح: أَنَّه حينما يُقال: إِنَّ مدرسة أَهل البيت عليهم السلام هي مدرسة النَّصِّ فليس معناه: حشويَّة وقشريَّة وحبوسيَّة علىٰ أَلفاظ نصوص بيانات الوحي الإِلٰهيّ ؛ وإِلَّا كيف كانت أُمّ التَّأويل بالحقِّ بِاعتراف الجميع ، وإِنَّما معناه: التَّمَسُّك بقوالب بيانات الوحي ، والغور في لُباب بحور وأَغوار معانيها الطَّمطَامة المُتلاطمة غير المتناهية ؛ فيكون أُفق مدرسة النَّصِّ ـ وهي مدرسة أَهل البيت عليهم السلام ـ غير متناهٍ أَيضاً. وهذا هو معنىٰ قاعدة: (التَّوقُّفيَّة) ، أَو (التَّوقيتيَّة) ، أَو (التَّعبُّديَّة) الواردة في باب الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، بل وسائر أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة ؛ فمِن جهةٍ يُتْمَسَّك بالنَّصِّ الوحياني ؛ ولا يُعْمَل الرَّأْي علىٰ خلافه ، ومِنْ جهةٍ أُخرىٰ يُفتح باب الإِجتهاد والغوص والغور في درجات وطبقات المعاني غير المتناهية لقوالب بيانات الوحي الإِلٰهيّ. ويُعبَّر عن هذا المنهج بـ: «علم التَّحليل».

ويحتاج الباحث في هذا المنهج إِلى: (تضلُّع) و(نباهة) و(التفات سريع) و(قدرة تحليلية للمعاني).

[عُمُوم عِلْم التَّحليل لِجُملة العلوم]

ثُمَّ إِنَّ علم التَّحليل يأتي في كُلِّ العلوم ، كعلوم: (المعارف) ، و(التَّفسير) ، و(الأَخلاق) ، و(فقه الفروع) ، و(السياسة) ، و(القانون) ، و(الطب) ، و(الأَمن والحسّ الأَمني) ، و(الفيزياء) ، و(الكيمياء) ، و(الرِّياضيات) ، و(الهندسة) ، و(الفلسفة) ، ويأتي أَيضاً في: الشُّبهات ، والحملات المُوَجَّهة: للأُطْرُوحات والمذاهب الدِّينيَّة ، والحوزات العلميَّة ، بل لمُطلق الدِّين ، سواء كان في عَالَم السياسة ، أَو عَالَم القانون ، أَو الجدل القانوني ، أَو المغالطة.

هذا هو التَّرادف العقلي المُستفاد من صناعة: (تحليل وتركيب المعنىٰ).

وهذا النوع من التَّرادف ـ كما تقدَّم ـ لا يتنافىٰ مع مدرسة النَّصِّ ، ولا يتنافىٰ مع قاعدة (التَّوقُّفيَّة والتَّوقيتيَّة والتَّعبُّديَّة) الجارية في باب الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة وسائر أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة.

وعلىٰ ضدِّه قامت مدرسة السَّقيفة وأَتباعها ، فمِنْ جهة يتمسَّكون بالرأي ، وَمِنْ جهةٍ أُخرىٰ يسدُّون باب الإِجتهاد.

بل وكذا عملت المدارس الفلسفيَّة ، فشعارها وإِن كان حُريَّة الرَّأي ، لكن واقعها الوقوف عند درجةٍ معيَّنةٍ ؛ لأَنَّهم فهموا الحقائق علىٰ وفق القدرة والطَّاقة البشريَّة ؛ وهي محدودة ، ولم يلتفتوا إِلى سَعَةِ وقدرة الوحي غير المتناهية.

بل وكذا عملت المدارس العرفانيَّة ؛ فإِنَّها تدور مدار المُكاشفات والمُشاهدات بحسب القدرة البشريَّة ، وتركت: (الوحي) ، و(القدرة الإِصطفائيَّة غير المتناهية وغير المحدودة) ، و(النُّبُوَّة) ، و(الإِمامة الإِلٰهيَّة).

وبالجملة: مدرسة الرَّأي ، ومدرسة الفلسفة ، ومدرسة العرفان وغيرها من المدارس البشريَّة جموديَّة وقشريَّة وحبوسيَّة ، وصاحبة نتاج بشريّ ضيّق ، فمِنْ جهةٍ هو: نتاج بشريّ في عُرْضَةِ الخطأ والضَّلال والزَّيغ والإنحراف ، ومن جهةٍ أُخرىٰ: نتاج محدود ومتناهي حبوسيّ قشريّ حشويّ.

بخلاف نتاج مدرسة الوحي الإلٰهيّ ـ وهي: مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ـ ؛ فإنَّه من جهةٍ هو: صَمَّام أَمَان ، ومن جهةٍ أُخرىٰ: مترامي في عدم التَّناهي وعدم المحدوديَّة ؛ وحينئذٍ يكون الإلتصاق به نجاة من الضلال والزَّيغ والإنحراف ، ونجاة من ضيق وحبس القدرة البشريَّة والضِّيق والمحدودية. **وعليه:** تكون العبوديَّة. بهذا المعنىٰ: تحرُّر وحرِّيَّة وانطلاق في رحاب غير المحدود وغير المتناهي.

إِذَنْ: واقع ما يُقال من حرِّيَّة الرَّأي وما شاكله في المدارس البشريَّة هو: حبس وسجن ؛ لإعتمادها علىٰ القدرة البشريَّة ، وهي ضيِّقة ومحدودة ومتناهية بضيق ومحدوديَّة وتناهي البشر وقواه ، بخلاف السيح والسياحة في بحور علوم الوحي غير المحدودة وغير المتناهية ؛ فإنَّها حرِّيَّة وتحرُّر من قيود المحدود والتَّناهي إلى رحاب بحور الأَنوار الخِضَم الزَّاخِرَة غير المحدودة وغير المتناهية.

وإلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ

﴿الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[١].

٢ـ بيان جلَّ قدسه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[٢].

٣ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[٣].

ودلالتها واضحة ؛ فإنَّ ألفاظ بيانات الوحي الإلٰهيّ الشَّريف وعَالَم التَّنزيل مهما بلغت محدودة ومتناهية ، لكنَّ الغور فيها وفي قوالب معانيها وحقائقها وعَالَم التَّأويل بحور نور طَمْطَامة غير محدودة وغير متناهية أزلاً وأبداً.

وما ذُكر من عدد في بيان قوله جلَّ قدسه ـ ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ ـ ليس المراد منه حقيقة العدد ، بل لبيان مُطلق الكثرة ؛ وأنَّه مهما بلغ مدد الأقلام فكلمات الله ومعانيها وحقائقها لا تنفد أبداً عبر طُرّ العوالم ، كحال بيان قوله تقدَّست أسماؤه: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٤] ، فَذِكْرُ السَّبعين كناية عن مُطلق الكثرة من دون أنْ تكون هناك خصوصيَّة للعدد ، ومِنْ ثَمَّ عُلِّل: بقوله تعالىٰ:

---

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) لقمان: ٢٧.

(٣) النحل: ٩٦.

(٤) التوبة: ٨٠.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهو لا يختلف بالِاستغفار وعدمه ، وبالِاستغفار قَلَّ أَم كثر.

وقد ورد في تفسير: ﴿كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ أَنَّها حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة وتتبعها طبقات حقائقهم المتوسِّطة والنَّازلة ، فتكون علوم مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ومعارفها وشؤونها وفضائلها وكمالاتها ومقاماتها غير محدودة وغير متناهية أَبد الآباد ودهر الدُّهور عبر جملة عوالم الخلقة غير المتناهية.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان تفسير الإِمام الهادي (صلوات اللّـه عليه): «... **وَأَمَّا قوله: ﴿وَلَوْ أَنَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ فهو كذلك ؛ لو أَنَّ أَشجار الدُّنيا أَقلام والبحر يمدَّه سبعة أَبحر وانفجرت الأَرض عيوناً لنفدت قبل أَنْ تنفد كلمات الله ... ونحن كلمات الله الَّتي لا تنفد ولا تُدرَك فضائلنا ...**»[1].

٤ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام ، عن عَلِيّ بن أَبي حمزة ، قال: «لا تعجب ، فما خفي عليكَ من أَمر الإِمام أَعجب وأَكثر ، وما هذا من الإِمام في علمه إِلَّا كطير أَخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء ، أَفترىٰ الَّذي أَخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟ قال: فإِنَّ الإِمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده ، وعجائبه أَكثر من ذلك ، والطير حين أَخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٠: ٣٨٦ـ ٣٩٠/ ح١. تحف العقول: ٤٧٦ـ ٤٨١.

شيئاً ، كذلك العَالِم لا ينقصه علمه شيئاً [١] ، ولا تنفد عجائبه»[٢].

ودلالته واضحة.

وهذه الحقيقة[٣] ـ كسائر حقائق المعارف والعقائد الإلٰهيَّة ـ ستتجلَّىٰ في عَالَم البرزخ ، وعَالَم الرَّجعة ، وعَالَم القيامة ، وعَالَم الآخرة الأَبديَّة وبعدها. فالتفت ، واغتنم تربت يداك.

[أَمثلة تطبيقيَّة]

ولتوضيح فكرة التَّرادف العقلي أَكثر نَذكر المثالين التَّطبيقيِّين التَّاليين:

المثال الأَوَّل:

نُكْتَة كُنْيَة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بـ: (أَبي القاسم)

ما ذكره الإِمام الرِّضا عليه السلام ، عن عَلِيّ بن الحسن بن فضَّال ، عن أَبيه ، قال: «سألتُ الرِّضا عليه السلام فقلتُ له: لِمَ كُنِّي النَّبيّ صلى الله عليه وآله بأَبي القاسم؟ فقال: **لأَنَّه كان له ابن يُقال له: قاسم ، فكُنِّي به** ، قال: فقلتُ: يابن رسول الله ، فهل تراني أَهلاً للزِّيادة؟ فقال: **نعم ، أَمَا علمتَ أَنَّ رسول الله** صلى الله عليه وآله **قال: «أَنا وَعَلِيّ**

---

(١) في نسخة: (شيء).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦: ١٩٠ـ ١٩١/ ح٢. قرب الإِسناد: ١٤٤.

(٣) إِشارة إِلى ما تقدَّم من أَنَّ حرِّيَّة الرأي المدَّعاة في مدارس البشر هي حبس وسجن ، بخلاف السّباحة في بحور الوحي فإِنَّها حريَّة وتحرّر في غير المتناهي.

أَبوا هذه الأُمَّة»؟ قلتُ: بلىٰ ، قال: **أَمَا علمتَ أَنَّ رسول الله** ﷺ **أَب لجميع أُمَّته ، وعليّ بمنزلته[1] فيهم؟** قلتُ: بلىٰ ، قال: **أَمَا علمتَ أَنَّ عليّاً قاسم الجنَّة والنَّار؟** قلتُ: بلىٰ ، قال: **فقيل له: أَبو القاسم ؛ لأَنَّه أَبو قاسم الجنَّة والنَّار ،** فقلتُ له: ما معنىٰ ذلك؟ فقال: **إِنَّ شفقة الرَّسول علىٰ أُمَّته شفقة الآباء علىٰ الأَولاد ، وأَفضل أُمَّته عَلِيّ** عليه السلام **، ومن بعده شفقة عَلِيّ** عليه السلام **عليهم كشفقته ؛ لأَنَّه وصيَّه وخليفته والإِمام بعده ، فلذلك قال** ﷺ: **«أَنا وَعَلِيّ أَبوا هذه الأُمَّة» ، وصعد النّبيُّ** ﷺ **المنبر فقال: «مَنْ ترك دَيناً أَو ضياعاً[2] فعَلَيَّ وَإِلَيَّ ، وَمَنْ ترك مالاً فلورثته» ، فصار بذلك أَولىٰ بهم من آبائهم وأُمَّهاتهم ، وصار أَولىٰ بهم منهم بأَنفسهم ، وكذلك أَمير المؤمنين** عليه السلام **بعده ، جرىٰ له مِثْل ما جرىٰ لرسول الله** ﷺ**»**[3].

وتقريب الدلالة واضح ؛ فإِنَّ الرَّاوي طلب من الإِمام عليه السلام بيان معنىٰ أَكثر غوراً وعمقاً من المعنىٰ الأَوَّل ، والإِمام عليه السلام قَبِل ، فَحَلَّل بصناعة

---

(١) في علل الشرائع: «وعَلِيّ عليه السلام فيهم بمنزلته). وفي عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام: «وَعَلِيّ عليه السلام منهم».

(٢) قال الجزري: «فيه مَنْ ترك ضِيَاعاً فإِلَيَّ ، الضِّيَاع: العيال ، وأَصله مصدر ضَيَاع يضيع ، فسُمِّي العيال بالمصدر ، كما تقول: من مات وترك فقراً ، أَي: فقرآء ، وإِنْ كُسِرَت الضَّاد كان جمع ضَائع كجَائع وجِيَاع». (البحار).

(٣) بحار الأَنوار ، ١٦: ٩٥/ح٢٩. علل الشرائع: ٥٣ـ ٥٤. معاني الأَخبار: ٢٠. عيون الأَخبار: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

التَّحليل معنىٰ: (الأُبوَّة) ، ومعنىٰ: (القاسم) ، ولاحظ الأَجزاء المُشتركة بين معاني الأُبوَّة ، ومعاني القاسم والمُتمثِّلة في الشَّفقة ، وسَرَّ عليه السلام ـ بتوسُّط هذا الجزء المُشترك ـ أَثر وحُكْم أَحدهما للآخر.

المثال الثَّاني:

قاعدة: «لا تجعلونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ولن تبلغوا»

سند قاعدة: «**لا تجعلونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شِئْتُم فإِنَّكم لا تبلغون كُنْه ما فينا ولا نهايته ... لا تسمُّونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شِئْتُم ؛ فإِنَّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله الله لنا ، ولا معشار العشر**»[1].

وهذه قاعدة كليَّة ، وحيانيَّة وعقليَّة ، عقائديَّة ومعرفيَّة وكلاميَّة ، مُترامية الأَطراف ، قُرِّر فيها: عدم تناهي حقائق وفضائل أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وكمالاتهم ومقاماتهم وشؤونهم ؛ فإِنَّها دالَّة علىٰ أَنَّ جميع ما ثبت للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة من فضائل وكمالات ومقامات وشؤون غير متناهية ثابتة لهم (صلوات اللّـه عليهم) إِلَّا الأُلوهيَّة ؛ لخروجها تخصُّصاً وموضوعاً.

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ بيان هذه القاعدة يُريد أَنْ يُثْبِت: أَنَّ المخلوق إِذا جعل أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) مخلوقين ومألوهين ومربوبين استوت لديه هذه القاعدة ، وحينئذٍ كُلّ ما خطر علىٰ باله أَو أَتَىٰ بوصفٍ

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦: ١ـ٧/ ح١.

وفضيلةٍ وكمالٍ وعُلُوِّ شأنٍ ومقامٍ في حقِّهم (صلوات اللّـه عليهم) ؛ سوآء سمعها من معصومٍ أَم لا كان جميع ذلك حقّ ، لكن جميع ذلك أَدنىٰ مِمَّا يتمتَّعون به (صلوات اللّـه عليهم) ؛ فإِنَّ ما يتمتَّعون به من أَوصافٍ وفضائلٍ وكمالاتٍ ، وعُلُوِّ شؤونٍ ومقاماتٍ ؛ عبر جملة العوالم والنَّشَآت غير متناهي وغير محدودٍ أَبد الآباد ودهر الدُّهور.

لكن: مضمون هذه القاعدة مخيف لدىٰ مَنْ ليس له تضلُّع وتبحُّر في المباحث المنهجيَّة ونظريَّة المعرفة في العلوم الدينيَّة وتراث الوحي ، ومن ثَمَّ اِستوحش منها الكثير إِلى حَدٍّ أَنَّ الشَّيخ مُحَمَّد تقي التستري ـ مع ما له من تضلُّعٍ وتبحُّرٍ في التَّتبُّع ، لكنَّ تضلُّعه وتبحُّره في التَّتَبُّع ـ أَخفق في المقام فأَنكر مصدر هذه القاعدة وادَّعىٰ: أَنَّ بيان هذه القاعدة حديث موضوع لا سند له.

لكنَّ الحقّ وما ثبت بالاِستقراء اليسير ـ من خلال مراجعة مصدرين من مصادرنا الروائيَّة ، وهما: بصائر الدرجات ، وأُصول الكافي ، ولم تُراجع سائر المصادر كـ: توحيد الصدوق ، وعيون أَخبار الرِّضا عليه السلام ، ومختصر البصائر ، واحتجاج الطبرسي ، وتفسير القُمِّي وغيرها الجمّ الغفير من مصادرنا الروائيَّة في القرن الثَّالث والرَّابع والخامس الهجري فوجدنا ـ: أَنَّ لها في هذين المصدرين اِثني عشر طريقاً ، بل هذه القاعدة موجودة أَيضاً في كتاب الكشِّي[1] ، لكن بأَلفاظٍ مُتعدِّدةٍ بينها ترادف عقليّ ، بل لفظيّ.

---

(١) لا بأس بالاِلتفات: أَنَّ كتاب الكشي كتاب عظيم جِدّاً ، ولا يختصُّ بعلم الرِّجَال ، بل فيه معارف وعقائد ، ويُعطي بصيرة عظيمة وثاقبة ، وقد أَوصىٰ بقراءته كُبَّار ←

ولو سلَّمنا بما ذكره التستري فيُمكن إثبات تواتر هذه القاعدة عقلاً وبفكرة التَّرادف العقلي ، وذلك ببيان مُركَّب من مُقدِّمتين:

الأُولىٰ: أَنَّ هناك براهين وحيانيَّة وافرة ، بالغة حدّ التَّواتر اللَّفظي ، بل والعقلي ، بل والوحياني ، مورثة للقطع واليقين اللَّفظي ، بل والعقلي ، بل والوحياني ، بل بالغة حدّ الضرورة النقليَّة والعقليَّة والوحيانيَّة ، دالَّة علىٰ أَنَّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) عِللٌ فاعليَّةٌ ووسائطُ فيض لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات غير المتناهية ، من بداية الخلقة إِلى ما لا نهاية له.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، عن جابر بن عبدالله ، قال: «قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أَوَّل شيء خلق الله تعالىٰ ما هو؟ فقال: **نور نبيُّكَ يا جابر ، خلقه الله ثُمَّ خلق منه كُلّ خيرٍ...**»[1].

ودلالته واضحة علىٰ أَنَّ طبقات حقائق سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة وسائط فيض إِلٰهيَّةً.

ثانياً: بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «**... فنحن الأَوَّلون ونحن الآخرون ... ونحن يمين الله ... ونحن مفاتيح الرَّحمة ، ونحن ينابيع النِّعمة ... ونحن الكفاة والولاة والحياة والسّقاة والرّعاة ...**»[2].

← العلماء جيلاً بعد جيل ، ومن يُكرِّر قراءته ثلاث أَو أَربع مَرَّات فسيقف علىٰ أَسرار في مدرسة ومنهاج أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، ويقف علىٰ مذاقهم عليهم السلام.

(١) بحار الأَنوار ، ٥٤: ١٧٠/ح١١٦. رياض الجنان: (مخطوط).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢٢/ح٣٨. رياض الجنان: (مخطوط).

ثالثاً: بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **فإِنّا صنائع ربّنا والنَّاس بعد صنائع لنا ...**»[١].

رابعاً: بيانه عليه السلام أَيضاً: «**أَنا دحوتُ أَرضها ، وَأَنشأتُ جبالها ، وفجرتُ عيونها ، وشققتُ أَنهارها ، وغرستُ أَشجارها ، وأَطعمتُ ثمارها ، وأَنشأتُ سحابها ، وأَسمعت رعدها ، ونوَّرتُ برقها ، وأَضحيتُ شمسها ، وأَطلعتُ قمرها ، وأَنزلتُ قطرها ، ونصبتُ نجومها ، وأَنا البحر القَمْقَام الزَّاخِر ، وسكنتُ أَطوارها ، وأَنشأتُ جواريّ الفُلك فيها ، وأَشرقتُ شمسها ، وأَنا جنب الله وكلمته ، وقلب الله وبابه الذي يؤتىٰ منه ، ادخلوا الباب سجداً أَغفر لكم خطاياكم وأَزيد المحسنين ...**»[٢].

خامساً: بيانه عليه السلام أَيضاً: «**... أَنَا الَّذي حملتُ نوحاً في السفينة بأَمر ربِّي ، وَأَنا الَّذي أَخرجتُ يونس من بطن الحوت بإِذن ربِّي ، وَأَنا الَّذي جاوزتُ بموسىٰ بن عمران البحر بأَمر ربِّي ، وأَنا الَّذي أَخرجتُ إِبراهيم من النَّار بإِذن ربِّي ، وَأَنَا الَّذي أَجريتُ أَنهارها ، وَفَجَّرتُ عيونها ، وغرستُ أَشجارها بإِذن ربِّي ، وأَنَأ عذاب يوم الظُّلَّة ... إِنِّي لأَسمع كُلّ قوم[٣] الجبَّارين والمنافقين**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٣: ٥٧ـ ٥٨/ ح٣٩٨. الاحتجاج ، ١: ٢٦٠. وعلىٰ منواله: بيان الناحية المُقدَّسة: بحار الأَنوار ، ٥٣: ١٧٨/ ح٩.

(٢) بحار الأَنوار ، ٣٩: ٣٤٨/ ح٢٠.

(٣) في نسخة: (كلّ يوم).

بلغاتهم ... وَأَنَا مُعَلّم سليمان بن داود ... وَأَنا قدرة الله ﷻ ...»[١].

سادساً: بيان الإِمام عَلِيّ بن الحسين عليهما السلام: «**... فنحن معانيه ومظاهره فيكم ، اخترعنا من نور ذاته ، وفوض إِلينا أُمور عباده ، فنحن نفعل بإِذنه ما نشاء ، ونحن إِذا سئنا شاء الله ، وإِذا أَردنا أَراد الله ...**»[٢].

سابعاً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**... وجعلنا عينه في عباده ، ولسانه النَّاطق في خلقه ، ويده المبسوطة علىٰ عباده بالرَّأفة والرَّحمة ، ووجهه الَّذي يؤتىٰ منه ، وبابه الَّذي يدلُّ عليه ، وخُزَّانه في سمآئه وأَرضه ، بنا أَثمرت الأَشجار ، وأَينعت الثمار ، وجرت الأَنهار ، وبنا أَنزل**[٣] **غيث السَّمآء ، ونبت عشب الأَرض ...**»[٤].

ثامناً: بيان النَّاحية المُقدَّسة: «**... ونحن صنائع ربنا ، والخلق بعد صنائعنا ...**»[٥].

تاسعاً: بيان زيارة سيِّد الشهداء عليه السلام: «**... بكم فتح الله وبكم يختم الله ،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦: ٥/ ح١.

(٢) المصدر نفسه: ١٤/ ح٢.

(٣) في المصدر: (نزل).

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٤: ١٩٧/ ح٢٤. توحيد الصدوق: ١٤٠ـ ١٤١.

(٥) بحار الأَنوار ، ٥٣: ١٧٩ـ ١٨٠/ ح٩. غيبة الشيخ: ١٨٤ـ ١٨٥. الإِحتجاج: ٢٥٣.

وبكم يمحو الله ما يشاء ، وبكم يُثبت ... وبكم تنبت الأَرض أَشجارها ، وبكم تخرج الأَشجار أَثمارها ، وبكم تنزل السَّمآء قطرها ورزقها ، وبكم يكشف الله الكرب ، وبكم ينزل الله الغيث ، وبكم تُسَبِّح الله الأَرض الَّتي تحمل أَبدانكم ، وتستقل جبالها علىٰ مراسيها ، إِرادة الرَّبّ في مقادير أُموره تهبط إِليكم ، وتصدر من بيوتكم...»[1].

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة ولا غبار عليها ؛ علىٰ أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة عِلل فاعليَّة إِلٰهيَّة ، ووسائط فيض إِلٰهيَّة لكافَّة العوالم وجميع المخلوقات غير المتناهية ؛ من بداية الخلقة والوجود إِلى مالانهاية له.

وتأويل المعصوم عليه السلام لبعض هذه الأَلفاظ وحملها علىٰ معانيها الـمجازيَّة ؛ أَو علىٰ طبقات حقائها النَّازلة ذلك إِذا ظهرت أَمارات عدم تحمُّل السَّامع لمعانيها الحقيقيَّة ، ودفعاً لمحذور واحتمال: الوقوع في الضَّلال والزَّيغ والإِنحراف يؤوِّلها عليه السلام ويحملها علىٰ معانيها المجازيَّة ؛ أَو علىٰ طبقات حقائقها النَّازلة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن بكير بن أَعين ، قال «... **والله ، إِنِّي لأَعلم ما في السَّماوات ، وأَعلم ما في الأَرض ، وأَعلم ما في الدُّنيا ، وأَعلم ما**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٨: ١٥٣. كامل الزيارات: ١٩٧.

في الآخرة ، فرأَىٰ تغيُّر جماعة ، فقال: يا بكير ، إِنِّي لأَعلم ذلك من كتاب الله تعالىٰ ، إِذ يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1]»[2].

ثانياً: بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن الحارث بن المغيرة وعِدَّة من أَصحابنا ، فيهم: عبد الأَعلىٰ ، وعبيدة بن عبد الله بن بشر الخثعمي ، وعبد الله بن بشر ، سمعوا أَبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إِنِّي لأَعلم ما في السَّماوات ، وأَعلم ما في الأَرض ، وأَعلم ما في الجنَّة ، وأَعلم ما في النَّار ، وأَعلم ما كان وما يكون.** قال: ثُمَّ مكث هنيئة ، فرأَىٰ أَنَّ ذلك كبر علىٰ من سمعه ، فقال: **علمتُ من كتاب الله ، إِنَّ الله يقول: «فيه تبيان كلّ شيء»** »[3].

ود لالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

وهذا بخلاف مَنْ يتحمَّل بيانات: علومهم ومعارفهم وفضائلهم وكمالاتهم ومقاماتهم وشؤونهم (صلوات اللّـه عليهم) ـ كـ: سلمان ، وأَبي ذر ، وجابر بن يزيد الجعفي ـ فإِنَّه عليه السلام يُبقيها علىٰ معانيها الحقيقيَّة من دون تأويل وحمل علىٰ معانيها المجازيَّة.

فلاحظ واعد الكرَّة علىٰ ما تقدَّم ، بل ما سيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) فستجد صدق ما نقول واضحاً ؛ فإِنَّكَ لا تجد البَتَّة بياناً وحيانيّاً ذُكرت فيه علوم ومعارف أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، ومقاماتهم وفضائلهم

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦: ٢٨/ ح٢٩. مناقب آل أَبي طالب ، ٣: ٣٧٤.

(٣) بصائر الدرجات ، ١: ٢٦٤/ ح٤٩٧ ـ ٥. الكافي ، ١: ٢٦١/ ح٢.

وكمالاتهم وعُلُوّ شؤونهم وأَحوالهم المهولة والخطيرة جِدّاً ، والَّتي لا يتحمَّلها إِلَّا ملك مُقرَّب ، أَو نبيّ مُرسَل ، أَو مؤمن امتحن الله قلبه للإِيمان ، وكان طرفه أَحد حواريّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) حمله الإِمام عليه السلام المباشر علىٰ معانيه المجازيَّة ، وتلك بياناتهم عليهم السلام فاطرقها تجد ما ذكرناه واضحاً.

خلاصة هذه المُقدِّمة: أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة: علل فاعليَّة إِلٰهيَّة ؛ ووسائط فيض إِلٰهيَّة لطُرِّ العوالم وجملة المخلوقات غير المتناهية ، من بداية الخلقة والوجود إِلى ما لا نهاية له.

المُقدِّمة الثانية: هناك قاعدة معرفيَّة ، وحيانيَّة وعقليَّة ، قُرِّرت في بيانات الوحي الإِلٰهيّ ، وهي: «أَنَّ مَنْ وصف شيئاً بكُنْه كان أَعظم من الموصوف». وهي تنحلُّ إِلى قاعدتين:

الأُولىٰ: «إِنَّ مَنْ وصف شيئاً بالكُنْه فقد أَحَاط به».

الثَّانية: «إِنَّ مَنْ أَحَاط بشيءٍ كان أَعظم منه»[1].

ويدلُّ عليها: بيانات وحيانيَّة وعقليَّة وافرة ، منها:

١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «... **مَنْ حَدَّ شيئاً فهو أَكبر منه**»[2].

---

(١) مَنْ أَراد الاِطِّلاع أَكثر علىٰ بيان وتفصيل هذه القاعدة ، والاِطِّلاع أَكثر علىٰ أَدلَّتها فليراجع ما سيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) في مباحث الصفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، المقصد الثالث ، باب التَّوحيد.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢: ١٩٤. بصائر الدرجات ، ١: ٦٨/ ح١٠٠ ـ ١٥.

٢ـ بيانهم عليهم السلام: «**إِنَّ الله تبارك وتعالىٰ لا يُوصَف ، ورسوله لا يُوصَف ، والمؤمن لا يُوصَف ، فمَن احتمل حديثهم فقد حدَّهم ، وَمَنْ حدَّهم فقد وصفهم ، وَمَنْ وصفهم بكمالهم فقد أَحاط بهم ؛ وهو أَعلم منهم**»[1].

ومعناه: أَنَّ المخلوق بعدما كان ما معلولاً فلا يُمكنه وصف كُنْه عِلَّته ، وإِلَّا لزم إِحاطته به[2] ، ولازمه أَعظميَّة المعلول وَأَشرفيَّته مِنْ عِلَّته ، وتقدُّمه عليها. لكنَّه: باطل بالضَّرورة. فإِذا بطل التَّالي فالمُقدَّم مِثْله.

والنتيجة: أَنَّ أَهل البيت عليهم السلام بعدما كانوا عِلَلَ فيضٍ إِلٰهيَّةٍ فاعليَّةٍ لجملة المخلوقات ، فمهما بالغ المخلوق في وصفهم ، وذكر فضائلهم وكمالاتهم ، ومقاماتهم ومراتبهم وشؤونهم فلن يبلغ كُنْهها وحدّها ونهايتها أَزلاً وأَبداً.

هذا هو مضمون بيان القاعدة الكريمة ؛ وبيان الحديث الوحياني العقلي الشَّريف الَّذي أَنكره المُحَقِّق التستري.

وحيث إِنَّ هذه النتيجة قطعيَّة ويقينيَّة ؛ لقطعيَّة ويقينيَّة ذينك المقدِّمتين ، فيكون مضمون الحديث الشَّريف الَّذي أَنكره التستري قطعيّاً ويقينيّاً أَيضاً ؛ لوحدة المضمون ، وهو المطلوب.

---

(١) بصائر الدرجات ، ١: ٦٧/ ح١٠٠ ـ ١٥.

(٢) مرجع الضمير: (كُنْه العلَّة).

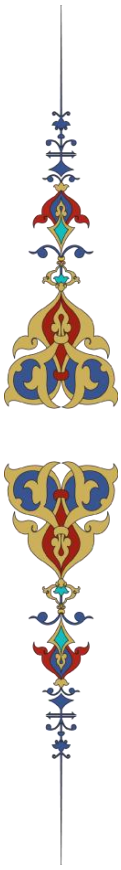

النَّحو الثَّالث:

التَّرادف الوجودي

المراد من التَّرادف (الوجودي التَّكويني العيني الإِرتباطي والتَّلازمات الواقعيَّة): تقارن وتلازم واتِّحاد تكويني في اللَّوازم الوجوديَّة والمعاني الإِلتزاميَّة ، بمعنىٰ: وحدة الإِرتباط والعلائق ، سوآء أَكان ذلك التَّلازم في المعنىٰ أَو في الوجود ، فإِنَّ اللَّوَازِم دائماً تُحيط بالمعنىٰ ، نظير إِحاطة المنظومات الشَّمسيَّة بالشَّمس.

وبعبارة أُخرىٰ: هذا النَّحو من التَّرادف لا يعتمد علىٰ وحدة تمام المعنىٰ أَو المعنىٰ الظاهر كما في التَّرادف اللُّغوي (اللَّفظي) ، ولا يعتمد علىٰ الجزء المُشْتَرَك من المعنىٰ وإِنْ كان خفيّاً كما في التَّرادف العقلي (المعنوي) ، بل ولا يعتمد علىٰ الوحدة في المعنىٰ أَصلاً ، وإِنَّما يعتمد علىٰ وجود الرَّابطة الوجوديَّة بين شيئين وإِنْ لم يكن بينهما رابطة وارتباط في المعنىٰ أَصلاً.

وهذا النحو من التَّرادف خفيٌّ وغير معروفٍ ، ورُبَما حصلت تحقيقات أَخيرة في بحوث المعرفة تفتح أَبواب الفهم والاستدلال عليه ، مع أَنَّه هائل ومهول وخطير جِدّاً ؛ لكون عَالَم التَّرابط الوجودي للمعاني عَالَماً شاسعاً ومُهمّاً ؛ يَصبُّ في بحث المنطق ، وبحث المنهج ، وبحث الإِستِدلال ، ولا ربط له بالأَصوات ، وإِنَّما ربطه بمنظومة الإِرتباطات الوجوديَّة للمعاني.

ورغم صعوبة اِكتشاف التَّرادف العقلي لا سيما مع إِختلاف درجاته[١] في الخفاء ، لكن اِكتشاف هذا النحو من التَّرادف أَصعب بكثير مِنْ اِكتشاف التَّرادف العقلي ؛ لكونه يتخطَّىٰ عالم المعنىٰ إِلى تقصِّي العينيَّة الواقعيَّة ؛ وملاحظة الآثار والتَّأثيرات في الوجود ، وملاحظة التقارن: هل كان بسبب الملازمة والتَّسبُّب في التَّأثير أَو لا.

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ منظومة الوجود وأَنْظِمَته أَوسع ترابطاً بين الأَشياء المختلفة من ترابط الأَشياء في جانب معانيها اللُّغويَّة وذاتيَّاتها ، فإِنَّ التَّرابط بين الأَشياء في جانب المعنىٰ من ناحية ذواتها ـ أَجناساً كانت ذواتها أَم أَنواعاً أَم أَصنافاً ـ أَضيق دائرة من ترابطها في جانب الوجود العيني.

والخلاصة: أَنَّ أُفق التَّرادف العقلي أَوسع من أُفق التَّرادف اللُّغوي ، وأُفق التَّرادف الوجودي أَوسع من أُفق التَّرادف العقلي (المعنوي) ، وبالأَولى يكون أَوسع من أُفق التَّرادف اللُّغوي ، فتكون النِّسْبَة المنطقيَّة بينهما وبين التَّرادف الوجودي العموم والخصوص المُطلق ؛ فإِنَّ التَّرادف الوجودي أَعَمُّ مطلقاً منهما ، فيكون كُلّ ترادفٍ لغويٍّ أَو عقليٍّ هو ترادف وجوديّ ولا عكس.

مثاله في التلازمات التكوينيَّة الحاصلة بين حقائق المعاني: التَّحسين ، والرَّغبة ، والميل ، والشوق ، والمحبَّة ، والودّ ، والولاء ، والتولِّي ، والرَّجاء. فهذه الحقائق إِضافة لترادفها العقلي مترادفة أَيضاً بالتَّرادف الوجودي

---

(١) مرجع الضمير: (التَّرادف العقلي).

التَّكويني بلحاظ: لوازمها ، ومصاديقها ، ووجوداتها الخارجيَّة.

مثاله في التَّلازمات الماديَّة: وحدة نظام حلقات الطبائع في الأَرض ـ الدورة الطبيعيَّة في الأَرض كما هو المُصطلح في علم الأَحياء ـ ؛ فالمياه ـ مثلاً ـ تؤثِّر علىٰ الهواء والتُّربة ، وكذا العكس.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام في ردِّه علىٰ بعض أَهل الأَديان في الخبر المشتهر بالإِهْلِيلَجَة[2] ، قال عليه السلام: «... **إِنْ أَريتكَ التدبير مؤتلفاً بالحكمة والإِتقان ، معتدلاً بالصنعة ، محتاجاً بعضه إِلى بعض ، مُتَّصِلاً بالأَرض الَّتي خرجت منه الإِهْلِيلَجَة في الحالات كلّها أَتقرُّ بخالق ذلك؟ قال: إِذَنْ لا أَشكُّ في الوحدانيَّة ، قلتُ: فافهم وافقه ما أَصِفُ لكَ: أَلستَ تعلم أَنَّ الأَرض مُتَّصِلة بإِهْلِيلَجَتكَ ، وإِهْلِيلَجَتكَ مُتَّصِلة بالتُّراب ، والتُّراب مُتَّصِل بالحرِّ والبرد ، والحرِّ والبرد مُتَّصِلَان بالهواء ، والهواء مُتَّصِل بالرِّيح ، والرِّيح**

---

(١) الروم: ٢٤.

(٢) الإِهْلِيلَجَة: شجر ينبت في بلاد الهند وكابل والصين ، وثمره علىٰ هيئة حَبِّ الصَّنوْبَر الكبار؛ معروف منه أَصفر ومنه أَسود ، وهو ينفع من الخوانيق ، ويحفظ العقل ، ويزيل الصداع ، واللَّفظ هندي ، والعامَّة تُسقط الهمزة.

والإِهلِيج: عقير من الأَدوية ، تعريب: (هلِيلَة).

مُتَّصِلة بالسَّحَاب ، والسَّحَاب مُتَّصِل بالمطر ، والمطر مُتَّصِل بالأَزمنة ، والأَزمنة مُتَّصِلة بالشَّمس والقمر ، والشَّمس والقمر مُتَّصِلان بدوران الفَلَك ، والفَلَك مُتَّصِل بما بين السَّمآء والأَرض ، صنعة ظاهرة ، وحكمة بالغة ، وتأليف مُتقن ، وتدبير مُحكم مُتَّصِل ، كُلّ هذا ما بين السَّمآء والأَرض ، ولا يقوم بعضه إِلَّا ببعضٍ ، ولا يتأَخَّر واحد منهما عن وقته ، ولو تأخَّر عن وقته لهلك جميع مَنْ في الأَرض من الأَنام والنباتات؟ قال: إِنَّ هذه لهي العلامات البيِّنات ، والدلالات الواضحات الَّتي يجري معها أَثر التَّدبير بإِتقان الخلق والتَّأليف مع إِتقان الصنع ، لكنِّي لستُ أَدري لعلَّ ما تركتَ غير مُتَّصِل بما ذكرتَ. قلتُ: وما تركتُ؟ قال: النَّاس. قلتُ: أَلستَ تعلم أَنَّ هذا كلّه مُتَّصِل بالنَّاس ، سخره لها المدبِّر الَّذي أَعلمتُكَ أَنَّه إِنْ تأخَّر شيء مِمَّا عددتُ عليكَ هلكت الخليقة ، وباد جميع ما في الحديقة ، وذهبتْ الإِهْلِيلَجَة الَّتي تزعم أَنَّ فيها منافع النَّاس؟ ...»[1].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

مثاله في التَّلازمات بين الجانب المعنوي والجانب المادِّي: ما أَشارت إِليه بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها:

١ـ بيان قوله تقدَّست أَسماؤه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣: ١٩٠/ ح١.

(٢) الروم: ٤١.

٢ـ بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[١].

٣ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن**»[٢].

٤ـ بيان الدُّعاء: «... **أَسأَلُكَ اللَّهُمَّ ... أَنْ تُصلِّي علىٰ مُحمَّد وآله وأَنْ تغفر لي الذُّنوب الَّتي تُغيِّر النِّعم، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تُحدث النِّقم، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تحبس القسم، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تهتك العصم، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تمنع العطاء، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تُنزل البلاء، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تحجب الدُّعاء، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تُعَجِّل الفناء، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تقطع الرَّجاء، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تورث الشَّقاء، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تظلم الهواء، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تكشف الغطاء، وتغفر لي الذُّنوب الَّتي تحبس قطر السَّمآء ...**»[٣].

ودلالة الجميع واضحة ولا غبار عليها.

[خلاصة ما تقدَّم]

وزبدة المخض: أَنَّه لا يمكن للباحث في أَبواب المعارف التَّحقيق والوصول لحقيقة معيَّنة؛ والتثبُّت منها عبر لسان فارد، وإِلَّا وقع في خطأٍ

---

(١) الأَعراف: ١٥٢.

(٢) بحار الأَنوار، ٦٦: ٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ٩٢: ٤٣٥ـ٤٣٦.

فاحشٍ ، بل لا تتمُّ نباهة الباحث في أَبواب المعارف ولا تتوسَّع أَبحاثه ، ولا يصل إِلى النتائج الحقَّة ـ بالموازين العلميَّة ، والشواهد والدلالات المُعتبرة علميَّة أَو لفظيَّة ؛ بحيث لا تتناقض تلك النتائج ولا تتخالف مع مُحكمات الدِّين ـ إِلَّا بعد الإِلتفات إِلى: (التَّرادف اللُّغوي اللَّفظي) ، و(التَّرادف العقلي المعنوي) ، و(التَّرادف الوجودي التَّكويني والتَّلازمات الواقعيَّة).

وهذا هو الفارق بين تجديد الدِّين وإِحيائه ، والبِدْعَة والإِنحراف عن جادَّة الإِستقامة ؛ فمَا وافق مُحكمات وبديهيَّات الكتاب الكريم ؛ ومُحكمات وبديهيَّات السُّنَّة الشَّريفة فخذوه ، وما خالفهما فذروه.

وهذه الضَّابطة لا تختصُّ بعلوم الوحي الإِلٰهيّ ، بل تشمل أَيضاً طُرّ العلوم ، فالبحث في علم: (الفيزياء) ، و(الكيمياء) ، و(الرياضيَّات) ، و(الهندسة) ، و(الطب) وغيرها ، وتَبَنِّي نظريَّاتها وَأَبحاثها لا يمكن أَنْ يكون حقّاً إِلَّا إِذا لم يتصادم مع بديهيَّات ذلك العلم ؛ فإِنَّ بديهيَّات العلوم وحي مُنْزَل ، فـإِذا تطابقت وتوافقت وتناغمت وتلائمت وترابطت هـذه الأَبحاث ، والنَّتائج ، والنَّظريَّات مع بديهيَّات العلم فدليل علىٰ استخراجها من كبد وكنوز البديهيَّات ؛ فتكون حقَّة ، وهذا هو معنىٰ: تنامي وتطوُّر العلوم ، فإِنَّه يعني: فَتَقَ واِسْتِخْرَاج ما في كنوز البديهيَّات.

إِذَنْ: لا بُدَّ من الرجوع إِلى المُحْكَمَات والبديهيَّات ؛ فإِنَّهَا الميزان والمنبع.

نعم ، لَـمَّا كانت المُحْكَمَات والبديهيَّات بنود إِلٰهيَّة اِحْتَاجَت إِلى مُعَلِّمٍ إِلٰهيٍّ.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[١].

٢ـ بيان حديث الثقلين الوارد عن سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**أَيُّها النَّاس ، إِنِّي تارك فيكم ما إِنْ أَخذتم به لن تضلوا بعدي: أَمرين أَحدهما أَكبر من الآخر: كتاب الله ؛ حبل ممدود ما بين السَّماء والأَرض ، وعترتي أَهل بيتي ، وإِنَّهما لن يفترقا حتَّىٰ يردا عَلَيَّ الحوض**»[٢].

[المرادفات اللُّغويَّة والعقليَّة والوجوديَّة تأتي في فقه الفروع]

وهذه القضيَّة تأتي في أَبواب فقه الفروع أَيضاً ، فإِنَّ مَنْ يجمد علىٰ الأَلفاظ ولا يتعامل مع مرادفاتها: (اللُّغويَّة) ، و(العقليَّة) ، و(الوجوديَّة والتَّلازمات الواقعية) فقد شَطَّ عن الحقيقة ، وارْتَكَب جريمة علميَّة ، وصار حشويّاً وقشريّاً ، أَخباريُّ المسلك كان أَم أُصوليّاً ، شعر بذلك أَم لا.

[عصارة ما تقدَّم]

وبالجملة: لا يصحُّ للباحث إِذا أَراد الوصول لحقائق الدِّين وغيرها التَّشبُّث بالقشر وسطع وظاهر الأَدلَّة فحسب ، بل لابُدَّ من التَّوَغُّل والغَوْرِ ـ بالموازين والشَّواهد العلميَّة ـ في بطون معانيها وحقائقها بحيث لا تتناقض ولا تتصادم النتائج مع مُحكمات الدِّين.

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٣: ١٥٢/ح١١٤. الدر المنثور ، ٢: ٦٠.

وإلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في وصيَّته لأَمير المؤمنين عليه السلام: «**يا عَلِيّ ، إِنَّ هذا الدِّين متين فأَوغل فيه برفق ...**»[١].

ثانياً: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «إِنَّ قوماً آمنوا بالظَّاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء ، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظَّاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً ، ولا إِيمان بظاهرٍ إِلَّا بباطنٍ ، ولا بباطنٍ إِلَّا بظاهرٍ»[٢].

ودلالتها واضحة.

[نظرة الحشويَّة وأَصحاب القشر والظَّاهر]

ثُمَّ إِنَّ مَنْ يكون ديدنه النَّظر بنظرةٍ سطحيَّةٍ لبيانات الوحي الإِلٰهيّ لا يلتفت إِلى هذه الأَقسام الوسيعة من التَّواتر ، ولا يُؤمن بها ، بل يعدُّها ثلمة علميَّة ومعرفيَّة علىٰ مَنْ يعمل بها. فالتفت.

(١) بحار الأَنوار ، ٦٨: ٢١٤/ ح٨. الكافي: ٢: ٨٧.

(٢) بحار الأَنوار ، ٦٩: ٩٧/ ح١٣. بصائر الدرجات ، ٢: ٥١٨/ ح١٨٩٦ـ ٥. مختصر البصائر: ٧٨.

المسألة: (١٤/٥)

[ضبط حدود وكُنْه المعاني لا يتمُّ إلاَّ بالمعصوم عليه السلام]

هناك قاعدة معرفيَّة ترد في نظريَّة المعرفة وأَبواب المعارف مُهمَّة وعَقَبَة كَؤوْد ، اِعْتَرَفَ بها كثير من أَصحاب المدارس البشريَّة ، كالمناطقة والفلاسفة[1] ، حاصلها: «إِنَّ ضبط المعاني لدىٰ البشر من أَشكل المُشكلات»

---

(١) ينبغي الاِلتفات في المقام إِلى الأُمور التالية:

الأَمر الأَوَّل:

تطوُّر التَّحقيقات لدىٰ أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام بين فترة وأُخرىٰ

تنشأ في كُلِّ فترةٍ زمنيةٍ لدىٰ علماء أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام في المنهج الكلامي والمنهج الفلسفي والعرفاني حالة تدقيق وتحقيق وتجديد ، وتحصل من خلالها تجاذبات ومعارك علميَّة تتطوَّر علىٰ إِثْرِها التَّدقيقات والتَّحقيقات أَكثر فأَكثر.

الأَمر الثَّاني:

بين ما تعرَّض إِليه المُتكلِّمون والفلاسفة العموم من وجهٍ

←

إنَّ النسبة المنطقيَّة بين ما تعرَّض إليه المُتكَلِّمُون من أَبحاث ، وما تعرَّضَ إليه الفلاسفة هي العموم والخصوص من وجهٍ؛ فهناك أَبحاث وأَبواب مُؤثِّرة في المعارف تطرَّق إليها علماء الكلام ، لكن لم يتطرَّق إليها الفلاسفة ، وهناك أَبحاث وأَبواب تطرَّقَ إليها الفلاسفة ، لكن لم يتطرَّق إليها علماء الكلام.

الأَمر الثَّالث:

اِنقطاع الباحث عن بيانات الثقلين يوقعه في الزَّيغ والضَّلال

إنَّ اِستبداد الباحث بالأَدلَّة العقليَّة في أَبواب العقائد والمعارف من دون الاستعانة ببيانات الوحي يجعله في عِرضة الزَّيغ والزَّلل والضَّلال والاِنحراف والهلاك والخطر الدَّائم ، ويجرَّه إلى اِعتقادات باطلة يخلد بسببها (والعياذ بالله تعالىٰ) في نار جهنَّم وبأس المصير ، **والنُّكْتَة:** محدودية العقل وقدرته ومكنته.

إِذَنْ: يجب علىٰ الباحث التَّمَسُّك والتَّشبُّث بكُلِّ ما أُوتي من قوَّةٍ بمنهج الثقلين ، والإِعراض عن المناهج المعرفيَّة البشريَّة الَّتي لم يقم عليها دليلٌ وحيانيٌّ ، لا سيما المستوردة من المخالفين.

الأَمر الرَّابع:

أَضَلَّت جملة الاِتِّجاهات أَتباعها إِلَّا مدرسة أَهل البيت عليهم السلام

أَضلَّت كُلّ الأُمم والمدارس والمذاهب والمِلَل والنِّحَل وكافَّة الاِتجاهات أَتباعها إِلَّا مدرسة أَهل البيت (صلوات عليهم اللّـه عليهم).

الأَمر الخامس:

شمول بيانات الوحي المعرفيَّة لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات

إنَّ لمعارف أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) أَبعاداً منظوميَّة خطيرة من بداية الخلقة والوجود إلى مالانهاية ، وشاملة لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات غير

؛ لأَنَّ العقل بعدما كان مخلوقاً كان محدوداً ومتفاوت المِكْنَة والقدرة ، بل وقاصراً عن إدراك كُنْه وحدود المعاني وضبطها.

ثُمَّ إِنَّ مَنْ لا يضبط حدود المعاني والمُدْرَكات فستنشئ لديه اِستدلالات واِستنتاجات مقلوبة وخاطئة.

وَلَكَ أَنْ تقول: إِنَّ العقل بعدما لا يمكنه إِدراك الحقائق والموجودات مِنْ دون توسُّط أَحد أَدوات الحِسِّ ـ وَمِنْ ثَمَّ قيل: «من فقد حِسّاً فَقَدْ فَقَدَ عِلْماً» ـ ؛ وحيث إِنَّ أَدوات الحِسّ في عُرْضَة الخطأ والاِشتباه كان إِدْرَاك الحقائق لديه في عرضة الخطأ والاِشتباه أَيضاً.

وبالجملة: أَنَّ ضبط المعاني[١] والحقائق والواقعيات[٢] وضبط حدودها

← المتناهية، ودورها ، بل ودورهم (صلوات اللّـه عليهم) في أَواخر عوالم الخلقة أَعظم وأَخطر من دون قياس من دورهم في عَالَمَ الدُّنيا.

(١) الموجودات الذهنيَّة وما يأخذه الذهن وما يُدْرِكَه من التَّحقُّق الخارجي وجودات حقيقيَّة ، لكن قوامها أَنَّها حاكية عن الخارج حكاية صدق.

(٢) يجدر الاِلتفات في المقام إِلى القضايا التَّالية:

القضيَّة الأُولَىٰ:

الأَصالة للحقيقة ، والوجود ظهور لها

إِنَّ الأَصالة هي للحقيقة والواقعيَّة ، والوجود ظهور للحقيقة والواقعيَّة وليس عينها.

←

وتترتَّب علىٰ هذه القضيَّة في أَبحاث المعارف والعقائد آثار كثيرة وكبيرة ومهمَّة جِدّاً.

خطورة مبحث أَصالة الواقعيَّة أَو الوجود أَو الماهيَّة

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ مبحث أَصالة الواقعيَّة والحقيقة أَو الوجود أَو الماهية له زوايا عديدة وكثيرة صعبة ومُعَقَّدَة ، ولا يُستوفىٰ بحثها في موطنٍ واحدٍ ، بل مواطن عديدة.

وهذا مبحثٌ مُهمٌّ وخطيرٌ في مباحث عديدة من أَبواب المعارف ، لا بل له صِلَة وطيدة بأَخطر مباحث التَّوحيد علىٰ الإِطلاق ، بل وأَعقدها ، شبيه بمبحث نفي الجبر والتفويض.

الأَصالة للواقعيَّة والوجود والماهيَّة تجليَّات لها في عَالَمِ الذِّهن

والمُختار: أَنَّ الأَصل ليس هو الوجود والموجود أَو الماهيَّة ، وإِنَّما هو الحقيقة والواقعيَّة ، والوجود والموجود والماهيَّة ليست إِلَّا تجلِّيات وظهورات ترتبط بالإِدْرَاك الذهني ، وخُلِطَت ـ هذه الثلاثة ـ بتلاوين الذهن مع الخارج؛ فوَجْدُ الشيء إِدْرَاكة.

إِذَنْ: شأن الوجود شأن المعنىٰ والمفهوم ، ومن الواضح أَنَّ الَّذي يأتي للذهن من الحقيقة الخارجيَّة حصَّة من العين الخارجيَّة ، وهي الَّتي يُطلق عليها عنوان: (وجود وموجود) ، لا أَنَّ الآتي إِلى الذهن جملة العين الخارجيَّة بما لها من وِسْعٍ ، ومن ثَمَّ لابُدَّ أَنْ يكون الأَصيل في العين هو حقيقتها وواقعيَّتها دون وجودها.

وعليه: فحصر الحقيقة والواقعيَّة والعينيَّة الخارجيَّة وحَدِّها بالوجود والموجود غفلة معرفيَّة خطيرة جِدّاً؛ وقع في ورطتها من ذهب إِلى أَصالة الوجود.

← **والحقُّ**: أَنَّ الأَصالة للحقيقة والواقعيَّة أَعَمُّ من الوقوف والإلتفات إِليها أَو عدم ذلك.

خطورة الخلط بين أَحكام الذِّهن والعين الخارجيَّة

ثُمَّ إِنَّ الخلط بين أَحكام الذِّهن والعين الخارجيَّة من أَخطر المخاطر بصحَّة وسَدَاد المعرفة في العلوم العقليَّة ، وهذا ما أَكَّدت وشدَّدت عليه بيانات الوحي؛ وأَنَّه يجب علىٰ المؤمن والمسلم والباحث والمُستنبِط أَنْ لا يسحب الأَحْكَام الذهنيَّة إِلى العين الخارجيَّة.

القضيَّة الثَّانية:

إِرَاءة الحقيقة والوصول إِليها علىٰ مراتب

إِنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ ـ الحاكي لأَحداث معركة بدر الكُبرىٰ ـ: ﴿**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾ [الأَنفال: ٤٤] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ علىٰ نكات عجيبة ودقيقة في المعرفة والمعارف ، ودرجات الإِطِّلاع علىٰ الحقيقة والواقعيَّة ، فإِنَّ الإِراءة في المقام وقعت علىٰ بعض الجُنْد وإِمكانيَّاتهم ، وكشفت عن جزء الحقيقة ومرتبة من مراتبها.

ومنه يتَّضح: مدىٰ الفرق الشَّاسع بين ما يطرحه الوحي الشَّريف وما يطرحه الفلاسفة والماديِّين والغربيِّين من نِسْبَةٍ؛ فإِنَّهم ذهبوا: إِلى أَنَّ الإِنسان قد يصل إِلى الحقيقة بنِسْبَةٍ ما ، وقد لا يصل أَصلاً ، فالنِّسْبَة عندهم تدور بين الحقيقة والسَّرَاب ، ومعناه: عدم اِسْتِقْرَار معرفة لدىٰ الإِنسان ، بخلافها لدىٰ الوحي ، فإِنَّ النِّسْبَة لديه هي: أَنَّ إِرَاءة الحقيقة والوصول إِليها علىٰ مراتب ودرجات. وليس في هذا نحو سفسطة أَو تشكيك ، بل حذر وفطنة ، فلا يحسب الواقف علىٰ حقيقةٍ أَنَّها تمام الحقيقة ، بل بعضها ، ومشمول ببيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ** ←

بشكلٍ غير متناهٍ لا تكون إِلَّا بيد المعصوم عليه السلام [١].

← ﴿عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] ، وبيان قوله عزَّ ذكره: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ومنه يتَّضح: أَنَّ جملة من المباحث الأَساسيَّة في أَبواب المعارف تتولَّد من هذا المبحث ، منها: أَسرار البَدَاء؛ فإِنَّها تكمن في هذا المطلب؛ فإِنَّ يد الغيب الإِلٰهيَّة قد لا تُري للمخلوق جملة الحقيقة وسائر التفاصيل ، فإِذا كشفت بعد ذلك عن مراتب أُخرىٰ لتلك الحقيقة والتَّفاصيل تداعىٰ إِلى وهمه: عدم تحقُّق ما أُخبر به سابقاً.

القضيَّة الثَّالثة:

واقعيَّة العَرَض في إِظْهَار شؤون الجوهر

إِنَّ للعَرَضِ واقعيَّة ، لكن تمام واقعيَّته تكمن في تجلِّي وإِظْهَار شؤون الجوهر.

(١) ينبغي صرف النظر في المقام إِلى التَّنبيهات التَّالية:

التَّنبيه الأَوَّل:

رؤية المعصوم عليه السلام للواقع في منامه أَعظم من رؤيته في اليقظة

إِنَّ منافذ رؤية الواقع لدىٰ المعصوم (صلوات اللّـه عليه) في المنام أَعظم من رؤيته عليه السلام في اليقظة من خلال الحِسّ؛ لأَنَّ الرؤية الحِسِّيَّة لا تُحيط بجملة الزوايا الحِسِّيَّة فضلاً عن غيرها.

ومنه تتَّضح: نُكْتَة مضمون ما ورد مراراً في بيانات أمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «**إِنِّي أَيقن بما قاله لي رسول الله صلى الله عليه وآله مِمَّا أشاهده**»؛ فإِنَّ رؤية الحِسّ لا تحيط بجميع الزوايا الحِسِّيَّة ، ولو فرض إِحَاطتها كانت تُحيط بالسَّطح والظَّاهر؛ دون ←

الباطن وتمام الواقع ، بخلاف كلام سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله؛ فإِنَّه وحي يحيط بالسَّطح والظَّاهر والباطن وتمام الواقع ، ومن ثَمَّ يرىٰ أَمير المؤمنين عليه السلام من خلاله جميع الزوايا ظاهرها وباطنها وتمام واقعها.

التَّنبيه الثَّاني:

المخلوق سجين الطَّبَقَة الَّتي يعيش فيها

إِنَّ طبيعة الإِنسان ، بل مُطلق المخلوقات تعيش في الطَّبَقَة الوجوديَّة الَّتي تعيش فيها ، ومن ثَمَّ لا يَدْرِك المخلوق بدِقَّةٍ ما وراء تلك الطَّبَقَة؛ فلذا يُقال: «نحن البشر سجناء الحِسِّ».

التَّنبيه الثَّالث:

تطهير النَّفس أَحَد الشرائط المُهِمَّة لتحصيل المعرفة الحقَّة

إِنَّ ما ورد في بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٢ـ بيان قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

براهين وحيانيَّة إِرشاديَّة لشرطٍ مُهمّ من شرائط التَّعَلُّم وتحصيل المعرفة الحَقَّة الإِلٰهيَّة ، وهو: (التقوىٰ والرِّياضة الرُّوحيَّة ومجاهدة النَّفس)؛ فَمَنْ يبغي طلب المعرفة الحقَّة بشكل أَكبر فعليه ممارسة التَّقوىٰ ، وتطهير نفسه وطبقات ذاته من الرَّذائل ـ كحال الصَّلاة؛ فعلىٰ مَنْ يُريد ممارستها التَّطهير والتَّطهُّر أَوَّلاً ـ.

الأَخذ عن أَهل البيت عليهم السلام شرط مهمّ آخر لتحصيل تلك المعرفة

→ **لكن**: مَنْ يحصر طلب المعرفة الحَقَّة الإِلٰهيَّة بهذا الشَّرط فقد خادع نفسه ، فإِنَّ هناك شرطاً مُهمّاً آخر ، وهو ما أَشارت إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها:

بيان قوله تعالىٰ ذكره: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

فلكي يَتعلَّم المخلوق ويحتوي معرفةً حقَّةً إِلٰهيَّة ، ويكتسب علوم الوحي لا بُدَّ له بالضَّرورة من العكوف علىٰ أَبواب أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) المعرفيَّة؛ لتحصيل علومهم عليهم السلام ومعارفهم الإِلٰهيَّة.

التَّنبيه الرَّابع:

اللَّون الإِلٰهيّ ينبغي أَنْ يكون هو السَّائد في ساحة ذات المؤمن

إِنَّ ما ورد في بيان زيارة أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه): «... **وَأَشهَدُ أَنَّكَ لَمْ تَزَل للهَوَى مُخالِفاً ، وللتُّقَىٰ مُخالِفاً ، وعلىٰ كظم الغيظ قادراً ، وعن النَّاس عافياً غافراً ، وإِذا عُصِيَ اللهُ ساخطاً ، وإِذا أُطيع الله راضياً...**» [بحار الأَنوار ، ٩٧: ٣٦١] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ علىٰ أَنَّه ينبغي للمؤمن في خِضَمِّ التَّجاذبات مع العدو وغيره أَنْ لا تطغىٰ عليه ذاتيَّاته ، فليمت وهو مثابرٌ ومجاهدٌ في سبيل الله عزوجل ، سوآء أَكان في سوح الجهاد: العسكري أَو السياسي أَو الإِقتصادي أَو المجتمعي أَو العلمي أَو الدِّيني أَو غيرها ، وعليه أَنْ لا ينسىٰ أَو يتناسىٰ ـ بسبب طغيان ثوران ذاتيَّات نفسه ـ أَنَّه في إِتِّجاه وجهة الله سبحانه وتعالىٰ ، فذاك أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) حينما تجاسر عليه ـ والعياذ باللّٰـه تعالىٰ ـ عمرو بن ود العامري تريَّث في قتله؛ كيما لا يكون القتل مُنبعثاً عن ذاته المُقدَّسة.

وهذا نحو تجاذب الفضائل ، ففي حين أَنَّه يجب علىٰ المؤمن أَنْ لا يترك ساحة المجابهة يجب عليه أَيضاً أَنْ يُبقي اللَّون الإِلٰهيّ هو السَّائد في ساحة ذاته ، ولا ينصاع إِلى رغباتها ورغبات نفسه.

[الْحُجِّيَّة الوحيانيَّة لبيانات الوحي لا تتمّ إلاّ بما تحمله بياناته]

ومنه يتَّضح: أَنَّ وحيانية بيانات القرآن الكريم وتراث أَهل البيت عليهم السلام لن تُثْبَت ولن تُضْبَط باليقين الحسِّي والتواتر السَّندي بين بني البشر ؛ لكونهما آليَّتين حسِّيَّتين ؛ وَإِلَّا صارا ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ نتاجاً بشرياً في عُرضَة الزَّيغ والزَّلل والخطأ والاِشتباه ، ولاِدَّعَتهما الديانات المنحرفة ـ كاليهوديَّة والنصرانيَّة والبوذيَّة والهندوسيَّة ـ ؛ لإِثبات وحيانيَّة كُتُبهم المُحرَّفة ، وإِنَّما تُثْبَت وتُضْبَط بنفس تلك البيانات وما تحمله متونها ومضامينها من علومٍ ومعارفٍ ونورٍ وهدي ، المُولِّدة للقطع واليقين العقلي ، بل الوحياني ؛ فنفس البراهين الوحيانيَّة والعلميَّة والعقليَّة المُودعة والمسطورة في القرآن الكريم وترات أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) مُثْبِتَة بنفسها لحُجِّيَّتهما الوحيانيَّة.

وهذه الحُجِّيَّة عصيَّة علىٰ الصَّحابة والتَّابعين وعلماء البشر ونخبهم ؛ ولا يُمكن لهم اِدِّعَائها وشمّ رائحتها والوصول إِلى ضفافها ، ومن ثَمَّ ذهب علماء الإِماميَّة إِلى أَنَّ إِجماع الأُمَّة لا يكون حُجَّة من دون أَنْ يكون شخص المعصوم عليه السلام أَحَد المجمعين ، ومرادهم: نفي الحُجِّيَّة الوحيانيَّة ، وإِلَّا فاليقين الحسِّي والحُجِّيَّة الحسيَّة الحاصلة بالتواتر بين المسلمين ثابتان بحسب الفرض.

وبالجملة: اِتَّفَقَتْ[1] كلمة علماء الإِماميَّة ـ فقهائهم وأُصوليِّهم

---

(١) يجدر الاِلتفات: أَنَّ الاِتفاق علىٰ طبقات ، وهي: ضرورة ، وتسالم ، وإِجماع.
وهذا الإِجماع بهذا المعنىٰ فوق الإِجماع المُصطلح ، فالتفت.

ومُتكلِّميهم ومُفسِّريهم ومُحدِّثيهم ورواتهم ورجاليِّهم وهلمَّ جراً ـ علىٰ أَنَّ إِجماع الأُمَّة ـ اِستظهاراً واستنباطاً وصدوراً ، وعلىٰ جميع الأَصعدة ـ ليس بحُجَّةٍ ما لم يكن شخص المعصوم عليه السلام ولطفه أَحد المجمعين ، وإِلَّا كان نتاجاً بشريّاً يصيبُ ويُخطئ.

إِنْ قلتَ: كيف يستقيم هذا المبنىٰ مع مبانيهم القائلة بحُجِّيَّة التواتر والإِستفاضة ، بل وخبر الثقة مع أَنَّه يفيد ظنّاً ، فكيف قالوا بعدم حُجِّيَّة اِتّفاق الأُمَّة عن بكرة أَبيها من الصَّدر الأَوَّل إِلى يومنا هذا وإِنْ كان ضمن المُتَّفقين: الفقهاء والعلماء والرُّوَّاد والأَوتاد والأَبدال وعدول المؤمنين ، وقالوا ـ من جهة أُخرىٰ ـ : بحُجِّيَّة التواتر والإِستفاضة ، بل وخبر الثقة وإِنْ كان مُنحرِف العقيدة؟! إِنَّ هذا نحو تهافت أَظهر من الشَّمس في رابعة النَّهار.

قلتُ: اِتَّضح مِمَّا تقدَّم: أَنَّ مرادهم من ذلك عدم الحُجِّيَّة بالدَّرجة والقداسة الوحيانية.

وعليه: فالضَّرورة والتَّواتر فضلاً عن الإِستفاضة وخبر الثِّقة وإِنْ كانت تفيد يقيناً حسيّاً ، لكنَّه ليس بدرجة وقداسة اليقين الوحياني.

وبالجملة: مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) تنظر إِلى اليقين الوحياني ، بل والعقلي بـ: أَنَّهما يختلفان من حيث القيمة العلميَّة والمعرفيَّة عن اليقين الحسِّي ، ومعنىٰ هذه الجدليَّة: أَنَّ علماء الإِماميَّة يبحثون في رُتَب الحُجَجِ ونظامها.

ومنه يتَّضح: ما ذهب إِليه الكثير من الباحثين ـ بعضهم من الوسط الدَّاخلي ـ ؛ فإِنَّهم اِدَّعُوا: ثبوت حُجِّيَّة القرآن الكريم بالتواتر الحسِّي وقطعيَّة سنده من خلال توسُّط أَجيال المسلمين جيلاً بعد جيل.

لكنَّها دعوىٰ فاسدة وفاقدة لكُلِّ وزنٍ علميٍّ ؛ لأَنَّ قيمة التواتر السَّندي وإِنْ كانت تُفيد يقيناً ، لكنَّه حسّيٌّ ، وحُجِّيَّة القرآن الكريم وحيانيَّة ؛ فأَين هذا من ذاك ، بل يلزم ـ والعياذ بالله تعالىٰ ـ أَنْ يكون كتاب الله ﷻ ككُتُب البشر الثابتة حجِّيَّتها بالتواتر السَّندي بِاعتراف الجميع ـ قديماً وحديثاً ، مُتألِّهين وماديِّين ـ يقع فيه الخطأ ، فلا يُشَخِّص الواقع بصورة دقيقة ، ومِنْ ثَمَّ أُحصيت في علوم عديدة وقوع (٥٠٠) نوع خطأ فيه ، بل قيل ـ في الآونة الأَخيرة ـ : (٨٠٠) نوع خطأ ، ولكُلِّ نوعٍ العديد من الأَمثلة ، منها:

الأَوَّل: أَنَّ المُشَاهِد لصورة التلفاز يجدها مُتحرِّكة ؛ والحال أَنَّ واقعها ليس كذلك ؛ فإِنَّها عبارة عن مجموعة صور مُنْفَكَّة عن الحركة ، وبُثَّت في الثَّانية الواحدة عشرات الصُّور ؛ بحيث لا يمكن للباصرة القدرة علىٰ ملاحظة فواصلها ، فلسرعة توارد الصُّور وعدم المِكْنَة من تمييز الفواصل بينها اِنْخَدَعَتْ الباصرة وظنَّت أَنَّها مُتحرِّكة.

الثَّاني: الشِّعلة الجُوَّالة ، وهي: إِذا جُعلت جمرة مُتوهِّجة في ظرفٍ ، ودير بها بسرعةٍ رآها النَّاظر من بعيد أَنَّها دائريَّة ؛ فلسرعة الصُّور الَّتي ترد إِلى العين لم تُميِّز فواصلها.

الثَّالث: ثَبَتَ في العلم الحديث: أَنَّه لا حقيقة لبعض الكواكب الَّتي تُرىٰ في السَّمآء ؛ فإِنَّها فُنيت قبل ملايين السنين الضوئيَّة ، والآن وصلت إِلينا

صورها.

الرَّابع: النَّاظر إِلى المجرَّة يراها كرأس إِبرة ، والحال أَنَّها مهولة.

الخامس: الأَصوات المُسجَّلَة ؛ فإِنَّ السَّامع يظنُّها تُبثُّ حيّاً.

بل إِشْتِبَاه الحسِّ قد نبَّهت عليه بيانات الوحي ، منها:

بيان الإِمام الهادي (صلوات اللّـه عليه) ، عن أَحمد بن إِسحاق ، قال: «كَتَبْتُ إِلى أَبي الحسن الثَّالث عليه السلام أَسأَله عن الرُّؤيَة وما اختلف فيه النَّاس ، فكتبَ: **لا تجوز الرُّؤيَة مالم يكن بين الرَّائي والمَرئيِّ هواءٌ لم ينفُذه البصرُ ، فإِذا انقطع الهواء عن الرَّائي والمرئيِّ لم تصِحَّ الرُّؤيَة ؛ وكان في ذلك الإِشتباه ؛ لأَنَّ الرائي متى ساوىٰ المرئيَّ في السَّبب الموجب بينهما في الرُّؤيَة وجب الإِشتباه ، وكان ذلك التَّشبيه ؛ لأَنَّ الأَسباب لابُدَّ من إِتِّصالها بالمُسَبَّبَات**»[1].

إِذَنْ: إِختلاف الحسِّ بجملة حالاته لا يُشخِّص الواقع بصورةٍ دقيقةٍ ، ولا يصحُّ الإِعتماد عليه بحيث يُجعل هو الصَّنم الأَكبر ؛ لضعفه وعدم إِنضباطه ، ومن ثَمَّ لا بُدَّ لتشخيص الواقع من الإِعتماد علىٰ العقل ومن ورائه الوحي.

ومن ثَمَّ قسَّم المناطقة اليقينيَّات إِلى ستَّة أَقسامٍ ، أَوَّلها: الأَوَّليَّات ، ثُمَّ المُشاهدات ـ الحِسِّيَّات ـ ثُمَّ التَّجربيَّات ، ثُمَّ المتواترات ، ثُمَّ الحدسيَّات ، ثُمَّ الفطريَّات. فجعلوا الحِسِّيَّات في الرتبة الثانية والمتواترات في الرَّابعة.

---

(١) أُصول الكافي ، ١/ كتاب التوحيد/ ٣١ـ باب في إِبطال الرُّؤيَة: ٦٨/ ح٤.

ومعناه: أَنَّ المُحْكَم والإِحْكَام والمُحْكَمَات والحُجِّيَّة واليقين ذو مراتب ودرجات.

والوعي والمعرفة بأَصل الإِحْكَام والمُحْكَمَات وحُجِّيَّة الحُجَّة واليقين من دون الإِلتفات إِلى سلسلة مراتب الإِحْكَام والمُحْكَمَات والحُجِّيَّة واليقين لا يُفيد سداداً وصواباً في الإِستدلال والنتائج ؛ لأَنَّ التَّشبُّث والتَّمسُّك بحُجِّيَّة حُجَّة بتعميم مُطلق من دون معرفة درجتها ورتبتها في الحُجِّيَّة يكون من التَّمسُّك بالظَّنِّ والمُتشابَه ؛ فالدَّليل وإِنْ كان في نفسه مُـحْكَم ويورِث اليقين ، لكنَّه يكون ظنّاً ومُتشابَهاً في قِبَال ما هو أَحْكَم مِنه وأَيقن.

إِذَنْ: للمُحْكَم واليقين ، بل والظُّنون علىٰ طبقات متفاوتة المراتب في الحُجَّيَّة.

وكم من فرقة من فرق المسلمين نشأ اِنْحِرَافها بسبب عدم التَّفَطُّن لهذه المراتب وتفاوتها.

وهذه ملحمة فكريَّة ومعرفيَّة وعقائديَّة نبَّهت عليها بيانات الوحي ، ومن ثَمَّ عاتب الباري ﷻ بني إِسرائيل في بيان قوله: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾[1] ؛ فإِنَّهم زعموا: قتل النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام ؛ اِعتماداً علىٰ الحِسِّ والمشاهدة ، وأَسماه القرآن الكريم ظنّاً ومُتشابهاً وإِنْ كان يُفيد ـ في نفسه ـ درجة من

---

(١) النساء: ١٥٧.

العلم واليقين مالم يُعارض بنوع علم ويقين أَرقىٰ درجة منه ؛ وذلك لعدم اِعتمادهم علىٰ المعاجز الَّتي شاهدوها من النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام والَّتي هي يقينٌ وحيانيٌّ فوق اليقين العقلي فضلاً عن اليقين الحسِّي ؛ فإِنَّ حدود اليقين في حُجِّيَّة الوحي غير متناهية ، بخلاف حدود اليقين المُستفاد من حُجِّيَّة العقل فضلاً عن حُجِّيَّة الحسّ فمتناهية ، ومن تلك المعاجز: أَنَّه عليه السلام أَخبرهم بعدم قتله وبقاءه علىٰ قيد الحياة إِلى ظهور الإِمام الثاني عشر من أَوصياء[1] سيِّد الأَنبياء (صلوات اللّـه عليهم) والصَّلاة خلفه ، وهذه معجزة ، لكنَّهم تركوها وتركوا ما تُوْرِثَهُ من يقينٍ وحيانيٍّ ، و انقادوا ليقينٍ أَقلّ مرتبة ؛ وهو اليقين الحِسِّي فصار ظنّاً ومُتشابَهاً.

وبالجملة: الحِسُّ وإِنْ كان مصدراً من مصادر اليقين ومُحْكَماً بالقياس إِلى المُتشابَه ، لكنَّه ظنّ ومتشابَه بالقياس إِلى مُعَارِضه الَّذي هو أَرفع منه حُجَّة ويقيناً ، والتَّمَسُّك به حينئذٍ يكون زيغاً واِتِّباعاً للباطل.

ومنه يتَّضح: جواب المعضلة العلميَّة الَّتي واجهت فخر الدِّين الرازي، فمع أَنَّه فيلسوف ومُتكلِّم قدير ، لكنَّه تبلبل والتبس عليه الحال في تفسير بيان هذه الآية الكريمة ، وغادرها من دون حلٍّ وجوابٍ ، فقال: ماذا يُرِيْدُ الباري تعالىٰ منها ؛ فهل يُرِيْدُ إِثبات: عدم مصدريَّة الحِسّ من اليقين ،

---

(١) ورد في بيانات الروايات: أَنَّ مقام خاتم الأَوصياء يشترك فيه أَمير المؤمنين وحفيده الإِمام الثَّاني عشر (صلوات اللّـه عليهما).

وبالتالي نفي مصدريَّة وحُجِّيَّة التواتر ؛ والحال أَنَّه ليس للأُمَّة[١] مصدرٌ آخر يُثْبِت الدِّين وحُجِّيَّة القرآن الكريم.

ونصُّ عبارته: «واعلم أَنَّه تعالىٰ لَـمَّا حكىٰ عن اليهود أَنَّهم زعموا أَنَّهم قتلوا عيسىٰ عليه السلام فالله تعالىٰ كذَّبهم في هذه الدعوىٰ ، وقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ، و في الآية سؤلان: ... السؤال الثاني: أَنَّه إِنْ جاز أَنْ يُقال: أَنَّ الله تعالىٰ يلقىٰ شبه إِنسان علىٰ إِنسان آخر فهذا يفتح باب السفسطة ؛ فإِنّا إِذا رأينا زيداً فلعلَّه ليس بزيد ، ولكنَّه أَلقىٰ شبه زيد عليه ، وعند ذلك لا يبقىٰ النكاح والطلاق والملك وثوقاً به ، وأَيضاً يفضي إِلى القدح في التواتر ؛ لأَنَّ خبر التواتر إِنَّما يُفيد العلم بشرط انتهائه في الآخر إِلى المحسوس ، فإِذا جوَّزنا حصول مثل هذه الشبهة في المحسوسات توجَّه الطعن في التواتر ، وذلك يوجب القدح في جميع الشرائع... وبالجملة: ففتح هذا الباب يُوْجِب الطعن في التواتر ، والطعن فيه يُوْجِب الطعن في نبوَّة جميع الأَنبياء (عليهم الصَّلاة والسَّلام) ، فهذا فرع يوجب الطعن في الأُصول فكان مردوداً. والجواب: اختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضع ، وذكروا وجوهاً: الأَوَّل: ... الثاني: ... الثالث:... الرابع:... وهذه الوجوه مُتعارضة مُتدافعة ، والله أَعلم بحقائق الأُمور»[٢].

---

(١) ما عدا مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهما)؛ فإِنَّ لهم مصدراً آخر ، وهو الوحي.

(٢) تفسير الرازي ، سورة النساء ، آية: ١٥٧/ ج١١: ٩٩ـ ١٠٠.

وجوابها: قد اِتَّضح مِمَّا تقدَّم ؛ فإِنَّ حُجِّيَّة المصحف الشَّريف لم تثبت من خلال اِتِّفاق وتواتر أَصل المصحف ونسخه بين أَجيال المسلمين وعلمائهم وروَّادهم ، بل ثبت بالقطعِ العقلي ، بل والوحياني المستفاد من بياناته المُفسَّرة ببيانات أَهل البيت عليهم السلام ، وإِلَّا صار كتاباً بشريّاً ـ كما تقدَّم ـ فيندفع اِشكاله ، بل وغيره كاِشكالات الحداثويِّين.

[ترابط تكويني وثيق بين أَهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم]

ومنه يتَّضح: بيان ومعادلة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الوحيانيَّة والمتواترة بين الفريقين: «**يا أَيُّها النَّاس إِنِّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي ؛ أَهل بيتي فتمسَّكوا بهما ولا تضلُّوا ، فإِنَّ اللَّطيف الخبير أَخبرني وعهد إِلَيَّ أَنَّهما لن يفترقا حتَّىٰ يردا عَلَيَّ الحوض**»[1] ؛ فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ علىٰ عدم تمكُّن السالك لجادَّة الحقّ الأَخذ بأَحدهما وترك الآخر ، وهذا ما أَكَّدته بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها:

١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن سعد الإِسكاف ، قال: «سأَلتُ أَبا جعفر عليه السلام عن قول النَّبيّ صلى الله عليه وآله: **إِنِّي تارك فيكم الثقلين فتمسَّكوا بهما فإِنَّهما لن يفترقا** (يتفرَّقا خ. ل) **حتَّىٰ يردا عَلَيَّ الحوض**. قال: فقال أَبو جعفر عليه السلام: **لا يزال كتاب الله والدَّليل مِنَّا يدلُّ عليه حتَّىٰ يردا علىٰ الحوض**»[2].

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**مضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وَخَلَّفَ في أُمَّته:**

---

(١) الاحتجاج ، ١: ٢١٦.

(٢) بصائر الدرجات ، ٢: ٢٩٧/ ح١٤٦٨ ـ ٦.

كتاب الله ووصيّه عَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام أَمير المؤمنين ، وإِمام المُتَّقين ، وحبل الله المتين ، وعروته الوثقىٰ الَّتي لا انفصام لها ، وعهده المُؤكَّد ، صاحبان مُؤتلفان ، يشهد كُلُّ واحدٍ لصاحبه بالتَّصديق ، ينطق الإِمام عن الله عزّ وجلّ في الكتاب بما أَوجب الله فيه على العباد من طاعة الإِمام وولايته ، وأَوجب حقَّه الَّذي أَراه الله عزّ وجلّ من استكمال دينه وإِظهار أَمره والإِحتجاج بحُجَجَه (خ. ل: بحُجَّته) والإِستضاء بنوره في معادن أَهل صفوته ومصطفىٰ أَهل خيرته. فأَوضح الله بأَئِمَّة الهدىٰ من أَهل بيت نبيّنا عن دينه ، وأَبلج بهم عن سبيل مناهجه ، وميَّح (خ. ل: فتح) بهم عن باطن ينابيع علمه ، فمَنْ عرف من أُمَّة مُحمَّد صلى الله عليه وآله واجب حقّ إِمامه وجد طعم حلاوة إِيمانه ، وعلم فضل طلاوة (خ.ل: طلاقة) إِسلامه ؛ لأَنَّ الله (خ. ل: ورسوله) نصب الإِمام عَلَماً لخلقه ، وحُجَّة علىٰ أَهل عَالَمه ، أَلبسه الله تاج الوقار ، وغَشَّاه من نور الجبَّار ، يمدُّ بسبب إِلى السماء لا ينقطع عنه موادّه (خ. ل: موارده) ، ولا يُنال ما عند الله تبارك وتعالىٰ إِلَّا بجهة (خ. ل: بجهد) أَسباب سبيله ، ولا يقبل الله أَعمال العباد إِلَّا بمعرفته ، فهو عَالِم بما يرد عليه من ملتبسات (خ. ل: مُلْبَسات) الوحي ، ومعميَّات (خ. ل: مصيبات) السنن ، ومشتبهات (خ. ل: مشبهات) الفتن ، ولم يكن الله ليُضلّ قوماً بعد إِذ هداهم حتَّى يُبيّن لهم ما يتَّقون ، وتكون الحُجَّة من الله علىٰ العباد بالغة»[1].

وبالجملة: أَنَّ المصحف الشَّريف إِذا عُزِل عن أَهل البيت عليهم السلام فلن

---

(١) بصائر الدرجات ، ٢/ ١٧ ـ باب في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إِنِّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأَهل بيتي/ ٢٩٤/ ح١٤٦٤ ـ ٢.

يكون وحياً مُنزلاً ، فالـحافظ له ليس علماء الأُمَّة ، ولا فقهائها ، ولا مُفسِّريها ، ولا الصَّحابة والتَّابعين ـ وإِلَّا كان نتاجاً بشريّاً ، وحُجِّيَّة العلماء وإِنْ كانت ثابتة ، لكنَّها ليست مصدراً ومنبعاً وحيانياً ـ ، بل مَنْ كان له اتِّصال بالله ﷻ مباشرة ، وهو: مجموع المعصومين الأَربعة عشر من أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن صالح بن سهل ، قال: «كُنْتُ جالساً عنده فقال لي إِبتداءً منه: **يا صالح بن سهل ، إِنَّ الله جعل بينه وبين الرَّسول رسولاً ، ولم يجعل بينه وبين الإِمام رسولاً** ، قال: قلت: كيف ذاك؟ قال: **جعل بينه و بين الإِمام عموداً من نور ؛ ينظر الله به إِلى الإِمام ، وينظر الإِمام به إِليه ، فإِذا أَراد علم شيءٍ نظر في ذلك النُّور فعرفه**»[1].

ودلالته واضحة.

وَمِنْ ثَمَّ ورد بيان قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[2] ، أَي: بمجموعهم عليهم السلام.

وعليه: فإِذا أَقَرَّ مخلوق بكافَّة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) إِلَّا واحداً منهم كالحُجَّة ابن الحسن عجل الله فرجه فلا يكون المصحف الموجود بين يديه وحيانيّاً ، بل تراثاً بشريّاً ؛ لتطرُّق الحِسّ إِليه ؛ بانقطاع سلسلة الوحي ،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦: ١٣٤ ـ ١٣٥/ ح١٠. بصائر الدرجات: ١٣٠.

(٢) الحجر: ٩.

وحينئذٍ تعود المعضلة الَّتي ارْتَطَم بها الطرف الآخر للوَاجِهَة ، ولا تندفع إلَّا بالِاعتقاد بجملة أَهل البيت عليهم السلام ، ومن ثَمَّ ورد في بيان دعاء النُّدْبَة: «... **أَين وجه الله الَّذي إِليه يتوجَّه الأَولياء ، أَين السَّبب المُتَّصل بين الأَرض والسَّماء** ...»[1] ، وعلماء الأُمَّة وفقهائها وأَبدالها وأَوتادها ليسوا بأَسباب مُتَّصِلة بين الأَرض والسَّمآء.

وعليه: فَمَنْ تشدَّق بمقولة: «حسبنا كتاب الله»[2] لم ولن يتمكَّن من التَّحليق بالمُصْحَفِ الشَّريف عن الحِسِّ ، لا من حيث سنده ، ولا من حيث دلالته وإِنْ كانتا قطعيَّتين وحُجَّة ؛ لأَنَّ حُجِّيَّتهما ليست بالوحيانيَّة ، بل نتاج بشري يبقىٰ ملازماً للحِسِّ لا يفارقه ، وهو في معرض الخطأ والِاشتباه.

(١) بحار الأَنوار ، ٩٩: ١٠٧. مصباح الزائر: ٢٣٠ ـ ٢٣٤.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٢: ٤٧٢ ـ ٤٧٣/ ح٢١. مناقب آل أَبي طالب ، ١: ٢٠٢ـ ٢٠٣.

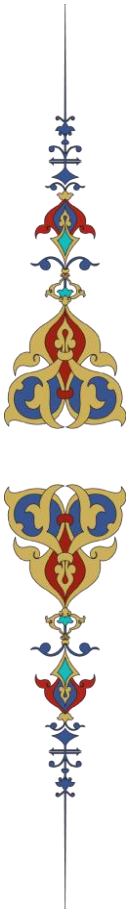

المسألة: (١٥/٦)

[التَّقيُّد بقوالب ومعاني وحقائق بيانات الوحي]

هناك بحث مُطَّرَد في جملة أَبواب المعارف لاسيما العقائديَّة منها ، وتوصية أَكيدة من قِبَلِ الأَكابر ، حاصلها: أَنَّه مَنْ أَراد النهج القويم ، والصِّراط المُستقيم ، والإِستعصام من الضَّلال وعدم نشوء الفرق الضَّالة والمُنحرفة ، والسَّيْر علىٰ الجادَّة الوسطىٰ في حركة الفِكْر[1] والعقل والقلب ،

---

(١) لا بأس بالإِلتفات في المقام إِلى الأَمرين التَّاليين:

الأَمر الأَوَّل:

التَّفَكُّر إِمَّا يولِّد قرب أَو بُعْد عن اللّٰـه تعالىٰ

إِنَّ الفِكْرَ والتَّفكير عبادة؛ لكنَّها قد تُسبِّب قرب وارتباط بالله تعالى ذكره ، وقد تُسبِّب بُعد وتجافي عنه عزَّ ذكره.

الأَمر الثَّاني:

الميزان العلميّ يدور مدار الفِكْرَة دون الأَشخاص

←

بل مُطلق الجوانح والجوارح فعليه التقيُّد بأَلفاظ بيانات الوحي الإِلٰهيّ وقوالبها ومعانيها وحقائقها ؛ فإِنَّه تمسُّكٌ بالعروة الوثقىٰ العاصمة من الزَّيغ والزَّلل والضَّلال والإِنحراف ؛ جادَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) ، بل هو منهجٌ معرفيٌّ مُؤثِّرٌ أَيضاً في عروج الرُّوح في عوالم المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة غير المتناهية.

فأَلفاظ وقوالب ومعاني بيانات الوحي الإِلٰهيّ الشَّريف[1] كبيانات القرآن الكريم ، وبيانات أَحاديث أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام وخُطْبهم

← إِنَّ صيرفة الفِكْرَة العلميَّة هي الميزان العلمي لدىٰ الباحث العلمي والمُنصف ، وليس الميزان الأَشخاص.

وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، منها:

بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه): «**لا تنظر إِلى مَنْ قال ، وانظر إِلى ما قال**». كنز العمَّال: ١٩٤/ح٤٤٢١٨.

هذا إِنْ لم يكن القائل معصوماً ، وإِلَّا كان الميزان: شخص المعصوم عليه السلام لا الفكرة.

(١) يجدر الإِلتفات إِلى ضابطة وحيانية وعقليَّة ومعرفيَّة؛ لمعرفة أَحكم محكمات القرآن الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، وهي: أَنَّ بيانات الوحي المُتعرِّضة لأَركان وبنود وأَعمِدَة الدِّين تكون أَحكم ومن دون قياس من بياناته المُتعرِّضة لأَركان وبنود وأَعمِدَة الشريعة؛ لأَنَّ الدِّين وحقيقته وحقائقه أَعظم وَأَخطر من دون قياس من الشَّريعة وحقيقتها وحقائقها ، وبياناته شاملة لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات غير المتناهية ، بخلاف بيانات الشريعة؛ فإِنَّها مُختصَّة بالنَّشْأَة الأَرضية وبالثقلين ـ الجن والإِنس ـ.

وَأَدعيتهم [١] .....

(١) ينبغي صرف النظر في المقام إلى القضايا التَّالية:

القضيَّة الأُولىٰ:

التَّرابط بين الأَسمآء الإلٰهيَّة والتَّوسُّل

هناك صِلَة وثيقة بين الأَسمآء الإلٰهيَّة والتَّوسُّل والتَّوجُّه بها إلى السَّاحة الرُّبوبيَّة.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي المعرفيَّة، منها:

بيان قوله جلَّ وتقدَّس: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والأَسمآء الحسنىٰ هي: طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الصَّاعدة.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **نحن الاسم المخزون المكنون، نحن الأَسمآء الحسنىٰ الَّتي إذا سُئِلَ الله ﷻ بها أَجاب** ...». بحار الأَنوار، ٢٧: ٢٨/ ح٥.

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**وأَنا أَسمآء الله الحسنىٰ**...».بحار الأَنوار، ٥٣: ٤٦ـ٤٩/ ح٢٠.

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **أَنَا الأَسمآء الحسنىٰ الَّتي أَمَرَ أَنْ يُدعىٰ بها**...». مشارق أَنوار اليقين: ٢٦٩.

٤ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام: «... **عرفنا مَنْ عرفنا، وجهلنا مَنْ جهلنا، نحن الأَسمآء الحسنىٰ الَّتي لا يقبل الله من العباد عملاً إلَّا بمعرفتنا** ...». بحار الأَنوار، ٢٥: ٤ـ٥/ ح٧. المحتضر: ١٢٩.

←

٥ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «**نحن والله الأَسمآء الحسنىٰ الَّذي لا يُقبل من أَحدٍ إِلَّا بمعرفتنا ، قال:** ﴿**فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأَعراف: ١٨٠]». بحار الأَنوار ، ٩١: ٦/ ح٧. تفسير العياشي ، ٢: ٤٢.

٦ـ بيان الإمام الرضا عليه السلام: «**إِذا نزلت بكم شِدَّة فاستعينوا بنا علىٰ الله ، وهو قول الله:** ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾». بحار الأَنوار ، ٩١: ٥ـ٦/ ح٧. تفسير العياشي ، ٢: ٤٢.

ودلالة الجميع واضحة ولا غبار عليها.

القضيَّة الثَّانية:

معرفة ساحة القدس الإِلٰهيَّة لا يتمُّ إِلَّا بالتَّوسُّل

إِنَّ للتَّوسُّل دوراً خطيراً ودعامة كبرىٰ في الإِيمان والتَّوحيد؛ فإِنَّ بيانات الوحي وبراهين العقل تدلُّ علىٰ أَنَّ معرفة توحيد الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المقدَّسة لا يتحقَّق إِلَّا بالتَّوسُّل فقط.

القضيَّة الثَّالثة:

الدُّعاء وسيلة ودرس معرفيٌّ خطير

إِنَّ الدُّعاء درس معرفيٌّ خطير قبل أَنْ يكون وسيلة لقضاء الحوائج.

القضيَّة الرَّابعة:

خطورة متون ومضامين الأَدعية والزيارات

إِنَّ أُسلوب أَدعية وزيارات أَهل البيت عليهم السلام أُسلوب ذكر لإِيصال وتعليم العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة لكافَّة طبقات المخلوقات.

← بل في بيانات الأَدعية والزيارات أَسرار عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، وهذا بحث مُعقَّد وصعب.

بل كُلّ جملة من الأَدعية والزيارات معادلات علميَّة ومعرفيَّة وعقليَّة مهولة وخطيرة جِدّاً.

القضيَّة الخامسة:

بلاغة أَدعية أَهل البيت عليهم السلام أَمر إِعجازيّ خارج عن مِكْنَة المخلوقات

إِنَّ في أَدعية أَهل البيت عليهم السلام زوايا بلاغيَّة إِعجازيَّة عديدة وكثيرة جِدّاً ، منها: أَنَّها بَدْءاً وانتهاءً مترابطة في منظومة معاني مُتَّسِقَة يتلو بعضها الآخر اِتِّسَاقاً بنيويّاً ثبوتيّاً واقعيّاً كبيراً ، وافاضة تتهذَّل وتُشافع معانيه بانسيابٍ بديع جِدّاً. هذه هي معجزة أَدعية أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

إِذَنْ: سبك أَدعية أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) بنوداً وجُملاً سبكٌ إِعجازيٌّ من حيث نسق المعنىٰ ، ومن حيث سبك الأَلفاظ ومُطاوعتها وتتبعيَّتها إِلى نسق المعنىٰ.

وَأَحَد ظواهر الإِعجاز في كلام الوحي عموماً ـ القرآن الكريم وتراث أَهل البيت عليهم السلام ـ: كون النُّظم الموجود في المعنىٰ لا تَكَلُّف فيه ولا نظر فيه إِلى اللفظ ، بل اللفظ فيه يكون ظلاً وتبعيّاً للمعنىٰ ، وفي حينٍ يكون اللفظ فيه ظلاً وتبعيّاً للمعنىٰ يكون اللفظ فيه أَيضاً في أَوَجَه ، وهنا تكمن الصعوبة ويكمن الإِعجاز.

بخلاف كلام البشر؛ فإِنَّ بُلغائهم إِذا أَرادوا الإِتيان بمقطوعة بلاغيَّة تراهم يُنمِّقون أَلفاظها ويُدبجونها ويُرونقونها ، لكن تضيع عليهم المعاني فتتمجمج لديهم ـ المعاني ـ ، ثُمَّ يُكرِّرونها فتهبط لديهم ـ المعاني ـ وتصعد ، بل قد يختل لديهم نظمها.

أَمَّا في كلام الوحي فإِنَّها تتصاعد أَوجاً ورفعةً وهيمنةً وسعةً وخطورةً من دون ←

... وزياراتهم[1] ـ الواردة في جملة أَبواب المعارف ليست نثراً ، بل قوالب

← الِالتفات إِلى الأَلفاظ ، بل الأَلفاظ تصعد وتعرج وترتقي تبعاً لصعود وعروج ورُقِيِّ المعاني من دون أَنْ تتخلَّف جماليَّة الأَلفاظ عن الجمال الأَعظم للمعاني. هذا هو الإِعجاز الَّذي يتحدَّىٰ به الوحي كلام أَيّ عَالِم ، وَأَيّ فقيهٍ ، وَأَيّ مُفسِّرٍ ، وَأَيّ فيلسوفٍ ، وأَيّ مُتكلِّمٍ ، وَأَي أَديبٍ ، فإِنَّه ليس بقدرة ومِكْنَة مخلوق قَطُّ الجمع بين تصاعد بتوازي مُستمر لهذين الجناحي ، فلا تتخطَّىٰ المعاني الَّتي يأتي بها البشر حدود قدرة البشر ومُكْنَته إِلَّا أَنْ يقتبسها من بيانات الوحي. وعلىٰ هذا قس الأَلفاظ؛ فإِنَّها لا تصعد كثيراً إِلَّا أَن تُقتبس من بيانات الوحي أَيضاً.

وهذا بخلاف كلام الوحي ، فإِنّه أَوَّلاً يحصل فيه صعوداً للمعاني لا حدود ولا نهاية له ، وثانياً يحصل فيه صعوداً أَيضاً للأَلفاظ لا حدود ولانهاية له ، مع تناسق وجماليَّة أَيضاً بين الأَلفاظ والمعاني لا حدود ولا نهاية له ، وجماليَّة بين الأَلفاظ بمفرداتها وتراكيبها وسبكها مع جماليَّة بين المعاني بمفرداتها وتراكيبها وسبكها لا حدود ولا نهاية لها.

القضيَّة السَّادسة:

خاصيَّة أَدعية الإِمام السَّجَّاد عليه السلام إِثارتها للوجد النَّفسي وتنشيطه

هناك خاصيَّة اِمْتَازت بها أَدعيَّة الإِمام زين العابدين عليه السلام؛ فإِنَّها تُنشِّط وتُثير بِقُوَّةٍ حالة الوجد النَّفسي ، وتضرب علىٰ هذا الوتر بِقُوَّةٍ جِدّاً في أَعماق النَّفس.

مثال ذلك: دُعاء أَبي حمزة الثمالي ، فإِنَّه مثير للوجد الروحي بِقُوَّةٍ جِدّاً ، وبمهارةٍ وعذوبةٍ وصفاءٍ مُنقطع النظير.

وهذه هبة اِصطفائيَّة اِتَّصف وامتاز بها (صلوات اللّـه عليه).

(١) ينبغي الِالتفات في المقام إِلى أُمورٍ ، منها: ←

الأَمر الأَوَّل:

خطورة معارف بيانات زيارات أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ بيانات الزيارات عبارة عن طاقات مهولة في المعرفة ، وبنود علميَّة ومعرفيَّة وعقليَّة ـ عقل وحياني وليس بشري ـ مهولة وعظيمة جِدّاً.

الأَمر الثَّاني:

لكُلِّ بيان من بيانات زيارات أَهل البيت عليهم السلام خاصِّيَّته

إِنَّ في كُلِّ زيارةٍ من زيارات أَهل البيت عليهم السلام معلومات ومعطيات وبيانات وحقائق تختلف عن زياراتهم الأُخرىٰ.

الأَمر الثَّالث:

الزيارة درس من المعصوم عليه السلام لزائره

إِنَّ الزيارة وبيانها جلسة تعليميَّة لدىٰ المعصوم (صلوات اللّٰـه عليه). نعم ، للمعصوم عليه السلام مراتب من الجلسات التعليميَّة لزواره وجلسائه.

الأَمر الرَّابع:

الطبيعة الكُلِّيَّة لزيارة المعصوم عليه السلام واجبة والِاستحباب في مصداقها

المستفاد من بيانات الوحي: أَنَّ زيارة المعصوم عليه السلام واجبة وجوب فريضة ، لكن: المقصود من الوجوب في المقام ليس خصوص الفرد ، بل الطبيعة الكُلِّيَّة؛ فإِنَّه مَطْوِيٌّ فيها عدَّة واجبات.

وفلسفة زيارة المعصوم عليه السلام: تجديد عهد به.

وحاجة الزائر إِليها: لتبعده عن رجس خطوات الشَّيطان المليئة بها أَوقات الإِنسان.

→ **فانظر**: بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه): «**إنَّ الشَّياطين علىٰ المؤمنين أكثر من الزنابير علىٰ اللحم** ، ثُمَّ قال هكذا بيده: **إلَّا ما دفع الله**». بحار الأَنوار ، ٦٤: ٢٣٩/ح٥٧. الاختصاص: ٣٠.

الأَمر الخامس:

أَحد فوائد أَدعية بيانات زيارات أَهل البيت عليهم السلام

إنَّ أَدعية الزيارات عبارة عن التَّعَرُّف علىٰ البطاقة الشَّخصيَّة للمعصوم عليه السلام.

الأَمر السَّادس:

الإعجاز العلمي في أَدعية أَهل البيت عليهم السلام تحدِّي علمي لساحة البشر المعرفيَّة

إنَّ هناك تحدِّي علمي ومعرفي مطروح في أَرْوِقَة السَّاحة العلميَّة البشريَّة في هذا العصر ، بل علىٰ مرِّ الدُّهور والأَزمان يجدر الإطِّلاع عليه وصرف النظر إليه ، حاصله: أَنَّ مَنْ يُرسل الآن الصَّحيفة السَّجَّاديَّة وغيرها من سائر أَدعية أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) إلى أَيِّ محفلٍ وأَيِّ مُختبرٍ علميٍّ مُتخصِّص في علوم الرُّوح والمعنىٰ؛ وإلى المدارس البشريَّة المُتخصِّصة في تربية الرُّوح فسيجد: أَنَّ هذه الصُّروح العلميَّة والمعرفيَّة البشريَّة ليست لها القدرة والمِكْنَة من الوصول إلى ضِفَاف منظومة وقدرة وكفاءة وكمال ونظام الصَّحيفة السَّجَّاديَّة وسائر أَدعية أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، وليست لها القدرة والمِكْنَة أَيضاً من الوصول إلى شواطئ قدراتها وكفاءاتها وكمالاتها وأَنظمتها ونظمها؛ وبالطَّرْحِ الموجود فيها.

وهذا تحدِّي علمي؛ ومعاجز مشهودة ومطروقة علىٰ طاولة السَّاحة العلميَّة والمعرفيَّة البشريَّة عبر جملة الدُّهُور والأَزمان؛ فليأت مَنْ يدَّعي خلاف ذلك بمنظومةٍ كاملةٍ ، بل بدعاءٍ فاردٍ ، بل بمقطعٍ واحدٍ ولو كان صغيراً في بناء وتوازن ←

← الرُّوح غير مسروقٍ من بيانات هذه الصَّحيفة الشَّريفة وسائر بيانات أَدعية أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم)؛ وليعرضه للتقييم أَمام أَصحاب النقد العلميّ والمعرفيَ والعقليَ واللغويّ.

وإِلى هذا المعنىٰ أَشارت بيانات الوحي، منها:

بيان دعاء النُّدْبَة كصفة ثابتة لمولانا الحُجَّة ابن الحسن وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم): «... **يابنَ العُلُوم الكاملة، يابنَ السُّنَنِ المَشْهُورَةِ، يابنَ المَعَالِمِ المَأْثُورَةِ، يابنَ المُعْجِزَاتِ المَوجُودَةِ، يابن الدَّلَائِلِ المَشْهُودَة (المُشْهُورَةِ)** ...». بحار الأَنوار، ٩٩: ١-٤ـ ١١٠. مصباح الزائر: ٢٣٠ـ ٢٣٤. المزار الكبير: ١٩٠ـ ١٩٤.

وهذا التَّحدِّي هو عين التَّحَدِّي الَّذي خطَّه وضربه الباري ﷻ للمخالفين والمُشكِّكين بوحي القرآن الكريم؛ لأَنَّهما يرتضعان مِنْ ثدي واحد.

فانظر: بيانات الوحي، منها:

أَوَّلاً: بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإِسراء: ٨٨].

ثانياً: بيان قوله عزَّ قوله: ﴿**أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ [الطور: ٣٢ـ ٣٤].

ثالثاً: بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [هود: ١٣].

رابعاً: بيان قوله تبارك اسمه: ﴿**وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ** ←

الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧ـ ٣٨].

خامساً: بيان قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

ودلالة الجميع واضحة.

ونُكْتَة الوحدة بين بيانات القرآن الكريم وبيانات أدعية أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وسائر بياناتهم واضحة ، فإِنَّ كُلّاً منها وحي إِلٰهيّ.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء منضماً إِليه بيان أَمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلىٰ آلهما): «... **ولقد سَمِعْتُ رَنَّة الشَّيطان حين نَزَلَ الوحيُ عليه** ﷺ ، **فقُلتُ: يا رسول الله ، ما هذه الرَّنَّةُ؟ فقال: هذا الشَّيطانُ قد أَيسَ من عبادته ، إِنَّكَ تَسْمَعُ ما أَسمَعُ وَتَرَىٰ مَا أَرَىٰ ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ، ولكنَّكَ وزيرٌ ، وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَيرٍ...**». نهج البلاغة ، خ١٩٢: ٣٢٩.

٢ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «**كان عَلِيٌّ** عليه السلام **يعمل بكتاب الله وسنَّة نبيّه ، فإِذا ورد عليه الشي الحادث الَّذي ليس في الكتاب ولا في السُّنَّة أَلهمه الله تعالىٰ الحقّ إِلهاماً؛ وذلك والله من المعضلات**». بصائر الدرجات ، ١: ٤٥٦/ ح٨٥٦ـ ٢.

٣ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن عَلِيّ بن عبد العزيز ، عن أَبيه ، قال: «قلتُ لأَبي عبدالله عليه السلام: جعلتُ فداك ، إِنَّ النَّاس يزعمون أَنَّ رسول الله ﷺ وجَّهَ عَلِيّاً عليه السلام إِلى اليمن ليقضي بينهم ، فقال عَلِيٌّ عليه السلام: فما وردت عَلَيَّ قضية إِلَّا حكمتُ فيها بحكم الله وحكم رسول الله ﷺ ، فقال: صدقوا. قلت: وكيف ذاك ، ولم يكن أُنزل

← القرآن كُلّه؟ وقد كان رسول الله ﷺ غائباً عنه؟ قال: تتلقَّاه به روح القدس». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٥٧/ح٢٣. بصائر الدرجات ، ٢: ٣٦٢/ ح١٦٠٢ـ ١٠. مختصر البصائر: ٤٦/ ح٢ـ ٢.

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**إِنَّ للّٰـه عموداً من نورٍ ، حجبه الله عن جميع الخلائق ، طرفه عند الله وطرفه الآخر في أُذن الإِمام ، فإذا أَراد الله شيئاً أَوحاه في أُذن الإِمام صلّىٰ الله عليه**». بصائر الدرجات ، ٢: ٣٤٠/ ح١٥٧٠ـ ١.

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **والله ما نقول بأَهوائنا ، ولا نقول برأينا ، ولا نقول إِلَّا ما قال ربّنا**». بحار الأَنوار ، ٢: ١٧٣/ ح٥.

ودلالة الجميع واضحة.

نعم ، هناك فارق بينهما ، حاصله: أَنَّ وحي القرآن الكريم وحي نبوَّة وبواسطة جبرئيل عليه السلام ، بخلاف وحي بيانات أَهل البيت عليهم السلام؛ فإِنَّه وحي إِمامة إِلٰهيَّة ووحي علم لدُنِّي ومن دون واسطة.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن صالح بن سهل ، قال: «كُنتُ جالساً عنده فقال لي ابتداءً منه: **يا صالح بن سهل ، إِنَّ الله جعل بينه وبين الرسول رسولاً ، ولم يجعل بينه وبين الإِمام رسولاً** ، قال: قلتُ: وكيف ذاك؟ قال: **جعل بينه وبين الإِمام عموداً من نور ينظر الله به إِلى الإِمام وينظر الإِمام به إِليه فإِذا أَراد علم شي نظر في ذلك النُّور فعرفه**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ١٣٤ـ ١٣٥/ ح١٠. بصائر الدرجات ، ٢: ٣٤٠/ ح١٥٧١ـ ٢. مختصر البصائر: ١٢٨.

ودلالته واضحة.

وقواعد ومعادلات وضوابط نوريَّة وحيانيَّة وعقليَّة[1] ، وعلميَّة ، أَزليَّة

---

(١) لا بأس بالالتفات في المقام إلى القضيَّة التَّالية:

محوريَّة العقل وحجِّيَّته لا تعني أُحَادِيَّة حجِّيَّته

نظريَّة الإِمامة الإِلٰهيَّة لا تُلغي دور العقل بل تُشدِّد علىٰ أَصل حُجِّيَّته

إِنَّ ما ورد في بيان الإِمام أَبي جعفر عليه السلام: «**إِذا قام قائِمُنا وضَعَ اللهُ يده على رُؤُوس العباد فجمع بها عُقُولَهُم وكَمَلَت به أَحلامُهُم**» [أُصول الكافي ، ١: ٢٠/ح٢١] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على ومحوريَّة وحُجِّيَّة العقل ، لكنَّه لا يعني مداريَّة وأُحَادِيَّة حُجِّيَّته ، كما توهَّمه من يُنادي بالعقلائيَّة والتَّعَقُّل ، فكون العقل حُجَّة شيء ، وكون حُجِّيَّته هي المدار شيء آخر.

ودائماً تقع مغالطات بين هذه الأَبحاث؛ نتيجة الدمج والمزج والخلط بين المسائل والبحوث.

ودالٌّ أَيضاً: علىٰ أَنَّ العقل والتَّعَقُّل علىٰ مراتب وطبقات متفاوتة لا حَدَّ ولا نهاية لها؛ لعدم تناهي قدرة وقابليَّة العقل والتَّعَقُّل.

وهذا ما تُشير إِليه أَيضاً بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

٢ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ودلالتهما واضحة.

بل السِّيْرَة العقلائيَّة قائمة علىٰ ذلك؛ فإِنَّها جارية علىٰ أَنَّ كُلَّ مجتمع وشعب ودولة وفي كافَّة الحضارات يَنْصِب لنفسه رئيساً ، بعد أَنْ يتوخَّىٰ فيه أَنَّه الأَعقل والأَعلم، ←

سرمديَّة ، لا نهاية لغَوْرِها ، صعبة المِرَاس ، مكينة الأَساس ، عويصة وشديدة وثقيلة ، وكؤودة وشاقَّة: العقبات والغَوْر والعروج في عوالم بحور الحقائق غير المتناهية ، مدمِّرة مَنْ شاقَّها ، مُذلِّة مَنْ ناواها ، عازَّة مَنْ والاها ، لا تبديل فيها ولا تبدُّل ، فلا تنخرم كانخرام ما أَسَّسَه البشر من قواعد وأُصول عقليَّة وغيرها[1] ، تؤدِّي إِلى ما ورائها من معاني ، وهلمَّ جَرّاً حتَّى ينتهي عَالَم

← وحيث إِنَّ هذه السِّيْرَة كانت قائمة في عصر النَّصِّ والتَّشريع الإِلٰهيّ ، ولم يردع عنها الشَّارع المُقدَّس دَلَّ ذلك علىٰ إِمضائها الشَّرعي.

وهذه السِّيْرَة لا يمكن لأَحدٍ إِنكارها ، أَو إِنكار صغراها أَو كبراها وإِنْ كان من أَصحاب مذهب العقلائيَّة والتَّعَقُّل.

وبالجملة: نظريَّة النَّصِّ والإِمامة الإِلٰهيَّة لا تلغي دور وحُجِّيَّة العقل ، بل تُشَدِّد علىٰ أَصل حُجِّيَّة.

(١) يجدر صرف النَّظر في المقام إِلى القضيَّة التَّالية:

لابُدَّ من التَّحَرُّر من ضيق المشرب في متابعة الحقيقة

إِنَّ من يُريد تحرّي حقيقة فعليه التَّحَرُّر من ضيق المشرب والمدرسة الَّتي ينتمي إِليها ، لكن الواقع يشهد عكس ذلك ، وإِلَّا فلماذا لا يأخذ الفلاسفة وَمَنْ جَرَىٰ علىٰ شاكلتهم ببيانات الوحي وكلام رجالاته ، وما يذكرونه من حُجَجٍ واهيةٍ جِدّاً؛ مع أَنَّ الكثير من المدارس البشريَّة ـ كالمدرسة الفلسفية ـ مأخوذ في شعارها عدم التَّعَصُّب في الأَبحاث العلميَّة للوصول إِلى الحقيقة والنتائج الحقَّة.

ومن ثَمَّ كثير من الإِشكالات والإِعتراضات والشُّبهات الواردة والنَّاشئة علىٰ مشهد الثقافة الإِسلاميَّة والإِيمانيَّة حصلت نتيجة البناء علىٰ قناعاتٍ مرسومة في المدارس المعرفيَّة البشريَّة ـ كـ: المدرسة: الفلسفيَّة والكلاميَّة والعرفانيَّة والتَّفسيريَّة ـ.

المعاني ويبدأ عَالَمَ الحقائق ، ومِنْ ثَمَّ تحتاج إِلى مُعَلِّمٍ إِلٰهيّ[١].

---

(١) لا بأس بالإِلتفات في المقام إِلى القضايا التَّالية:

القضيَّة الأُولَىٰ:

خطورة ما موجود بين أَيدينا من بيانات الوحي

إِنَّه يغبطنا الآن ونحن في هذه النَّشأة الأَرضيَّة أَهل البرزخ ، بل وسائر المخلوقات علىٰ ما تحويه أَيادينا من بحور علوم ومعارف القرآن الكريم وتُراث أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) غير المتناهية؛ والمُشار إِليها في بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

٢ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **وهذا كُلّه لآل محمَّد لا يُشاركهم فيه مُشارك ... علم الأَنبياء في علمهم ، وسرّ الأَوصياء في سرِّهم وعزّ الأَولياء في عزّهم كالقطرة في البحر ، والذَّرَّة في القفر ...**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٧٣/ ح٣٨.

٣ـ بيان الإِمام أَبي الحسن عليه السلام مُخاطباً عَلِيّ بن أَبي حمزة ، قال: «... **لا تعجب ، فَمَا خفي عليكَ من أَمر الإِمام أَعجب وَأَكثر ، وما هذا من الإِمام في علمه إِلَّا كطيرٍ أَخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماءٍ ، أَفترىٰ الَّذي أَخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟ قال: فإِنَّ الإِمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده ، وعجائبه أَكثر من ذلك ، والطير حين أَخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً ، كذلك العَالِم لا ينقصه علمه شيئاً ، ولا تنفد عجائبه**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ١٩٠ـ ١٩١/ ح٢. قرب الإِسناد: ١٤٤.

ودلالتها واضحة.

وبالجملة: أَنَّ بيانات الوحي الموجودة بين أَيدينا أَصحرت بمعلومات وعلوم ←

← ومعارف وحقائق خطيرة ومهولة جِدّاً لم تُشَمَّ رائحتها من قَبْل قَطُّ ، بل لم تُشَمَّ رائحة بعضها إلى الآن ، بل ولن تُشَمّ رائحة بعض طبقات ومراتب علومها ومعارفها ومعانيها وحقائقها الصَّاعدة وغير المتناهية؛ وذلك لقصور مِكْنَة المخلوقات وقدراتها وإدراكاتها ، سوآء أكان ذلك المخلوق مَلَكاً مُقرَّباً ـ كـ: جبرئيل عليه السلام ـ أم نبيّاً مُرسلاً ـ كـ: النَّبِيِّ إبراهيم عليه السلام ـ أم مؤمناً ممتحناً ـ كـ: سلمان رضي الله عنه ـ.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان الإمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه) ، عن أَبي الصَّامت ، قال: «سمعتُ أَبا عبدالله عليه السلام يقول: **إنَّ من حديثنا مالا يحتمله مَلَك مُقَرَّب ، ولا نَبِيٌّ مُرسَل ، ولا عبد مؤمن**. قلتُ: فَمَنْ يحتمله؟ قال: **نحن نحتمله**». بحار الأَنوار ، ٢: ١٩٣/ ح٣٦.

ودلالته واضحة

القضيَّة الثَّانية:

مديات معاني بيانات الوحي وحقائقها غير متناهية أَبداً

إنَّه ليس لقوالب بيانات الوحي أَمد ونقطة مُعيَّنة ومديات متناهية ، فقوالب مدياتها غير متناهية أَزلاً وأَبداً.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [الكهف: ١٠٩].

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ [لقمان: ٢٧].

نعم ، إذا اِنتهت مُكْنَة وقدرة سالكها ومُطالعها عند حدٍّ مُعيَّنٍ سلَّمته وأَحالَته إلى قوالب وحيانيَّة أُخرىٰ غير متناهية أَيضاً. ←

وإلى هذا أشارت بيانات الوحي، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾(١) (٢).

← وهذه الخَصْلَة والصِّفة لا تتمتَّع بها قوالب أَلفاظ البشر البَتَّة. وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي، منها:

بيان قوله جلَّ شأنه: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

القضيّة الثَّالثة:

في بيانات الوحي معلومات مُشَفَّرة وصعوبتها تكمن في التَّأليف بينها

إنَّ خُطُوْرَة بيانات أَهل البيت عليهم السلام: أَنَّها تُعطي معلومات مُشَفَّرَة وخفيَّة، وفصول وأَبواب من علوم شتَّىٰ.

والفصل: مجموعة من المعلومات لها نظم ومنظومة خاصَّة، والصعوبة تكمن في التَّأليف بينها وبين المنظومات الأُخرىٰ.

القضيَّة الرَّابعة:

الوسطيَّة ميزان الدِّين الإِسلامي

المعرف عن الدِّين الإِسلامي: أَنَّه يضع ميزاناً وسطيّاً، خلافاً لِـمَا توهَّمه جملة كبيرة من الأَخباريِّين.

(١) آل عمران: ٧.

(٢) **يجدر الِالتفات:** أَنَّ هذا البيان الوحياني وما شاكله من بيانات الوحي المعرفيَّة، كـ: بيان قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] شاملة لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات غير المتناهية، منها: (العرش).

٢ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام ، عن الفضيل ، قال: «سأَلتُ أَبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: «**ما من آية إِلَّا ولها ظهر وبطن ، وما فيه حرف إِلَّا وله حدّ ومطلع**» ما يعني بقوله: «**لها ظهر وبطن**» ، قال: **ظهر وبطن هو: تأويلها ، منه ما قد مضىٰ ، ومنه ما لم يجيء ، يجري كما تجري الشَّمس والقمر ، كلَّما جاء تأويل شيء[1] ، منه يكون علىٰ الأَموات كما يكون علىٰ الأَحياء ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ونحن نعلمه**»[2].

٣ـ بيان أَحدهما عليهما السلام: «**في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فرسول الله صلى الله عليه وآله أَفضل الرَّاسخين في العلم ، قد علَّمه الله جميع ما أَنزله عليه من التَّنزيل والتَّأويل ، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يُعلمه تأويله ، وأَوصياؤه مِنْ بعده يعلمونه كلّه ، والَّذين لا يعلمون تأويله إِذا قال العَالِم فيه بعلم فأَجابهم الله بقوله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ والقرآن له خاصٌّ وعام ، ومُحْكَم ومُتشابه ، وناسخ ومنسوخ ، والرَّاسخون في العلم يعلمونه**»[3] [4].

---

(١) في المصدر: (كُلَّما جاء فيه تأويل شيء).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٣: ١٩٧/ ح٢٧. بصائر الدرجات: ٥٥.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٣: ١٩٩/ ح٣٣. بصائر الدرجات: ٥٦.

(٤) **يجدر الإلتفات**: أَنَّه بعدما كانت سُنن سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله جامعة مانعة فلولا بلورة أَمير المؤمنين وفاطمة الزهراء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) لها وتوضيحها لَـمَا أَمكن للبشريَّة قَطُّ فقه وفهم مراداته صلى الله عليه وآله.
وفي هذا المقام بحث عريق ، وكلام طويل.

ودلالتها واضحة علىٰ ضرورة المُعَلِّم الإلٰهيّ.

وليس معنىٰ التَّمَسُّك بقوالب بيانات الوحي: حشويَّةً وقشريَّةً وجموداً علىٰ السَّطح ، بل تمسُّكٌ بالقوالب الوحيانيَّة الجزلة الضَّخمة الفخمة[1] ، والغَوْر ـ فحصاً وتدقيقاً ضمن الضَّوابط والقواعد العلميَّة ـ والنفوذ في أَعماق بحور معانيها غير المتناهية.

[مُميِّزَات قوالب بيانات الوحي]

ثُمَّ إِنَّ لقوالب بيانات الوحي مُـمَيِّزات ، ينبغي صرف النَّظر إِليها ، منها:

١ـ إِنَّها مرآة مهولة ، لا تنفد معانيها وحقائقها ، ولا تنتهي ولا تتناهىٰ عند حدٍّ أَزلاً وأَبداً.

وإِلى هذا أَشارت بياناته الوافرة الباهرة ، منها:

بيان قوله جلَّ اسمه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ

---

(١) **ينبغي الِالتفات**: أَنَّ أَحَد وجوه الإِعجازات العلميَّة ، والعقليَّة ، والمعلوماتيَّة ، واللُّغويَّة ، والبلاغيَّة لبيانات الوحي: أَنَّها تضع الإِصْبَع علىٰ عناوين غامضة لفظاً ومعنىً وحقيقةً لم تكن بمِكْنَة البشر الِالتفات إِليها وشَمّ رائحتها.
مثاله: لفظة وعنوان: (الصِّراط) ، فمع أَنَّها كلمة فاردة ، لكنَّها عبارة عن بحر زخَّار من العلم والمعلومة والبلاغة عظيم جِدّاً ، فأَيُّ صِراطٍ يُراد منه؛ هل: صِراط المُستقيم أَو صِراط الجحيم؟ أَو صِراط العمل؟ أَو صِراط المعارف؟ أَو صِراط العلم؟ أَو صِراط الرُّوح؟ أَو صِراط النَّفس؟ أَو صِراط البدن ، أَو صراط القلب؟ أَو صِراط الجنَّة؟ أَو صِراط النَّار؟ وهلمَّ جرّاً.

مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

٢ـ إِنَّها تعصم شيئاً فشيئاً مَنْ يتمسَّك بها من الزَّيغ والزَّلل والإِنحراف ؛ فلا يشمل مَنْ يبحر في معاني منظومة قوالب أَلفاظ بيانات الوحي زيغ الفتن ، ولا تستولي عليه غشوة: الضَّلال والإِضلال والحيرة والمحن.

وهذا أَحد معاني بياناته الأُخرىٰ ، منها:

الأَوَّل: بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[٢].

الثَّاني: بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**إِنِّي تارك فيكم ما إِنْ تمسَّكْتُم به لن تضلُّوا بَعْدِي ، أَحدهما أَعظم من الآخر ، وهو: كتاب الله ، حبل ممدود من الأَرض إِلى السَّمآء ، وعترتي أَهل بيتي ، لن يفترقا حتَّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الحوض** ...»[٣].

الثَّالث: بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **فإِنِّي حاملكم إِنْ شاء الله إِنْ أَطعتموني علىٰ سبيل النَّجاة وإِنْ كانت فيه مشقَّة شديدة ومرارة عتيدة** ...»[٤].

الرَّابع: ما ورد في بيان الزيارة في حَقِّ أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام: «...

---

(١) لقمان: ٢٧.

(٢) طه: ١٢٣.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٣: ١١٨/ ح٣٦.

(٤) المصدر نفسه ، ٣٢: ٢٢٣.

السَّلَامُ عليكم يا سفن النَّجَاة...»[1].

٣ـ إِنَّها لا تدع لَمن يتمسَّك بها ثغرةً ومجالاً للنقض عليه ، ويكون في حصنٍ حصين من تشكيك المُشَكِّكين ؛ وسهام المغرضين والمُعترضين.

وإِلى هذا أَشارت بياناته ، منها:

بيان قوله تعالىٰ ذكره: ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾[2].

ومنه يتَّضح: أَنَّ اِخْتِرَاع الباحث والمُسْتَنْبِط لأَلفاظ وعناوين ومُصطلحات المعارف لا سيما العقائدية ـ كـ: لفظ: (واجب الوجود) ، و(علَّة العلل) ويُراد منها: الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ـ قد تؤدِّي إِلى زللٍ وزيغٍ وإِنحرافٍ معرفيٍّ وعقائديٍّ خطيرٍ.

إِذَنْ: مَنْ يُريد ترصيف قاعدة أَو ضابطة معرفيَّة ـ لاسيما العقائديَّة ـ فإِيَّاه والتَّكلُّف والتَّمحُّل وإِختراع الأَلفاظ والعناوين والمُصطلحات من تلقاء نفسه.

وهذا ما أَشارت إِليه بياناته ، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**إِيّاكَ أَنْ تُفَسِّر القرآن برأيكَ ... فإِنَّه رُبّ تنزيل يشبه بكلام البشر ، وهو كلام الله ، وتأويله لا يشبه كلام البشر ، كما ليس شيء من خلقه يشبهه ، كذلك لا يشبه فعله تعالىٰ شيئاً من أَفعال البشر ،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٨: ٣٤٥/ ح١.

(٢) الأَنعام: ١٤٩.

ولا يشبه شيء من كلامه بكلام البشر ، فكلام الله تبارك وتعالىٰ صفته وكلام البشر أَفعالهم فلا تُشبِّه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتَضِلَّ»[١].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، مخاطباً كميل بن زياد : «**... يا كميل ، ما من علم إِلَّا وَأَنا أَفتحه ، وما من سرٍّ إِلَّا والقائم عليه السلام يختمه ... يا كميل ، لا تأخذ إِلَّا عنَّا تكن مِنَّا ، يا كميل ، ما من حركة إِلَّا وأَنت محتاج فيها إِلى معرفة ... يا كميل ، إِنَّما المؤمن مَنْ قال بقولنا ، فَمَنْ تَخَلَّفَ عنَّا قصر عنَّا ، ومن قصر عنَّا لم يلحق بنا ، ومن لم يكن معنا ففي الدرك الأَسفل من النَّار...»**[٢].

٣ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «**إِنَّه ليس عند أَحَدٍ من حَقٍّ ولا صوابٍ وليس أَحد من النَّاس يقضي بقضاءٍ يصيب فيه الحقّ إِلَّا مفتاحه عَلِيّ ، فإِذا تشعَّبَت بهم الأُمور كان الخطأ من قبلهم والصواب من قبله أَو كما قال**»[٣].

٤ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**... فوالله لنحبّكم أَنْ تقولوا إِذا قلنا وتصمتوا إِذا صمتنا ، ونحن فيما بينكم وبين الله**»[٤].

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**مَنْ دخل في هذا الدِّين بالرِّجَال أَخرجه مِنه الرِّجال كما أَدخلوه فيه ، وَمَنْ دخل فيه بالكتاب والسُّنَّة زالت الجبال قبل أَنْ**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٨٩: ١٠٧/ ح٢. التوحيد ، الباب: ٣٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٧٤: ٢٦٧.

(٣) المصدر نفسه ، ٢: ٩٥/ ح٣٥.

(٤) المصدر نفسه/ ح٣٧.

يزول»[١].

٦ـ بيانه عليه السلام أيضاً، عن محمَّد الحلبي، قال: «قال لي أبو عبدالله عليه السلام: إنَّه مَنْ عرف دينه من كتاب الله عزوجل زالت الجبال قبل أَنْ يزول، ومَنْ دخل في أَمر بجهل خرج منه بجهلٍ، قلتُ: وما هو في كتاب الله عزوجل؟ قال: قول الله عزوجل: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٢]، وقوله عزوجل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[٣]، وقوله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٤]، وقوله تبارك اسمه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٥]، وقوله جل جلاله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٦]، وقوله عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٧]، ومِنْ ذلك قول رسول الله لِعَلِيّ عليه السلام: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاه فَعَلِيّ مولاه، اللَّهُمَّ وال من والاه، وعاد مَنْ عاداه، وانْصُر مَنْ نَصَرَه، واخْذُل مَنْ خَذَلَه، وَأَحِبّ

---

(١) بحار الأَنوار، ٢: ١٠٥/ ح٦٧.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) النساء: ٥٩.

(٥) المائدة: ٥٥.

(٦) النساء: ٦٥.

(٧) المائدة: ٦٧.

مَنْ أَحَبَّه ، وابغض من أَبغضه»[١] [٢].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٣: ١٠٢ـ١٠٣/ ح١١. بشارة المُصطفىٰ: ١٥٦ـ١٥٧.

(٢) ينبغي صرف النظر في المقام إلى النقطتين التَّاليتين:

النقطة الأُولىٰ:

خُطْبَة الغدير موسوعة علميَّة ومعرفيَّة تُروىٰ بعدَّة طُرق

إِنَّ خُطْبَة الغدير خُطْبَة عظيمة ، وموسوعة علميَّة ومعرفيَّة وحيانيَّة كاملة ، ولها عِدَّة طُرُق ، وفي كُلِّ طريقٍ تُروىٰ به جملة مقاطع لم تُذكر في الطُّرُق الأُخرىٰ.

النقطة الثَّانية:

أَخَذَ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله البيعة لأَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت عليهم السلام مرَّات عديدة

إِنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله أَخَذَ البيعة لأَمير المؤمنين ولسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) في غير موقعة الغدير كرَّات ومرَّات:

أَحَدَها: في الأَيَّام الأُولىٰ من الدَّعوة السِّرِّيَّة البالغة خمس سنوات ، بحسب جملة من الروايات الحديثيَّة والتَّأريخية ، وحين نزل بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، وكانت هذه البيعة في نطاق بني هاشم ، وقد وردت في روايات متواترة عند الفريقين ، فعقد صلى الله عليه وآله مجلساً لثلاث مرَّات ضَمَّ أَربعين رجُلاً من كُبَّار بني هاشم.

الأُخرىٰ: عقدها في نِطَاق المهاجرين.

الثَّالثة: عقدها في نِطَاق ثلَّة من الأَنصار.

وهلمَّ جرّاً ، إِلى نهاية العهد النَّبويّ ، فأَخذها من أَبي طالبٍ وجعفرٍ وحمزةٍ عليهم السلام ، بل كان يأخذها صلى الله عليه وآله في ليلة كُلّ غزوةٍ وحربٍ في نطاق خاصٍّ ، فأَخذها صلى الله عليه وآله علىٰ ←

← أَمير المؤمنين وعلىٰ فاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفر عليهم السلام ، بل وأَخذها صلى الله عليه وآله في نِطَاقٍ عامٍّ بين المهاجرين والأَنصار ، وفي مواطن عديدة وحسَّاسة.

ثُمَّ إِنَّ جميع هذه البُيُوعَات ليست منشأً للإِلزام ـ؛ فإِنَّه تَمَّ عِدَّة مرَّات ، وفي عوالم مُتعدِّدة في العوالم السَّالفة ، كعَالَمَ الذَّرِّ والميثاق وعَالَمَ الأَصلاب ـ ، وإِنَّما هي تجديدٌ لذلك العهد وتوكيدٌ له.

فلاحظ: بيانات الوحي المُشيرة لذلك ، منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء مُخاطباً أَمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلىٰ آلهما): «**أَنْتَ الَّذي احتجَّ الله به في إِبتداء الخلق حيث أَقامهم فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ، قالوا جميعاً: ﴿بَلَى﴾** [الأَعراف: ١٧٢] **، فقال: محمَّد رسولي ، فقالوا جميعاً: بلىٰ ، فقال: وعَلِيٌّ أَمير المؤمنين ، فقال الخلق جميعاً: لا؛ إِستكباراً وعتوّاً عن ولايتكَ إِلَّا نفر قليل ، وهم أَقلّ القليل ، وهم أَصحاب اليمين**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ٢٨٥/ح٤٣. اليقين: ٤٦ـ ٤٧.

٢ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «**إِنَّ الله عرض ولايتي علىٰ أَهل السَّماوات وعلىٰ أَهل الأَرض ، أَقرَّ بها مَنْ أَقرَّ وَأَنكرها مَنْ أَنكر ، ، أَنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتَّىٰ أَقرَّ بها**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ٢٨٢/ح٣٤. بصائر الدرجات: ٢٢.

٣ـ بيان الإِمام الباقر (صلوات اللّـه عليه) ، قال: «**لو يعلم النَّاس متى سُمِّيَ عَلِيّ أَمير المؤمنين لم ينكروا حقَّه**. فقيل له: متى سُمِّيَ؟ **فقرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾** الآية [الأَعراف: ١٧٢] **، قال: مُحمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله وعَلِيّ أَمير المؤمنين**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ٢٨٥/ح٤٤. اليقين: ٥٥. ←

ودلالة الجميع واضحة.

وهذا هو معنىٰ: (التَّعَبُّديَّة) و(التَّوقفيَّة) و(التَّوفيقيَّة) في أَبواب معارف الوحي، فما يُقال من أَنَّ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة[1] .....

← ٤ـ بيانه (صلوات اللّٰـه عليه) أَيضاً: «**إِنَّ الله تبارك وتعالىٰ حيث خلق الخلق ... قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾** [الأَعراف: ١٧٢]. **قال: ثُمَّ أَخذ الميثاق علىٰ النَّبيِّين فقال: أَلستُ بربِّكم؟ ... وأَنَّ هذا محمَّد رسول الله، وَأَنَّ هذا عَلِيٌّ أَمير المؤمنين؟ قالوا: بلىٰ، فثبتت لهم النُّبوَّة، وأَخذ الميثاق علىٰ أُولي العزم أَنِّي ربّكم، ومُحمَّد رسول الله، وَعَلِيّ أَمير المؤمنين وأَوصياؤه من بعده ولاة أَمري وخزَّان علمي، وأَنَّ المهديّ أَنتصر به لديني، وأظهر به دولتي، وأَنتقم به من أَعدائي، وأُعْبَد به طوعاً وكرها. قالوا: أَقررنا وشهدنا يا ربّ، ولم يجحد آدم ولم يقرّ فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي، ولم يكن لآدم عزم علىٰ الإِقرار به وهو قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾** [طه: ١١٥]». بحار الأنوار، ٢٦: ٢٧٩/ح٢٢. بصائر الدرجات: ٢١.

٥ـ بيان الإِمام الصَّادق (صلوات اللّٰـه عليه): «**في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾** [الأَعراف: ١٧٢]، قال: **أخرج الله من ظهر آدم ذرِّيَّته إِلى يوم القيامة كالذَّرِّ فعرَّفهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أَحد ربّه، وقال: أَلَست بربِّكم؟ قالوا: بلىٰ، وأَنَّ محمَّداً رسول الله وَعَلِيّاً أَمير المؤمنين**». بحار الأَنوار، ٢٦: ٢٨٠/ح٢٣. بصائر الدرجات: ٢١. ودلالة الجميع واضحة.

(١) ينبغي الِالتفات في المقام إِلى الأُمور التَّالية: ←

← **الأَمر الأَوَّل:**

خطورة بحث الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة

إِنَّ بحث الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة بحث حسَّاس جِدّاً ، وله بالغ الثمرة والتَّأثير في أَبواب المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة.

الأَمر الثَّاني:

حقيقة مُطلق الأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة مخلوقات إِلٰهيَّة مُكَرَّمة

إِنَّ حقائق جملة الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ليست كما يتبادر في الإِستعمالات العرفيَّة أَنَّها: عبارة عن أَصوات ملفوظة ومنطوقة ومنقوشة ، وإِنَّما هي أَوائل المخلوقات الإِلٰهيَّة الَّتي اِنعكس وتجلَّىٰ فيها كمال الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة؛ واِنعكست وتجلَّت فيها قُوَّته (تعالىٰ ذكره) وعظمته وقدرته وهيمنته؛ فكانت آيات إِلٰهيَّة عظيمة ومهولة جِدّاً ، ولِشِدَّة كمالها ـ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ـ اِنْطَمَسَت إِنِّيَّتها الخلقيَّة ، وتمحَّضَت في حكاية كمال الذَّات المقدَّسة ، وحكاية قوَّته (جلَّت آلاؤه) وعظمته وقدرته وهيمنته.

وهذا ما يُشير إِليه بيان القاعدة المعرفيَّة المُطَّردة في أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة ، وهي: «أَنَّ المخلوقات الإِلٰهيَّة الأُولىٰ لقربها من الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المقدَّسة تتجلَّىٰ فيها العظمة الإِلٰهيَّة أَكثر من سائر المخلوقات» ، ومن ثَمَّ تأخذ بالتَّبع ـ وكوجود ظلِّي وثانياً وبالعرض ـ جملة أَحكام وأَسمآء وصفات الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة إِلَّا الأُلوهيَّة؛ لخروجها موضوعاً وتخصُّصاً.

وبالجملة: أَنَّ مُطلق الأَسمآء والصَّفَات الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ مخلوقات إِلٰهيَّة ، لكن: ليس لها لون خلقي وحدوث مخلوقات ، وإِنَّما حدوث في الحُجُب والسَّدنة الرُّبُوبيَّة؛ فإِنَّ الواحد غير القادر ، وهما غير الأَوَّل ، وهم غير الآخر ، وهلمَّ جرّاً ، ←

→ وهذه المُغايرة كاشفة عن وجود حدود خفيَّة؛ وتناهي خفيّ مُنَزَّه عنها الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ تقدَّس ذكره.

وللتَّوضيح أكثر نقول: إنَّ حقيقة الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة والقرآن الكريم وسائر المعارف الإِلٰهيَّة لا تكمن بوجوداتها الإِعتباريَّة ـ سوآء كانت صوتيَّة أَم كَتْبِيَّة ـ ولا بالمعاني الذهنيَّة ، بل ولا ببحور المعاني ، وهذه وإِنْ كانت لها قدسيَّة وشعشعانيَّة ونورانيَّة عظيمة جِدّاً ، وآثار طلسميَّة عجيبة وغريبة وردت في بيانات الوحي الشَّريف ، لكن حقيقة هذه الموجودات الشَّريفة تكمن في وجوداتها وواقعيَّاتها الصَّاعدة ، والَّتي تُهيمن علىٰ ما تحتها وتتصرَّف فيه.

إِذَنْ: للأَسماء والصِّفات الإِلٰهيَّة ـ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة ـ وما شاكلها من الحقائق والمعارف الإِلٰهيَّة واقعيَّات تكوينيَّة ملكوتيَّة في عوالم شريفة صاعدة ، مهولة جِدّاً ، مُهَيْمِنَة علىٰ ما دونها وتتصَّرف فيها تصرُّف اللَّطيف في الأَغلظ.

وعليه: فينبغي للمخلوق أَنْ لا يُسْكِر عقله بوجوداتها الإِعتباريَّة الشَّريفة ، وإِنَّما يمدّ نظره وينشب أَظفاره بتلك المخلوقات المهولة الصَّاعدة.

ومن أَراد الإِطِّلاع علىٰ معارف الأَسمآء الإِلٰهيَّة ومعانيها وحقائقها فليراجع بيانات الوحي الوافرة ، منها: سورة الرعد ، ودعاء ليلة عرفة ، ودعاء السمات.

بعد الإِلتفات: أَنَّ معارف عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة من أَعقد المعارف الَّتي تعرَّضَت لها بيانات الوحي.

الأَمر الثَّالث:

إِستعمالات الأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة تارة علىٰ نحو الطريقيَّة وَأُخرىٰ علىٰ نحو الموضوعيَّة ←

إنَّ الأَسمآء الإِلٰهيَّة تارة تُطلق ويُراد بها المُسَمَّىٰ تقدَّست أَسمآؤه وعظمت آلاؤه؛ صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، وهذا هو المُنسبق من اِستعمالاتها. وأُخرىٰ تُطلق ويُراد بها نفس الأَسماء الإِلٰهيَّة.

والإِستعمال الأَوَّل آلي ، والثَّاني موضوعي؛ لكن الآلية والموضوعيَّة لا تكمن في الأَلفاظ ولا في المعاني ، وإِنَّما في ما وراء المعاني من واقع الأَسمآء ووجوداتها وحقائقها؛ فإِنَّه تارة يُنظر إِليها كآيات وعلامات للذَّات الإِلٰهيَّة ، وأُخرىٰ يُنظر إِليها بما هي هي.

وإِرادة المُستعمل للنَّحو الأَوَّل وتميِّزها عن إِرادته للنَّحو الثَّاني في السُّوَرِ والآيات القرآنية وبيانات أَهل البيت عليهم السلام ، وما تُذكر من شؤون وصفات للأَسمآء الإِلٰهيَّة أَمر بالغ الأَهميَّة والثمرة والخطورة.

وتمييز أَحد الإِستعمالين يعتمد علىٰ القرائن الحاليَّة والمقاليَّة.

إِذَنْ: إِطلاقات الأَسمآء الإِلٰهيَّة الواردة في بيانات الوحي ، تارة يُراد منها نفس الأَسمآء الإِلٰهيَّة ـ وهي مخلوقات شريفة ومهولة وعظيمة ، في عوالم كريمة صاعدة ـ ، وأُخرىٰ يُراد منها مُسمَّاها؛ صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة ، وهو (تقدَّس ذكره) ورائها وفوقها ، ومُهَيْمَن عليها ، وغنيّ عنها ، ومُمِدُّها ، وهي مفتقرة ومحتاجة إِليه كحال سائر المخلوقات من هذه الجهة ، بل أَشَدُّ.

ونُكْتَة هذا التَّنبيه لأَجل أَنْ لا يحصل خلط في مباحث المعارف والعلوم الإِلٰهيَّة.

فانظر: بيانات الوحي المشيرة إِلى النَّحو الأَوَّل ، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

٢ـ بيان قوله جلَّ ذكره: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

٣ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «**مَنْ صام أَوَّل يوم من شعبان وجبت له الجنَّة البَتَّة ... ومن صام ثلاثة أَيَّام زاره الله في عرشه من جنَّته في كُلِّ يوم**». [من لا يحضره الفقيه، ٢: ٩٢/ ح١٨٢٤].

وقد أَوَّلَت بيانات الوحي الأُخرىٰ فقرة: «**زاره اللّـه في عرشه**» بـ: (زاره **سيِّد الأَنبياء** صلى الله عليه وآله)؛ فإِنَّ طبقات حقيقته صلى الله عليه وآله الصَّاعدة ـ كطبقات حقائق سائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) – هي: الصواد الأُوَل، والتَّجلِّيات والظهورات الأَعظم، والصِّفات والأَسماء الإِلٰهيَّة الحسنىٰ، فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة.

ولاحظ: بيانات الوحي الأُخرىٰ المُشيرة إِلى النَّحو الثَّاني، منها:

أَوَّلاً: بيان قوله عزَّ قوله: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الروم: ٣٠].

ثانياً: بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾ [فاطر: ٤٣].

ثالثاً: بيان قوله جلَّ قوله: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأَنبياء: ٢٢].

رابعاً: بيان قوله جلَّ اسمه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [فاطر: ١٥].

ودلالة الجميع واضحة.

الأَمر الرَّابع:

الدور المعرفي للأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة نفي التَّعطيل والتَّشبيه

إِنَّ دور الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة في المعرفة الإِلٰهيَّة: نفي التَّعطيل في معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة، ونفي التَّشبيه.

← **الأَمر الخامس:**

عدم معرفة المخلوق للأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة توقعه بانزلاقات عقائديَّة خطيرة

إِنَّ كثير من التَّوهُّمات والتَّساؤلات والإِشكالات والتَّخرُّصات الَّتي يُثيرها المخلوق علىٰ ساحة القدس الإِلٰهيَّة ناشئة من عدم معرفته بباب الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، فإِنَّه باب مُهِمٌّ جِدّاً في توطيد صِلَة وعلاقة المخلوق بخالقه تقدَّس ذكره.

مثال ذلك: (اليهود)؛ فإِنَّ لديهم اِعتقاد بالله تعالىٰ ، لكن لَـمَّا لم تكن لديهم معرفة بالأَسمآء والصِّفَات الإِلٰهيَّة أَرتطموا بمحاذير معرفيَّة وعقائديَّة ، منها: نسبة البخل إِلى الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزَليَّة المُقدَّسة.

فانظر:

بيان قوله تقدَّست أَسمآؤه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

الأَمر السَّادس:

ترابط وثيق بين الأَسمآء الإِلٰهيَّة والتَّوجُّه بها إِلى السَّاحة الإِلٰهيَّة

التَّوجُّه إِلى أَهل البيت عليهم السلام أَخطر الإِختبارات الكاشفة عن مدىٰ بصيرة المخلوق

هناك صِلَة وثيقة بين الأَسمآء الإِلٰهيَّة ـ حقائق أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الصَّاعدة ـ والتَّوسُّل والتَّوجُّه بها إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأَعراف: ١٨٠].

٢ـ بيان الإِمام الرضا منظّماً إِليه بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، قال: «... إِذا نزلت بكم شِدَّة فاستعينوا بنا علىٰ الله ، وهو قول الله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ ←

بِهَا﴾. قال: قال أَبو عبدالله عليه السلام: نحن والله الَأسمآء الحسنىٰ الَّذي لا يُقبل من أَحدٍ إِلَّا بمعرفتنا ، قال: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾». بحار الأَنوار ، ٩١: ٥ـ ٦/ح٧. تفسير العياشي، ٢: ٤٢.

ومنه يتَّضح: أَنَّ التَّوجُّه والِالتجاء إِلى سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) من أَعظم وَأَهم الِامتحانات والِاختبارات علىٰ مدىٰ الأَزمان والدُّهورة الكاشفة عن مدىٰ معرفة وبصيرة المخلوق.

الأَمر السَّابع:

تَنَزُّه الذَّات المُقَدَّسة عن مطلق المخلوقات

كمال جملة الصِّفات الإِلٰهيَّة من الذَّات المُقَدَّسة

إِنَّ الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة مُنَزَّه عن جملة مخلوقاته ، منها: الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة؛ فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة.

ولا يُقال: إِنَّ كمال الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة بالصِّفات.

فإِنَّه يُقال: الحق: أَنَّ كمال مطلق الصِّفات الإِلٰهيَّة مُنبثق ومُتجلِّي من الذَّات المُقدَّسة ، لا العكس.

ومنه يتَّضح: أَنَّه لا يُمكن لمُطلق الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة اِكتناه الذَّات المُقدَّسة.

الأَمر الثَّامن:

خطورة البحث في أبواب المعارف الإلهية

إِنَّ البحث في أُلوهيَّة الإِلٰه (جلَّ وتقدَّس) ، وفي التَّوحيد ، وفي المعارف الإِلٰهيَّة ليس دغدغة عواطف ، بل بناء كرامة وبناء عُلُوّ المخلوق؛ وبرامج لنبل وكرامة الإِنسانيَّة في المجتمع في هذا الكوكب الأَرضي؛ وبناء خارطة عقائد ومعارف وخارطة مسار

إنساني لا تحدُّها الأَرضين والسَّمآوات السَّبع ، بل لا تحدُّها مُطلق العوالم غير المتناهية ، وباقية لآبادٍ وآزالٍ.

إِذَنْ: الإِعتقاد بالتَّوحيد ليس ترنيم عواطفي ، وإِنَّما خارطة طريق تنعكس علىٰ كُلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ في هذه الدُّنيا الدَّنِيَّة حتَّىٰ علىٰ مَنْ جعل الجنس صنماً له ـ مثلاً ـ ، فضلاً عمَّن رفع هِمَّته إِلى عوالم أُخرىٰ ، وحياة كريمة ونجيبة وشريفة ونبيلة ، وعُلُوّ مقامات ، في هذا العَالَم وفي غيره.

وبالجملة: المعارف الإِلٰهيَّة والإِعتقاد بالتَّوحيد ليس شيئاً تجريديّاً أَو عاطفيّاً ، وإِنَّما حقيقة مسار يُكَوِّن جملة مسارات المخلوقات ، وتنعكس علىٰ حياتها: (السياسيَّة) ، و(الإِجتماعيَّة) ، و(الأَمنيَّة) ، و(العسكريَّة) ، وهلمَّ جرّاً ، وتنعكس أَيضاً علىٰ سلوكها ، ومن ثَمَّ تُجعل الدولة دينيَّة والمسار ديني ، والدِّين هو الحياة الكريمة في كُلِّ شيءٍ ، ويَجعل مَنْ سار علىٰ صراطه كريماً نجيباً ، ومعرفته ترفع هِمَّة المخلوق وتعلو بتفكيره ، والمعصوم هو المُجسِّم للكمال.

ثُمَّ إِنَّ مَنْ يُطَلِّق الدين يتبنَّىٰ أَيّ مرام وكُلّ حرام ، ويكون شعاره الإِستباحة والإِباحية في جملة الأَشياء ، ويصير وحشاً كاسراً ، وبَهِيْمِيّ الشَّهوة والنَّزْوَة.

الأَمر التَّاسع:

تنزُّه الذَات المُقدَّسة عن جملة من شؤون الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة

لكُلِّ اسم إِلٰهي مداولة وتغيُّر وتبدُّل خاصّ به

الأَسمآء الإِلٰهيَّة لا تتَّسع بوسع الذَّات المُقدَّسة

إِنَّ ما ورد في دعاء الافتتاح: «... **وأَيقنتُ أَنَّكَ أَرحم الرَّاحمين في موضع العفو والرَّحمة ، وَأَشَدُّ المُعَاقبين في موضع النَّكَال والنَّقِمَة ، وَأَعظم المتجبِّرين في موضع الكبرياء والعظمة** ...» [بحار الأَنوار ، ٩٤: ٣٣٧] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ علىٰ أَنَّ

وَأَسماء[١] سيِّد الأَنبياء ﷺ وسائر أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام وَصِفَاتهم وغيرها أُمورٌ توقُّفيَّة هي بهذا المعنىٰ.

وليس معناه ـ كما تخيَّله خُلَاة الأَذهان عن طبيعة بيانات الوحي المنان مِنْ الفلاسفة والعَلمانيِّين والماديِّين وَمَنْ شاكلهم[٢] ـ: أَنَّ التَّمَسُّك بأَلفاظ

← للأَسمآء الإِلٰهيَّة شؤون ومواطن لا يمكن للّٰـه المُسمَّىٰ؛ صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة الإِتِّصاف بها ، فإِنَّ الأَسمآء الإِلٰهيَّة بهذه الشؤون والمواطن تكون محدودة بالقياس إِلى الذَّات الإِلٰهيَّة المُقَدَّسة.

ودالٌّ أَيضاً: أَنَّ الباري ـ المُسمَّىٰ ـ (جَلَّ ثناؤه) إِذا أَراد رحمة مخلوق فَلَا يتجلَّىٰ له بالكبرياء والعظمة ، بل بالعفو والرَّحمة ، وإِذا أَراد معاقبة مخلوق فلا يتجلَّىٰ له بالعفو والرَّحمة ، وإِنَّما بالنَّكال والنَّقِمَة ، وعلىٰ هذا قس سائر الأَسمآء الإِلٰهيَّة بالقياس إِلى ما يُناسبها وما لا يُناسبها من شؤون وَمَوَاطِن. وعبَّرَ أَهل المعرفة عن هذا التَّجَلِّي والظهور بـ: «دولة الأَسمآء» ، وكأَنَّما لكُلِّ اسم إِلٰهيّ دولة؛ بمعنىٰ: مداولة وتغيُّر وتبدُّل. وهذا التَّغيُّر دليل علىٰ فقر وحاجة الأَسمآء الإِلٰهيَّة للذَّات المُقدَّسة. ودليل أَيضاً علىٰ أَنَّ الاسم الإِلٰهيّ ـ كـ: اسم (الله) ـ لا يتَّسع بوسع الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة الثَّابتة بقول مُطلق ، وهذا هو معنىٰ: عُلُوّ قاهريَّة الباري ـ المُسمَّىٰ ـ صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة المقدَّسة؛ وحاكميَّته علىٰ كافَّة عوالم الخلقة وجملة مخلوقاتها ، منها: الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، فعليَّة كانت أَم ذاتيَّة.

(١) هناك نُكتة معرفيَّة يجب الإِلتفات إِليها ، حاصلها: أَنَّ الثَّابت في بيانات أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم): أَنَّ لكُلِّ واحدٍ مِنْ أَهل البيت عليهم السلام أَسماء عديدة ، وكُلّ اسمٍ منها مُشتقّ من اسمٍ إِلٰهيّ.

(٢) يجدر الإِلتفات في المقام إِلى التَّنبيهات التَّالية: ←

التَّنبيه الأَوَّل:

الإيمان بالغيب باعث لتحصيل الفضائل والكمالات

إِنَّ الإِيمان بالغيب أَساس أُسس العلم والمعلومات الحقَّة ، بل لولا الإِيمان بالغيب لَـمَا كان هناك باعث لتحصل العلم وسائر الفضائل والكَمَالات ، ولَـمَا كانت هناك بواعث للحركة في أَيِّ عِلْم من العلوم ، سوآء أَكان ذلك المخلوق ملتفتاً إِلى هذه القضيَّة أَم لا.

ولعلَّ هذا هو ما يشير إِليه بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢ـ٣].

التَّنبيه الثَّاني:

لا بُدَّ من إِعطاء العلوم الدِّينيَّة حقّها

إِنَّ العلوم المعرفيَّة الدِّينيَّة الوحيانيَّة بعد ما كانت علوم ملكوتيَّة وجب النَّظر إِليها ، والتَّعامل معها ، وعدم الإِستهانة (والعياذ بالله تعالىٰ) بها.

التَّنبيه الثَّالث:

تملُّص الفلاسفة عن شعارهم الأَوَّل

الوحي ترشيد للسَّيْرِ والفكر إِلى خطىٰ غير متناهية في التَّكامل

هناك إِشكال جذريٌّ وأَساسيٌّ يُسَجَّل علىٰ الفلاسفة وَمَنْ جرىٰ علىٰ شاكلتهم؛ فإِنَّ ما يرفعونه من شعارٍ هم أَوَّل مَنْ يتملَّص منه منهجيّاً ، فإِنَّهم ادعوا في حَقِّ بيانات الوحي والميزان والمنهج الوحياني أَو التعبُّد الوحياني أَو التَّوقيتيَّة أَو التَّوقيفيَّة علىٰ قوالب بيانات الوحي: أَنَّها حبوسيَّة وتحجير وسلب لحريَّة الفكر ولحريَّة الإِنسان ، وإِرهاب وترهيب.

لكنَّه: توهم فاسد.

والحقُّ: أَنَّ معناها: ترشيد للسَّيْرِ والفكر البشري إِلى خُطىٰ غير متناهية في التَّكامل ـ ومِنْ ثَمَّ مدحت بيانات الوحي العقل والتَّفَكُّر وطلب العلم ، وذمَّت الجهل والشَّكّ والرِّيبة والتَّردُّد؛ لكونها تُوْقِف حركة الفكر وسَيْرَه ـ وعاصمة مَنْ يتمسَّك بها من الإِفراط والتَّفريط ، وتبحر به في بحور عوالم المعاني والحقائق غير المتناهية أَبَد الآباد وَدَهَر الدُّهُور ، وتعطيه قوالب وبراهين ولغات وأَنظمة ونظم وموازين وحيانيَّة وعقليَّة؛ أَعظم من دون قياس مِـمَّا يُعطيه الجهد البشري المحدود والمتناهي بمحدوديَّة وتناهي قوىٰ البشر وإِمكانيَّاته.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

بيان الإِمام الباقر عليه السلام المُوجَّه لطالبين العلم من غير أَهل البيت عليهم السلام: «**يمصون الثماد ويدعون النَّهر العظيم** ، قيل له: وما النَّهر العظيم؟ قال: **رسول الله** صلى الله عليه وآله **والعلم الَّذي آتاه الله ، إِنَّ الله جمع لِـمُحمَّدٍ** صلى الله عليه وآله **سنن النَّبيِّين من آدم هلمَّ جرّاً إِلى محمَّدٍ** صلى الله عليه وآله. قيل له: وما تلك السُّنن؟ **قال: علم النَّبيِّين بأسره ، إِنَّ الله جمع لِـمُحمَّدٍ** صلى الله عليه وآله **علم النَّبيِّين بأسره ، وإِنَّ رسول الله** صلى الله عليه وآله **صيَّر ذلك كلَّه عند أَمير المؤمنين** عليه السلام. فقال له رَجُلٌ: يابن رسول الله ، فأَمير المؤمنين عليه السلام أَعلم أَو بعض النَّبيِّين؟ فقال أَبو جعفر عليه السلام: **اسمعوا ما يقول!! إِنَّ الله يفتح مسامع مَنْ يشآء ، إِنِّي حدثتُ: أَنَّ الله جمع لِـمُحمَّدٍ** صلى الله عليه وآله **علم النَّبيِّين ، وإِنَّه جعل ذلك كلّه عند أَمير المؤمنين ، وهو يسألني هو أَعلم أَم بعض النَّبيِّين؟!**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ١٦٦ـ ١٦٧/ ح٢١. بصائر الدرجات: ٣٢ـ ٣٣.

ودلالته واضحة.

والمراد من الثمد: النَّدىٰ الَّذي يتكوَّن علىٰ الأَحجار.

إِذَنْ: الفلاسفة ومَنْ جرىٰ علىٰ شاكلتهم وإِنْ كانوا يتشدَّقون بالتَّحرُّر عن الضِّيق والحبوسيَّة والتَّقليد والتَّساليَّة ، لكنَّها مُجرَّد شعارات تنظيريَّة ، وإِلَّا فعلم الفلسفة

وعناوين بيانات الوحي تحجيرٌ للعقل وَإِحْبَاسٌ وإِغلاقٌ للفكر ، بل معناه العكس ؛ فإِنَّ التَّمَسُّك بنتاج البشر فقط ـ بعدما كانت سَعَة البشر وطاقته وَمِكْنَته ونتاجه ؛ والأَلفاظ والمعاني والحقائق الَّتي يتعامل بها محدودة ؛ لمحدوديَّة المخلوق كان ـ هو التَّحجير للعقل وحبس وإِغلاق للفكر ، فيُحْبَس مَنْ يتمسَّك به فقط عن العروج إِلى آفاق وعوالم معرفيَّة عظيمة ومهولة وخطيرة جِدّاً ، لا يحيط بها إِلَّا باعِث الوحي الإِلٰهيّ (تقدَّست أَسماؤه وعظمت آلاؤه) وأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، بخلاف سَعَة الوحي الإِلٰهيّ وطاقته ونتاجه ، والمعاني والحقائق المُتعَامل بها ؛ فإِنَّها بحور متلاطمة زخَّارة ؛ غير متناهية وغير محدودة أَزلاً في طُرِّ العوالم.

وَمِنْ ثَمَّ كُلُّ عنوانٍ وكلمةٍ ولفظةٍ ، بل كُلُّ شفرةٍ وزيادةٍ ونقيصةٍ يطلقها المعصوم عليه السلام تُعطي بحوراً من المعاني والحقائق الفيَّاضة غير المتناهية ، وتدلُّ علىٰ عوالم معرفيَّة غير متناهية أَيضاً ، خطيرة وعظيمة ومهولة جِدّاً.

→ بعدما قصره أَصحابه عملاً علىٰ نتاج العقل البشري كان محبوساً وضيِّقاً ، ولم ينفتح علىٰ أُفق الوحي غير المتناهي ، والمُتخطِّي لِسَعَة العقل البشري بما لا يتناهىٰ؛ والمُعطي موادّاً علميَّة وعقليَّة ومعرفيَّة للبشريَّة أَعظم وأَخطر من دون قياس مِـمَّا تُعطيه العلوم والمعارف البشريَّة فلسفيَّة كانت وعقليَّة أَم غيرهما.

نعم ، لضيق أُفق الباحث في علوم ومعارف بيانات الوحي يُؤَوِّل ويلوي أَعناق دلالاتها علىٰ وفق سَعَة أُفقه وفهمه وأُفق وفهم البشر.

وبالجملة: الفلسفة ولغتها لغة عقليَّة بشريَّة ، وهي محدودة ، بخلاف بيانات الوحي المعرفيَّة؛ فإِنَّ لغتها عقليَّة وحيانيَّة وقلبيَّة وذوقيَّة وجدانيَّة وحيانيَّة غير متناهية أَبَد الآباد وَدَهر الدُّهُور.

المسألة: (١٦/٧)

[ألفاظ الوحي جبل ممدود]

هناك ضابطة وردت في منهج المعارف الإِلٰهيَّة ، ينبغي صرف النَّظر إِليها ، حاصلها: أنَّ كُلَّ عنوانٍ وكلمةٍ ولفظةٍ ، وشفرةٍ ونبرةٍ ، وزيادةٍ ونقيصةٍ ترد في بيانات الوحي ـ قرآناً وسُنَّة ـ لاسيما في أَبواب العقائد لها حسابها الخاصّ ، بل تُعطي بحوراً متلاطماً تيَّارها ، متراكماً زخَّارها من المعاني والحقائق الفيَّاضة أَزلاً وأَبداً ، وتدلُّ علىٰ عوالم معرفيَّة[1] زخَّارة لا نهاية لها ، خطيرة وعظيمة ومهولة جِدّاً ؛ لكونها نافذةً وسُرَادِقَاتَ لأَنوار وحقائق غيبيَّة غير متناهية ، ولها حقائق غيبيَّة تعود إِليها.

وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي الإِلٰهيّ الوافرة الباهرة ، منها:

---

(١) عنوان: (العوالم المعرفية) الوارد في بيانات الوحي الإِلٰهيّ يعني: مرتبة ورتب من العوالم.

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[١].

٢ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[٢].

٣ـ بيان قوله جلَّ قدسه: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[٣].

٤ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين: «... **وإِنِّي تارك فيكم الثقلين ، أَحدهما أَعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السَّمآء إِلى الأَرض ...**»[٤].

٥ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**لو شئتُ لأَوقرتُ لكم ثمانين بعيراً مِنْ معنىٰ: (الباء)**»[٥].

٦ـ عن ابن عبَّاس ، قال: «أَخذ بيدي عَلِيٌّ عليه السلام ليلة ، فخرج بي إِلى البقيع ، وقال: **إِقرأ يابن عبَّاس** ، فقرأتُ: «بِسْمِ اللّٰـهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ» فتكلَّم في أَسرار (الباء) إِلى بزوغ الفرج»[٦].

---

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) لقمان: ٢٧.

(٣) النحل: ٩٦.

(٤) بحار الأَنوار ، ١٠: ٣٦٩/ ح١٨.

(٥) لطائف المتن ، ١: ١٧١.

(٦) ينابيع المُودَّة: ٤٠٨.

٧ـ ما رواه القندوزي الحنفي: «إِعلم: أَنَّ جميع أَسرار الكُتُب السَّماويَّة في القرآن ، وجميع ما في القرآن في الفاتحة ، وجميع ما في الفاتحة في البسملة ، وجميع ما في البسملة في باء البسملة ، وجميع ما في باء البسملة في النقطة الَّتي تحت الباء ، قال الإِمام عَلِيٌّ كرَّم الله وجهه: **أَنَا النقطة الَّتي تحت الباء**»[1].

٨ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **إِنَّ الكلمة من آل مُحَمَّد تنصرف إِلى سبعين وجهاً** ...»[2] [3].

---

(١) ينابيع المُودَّة: ٦٩ و٤٠٨.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٧٣/ ح٣٨.

(٣) يجدر صرف النظر في المقام إِلى القضايا التَّالية:

القضيَّة الأُولىٰ:

جملة الفضائل والكمالات وأَضدادها أَرواح وجواهر مهولة في عوالمها الصَّاعدة

إِنَّ علم أَئِمَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الصَّاعد ذو أَرواح وجواهر أَمْرِيَّة؛ من عَالَمَ الأَمر ـ عَالَمَ: (كُنْ فيكون) ـ ، وذو أَرواح ملكوتيَّة مُحيطة بجملة عَالَمَ التَّكوين ومخلوقاته.

بل كافَّة الفضائل والكمالات ـ كالكرم والشَّجاعة ـ ، وكُلُّ الرَّذائل ـ كالبخل والجبن ـ ، وجميع الشرور حقائقها الصَّاعدة ذو أَرواح وجواهر مهولة وعظيمة من عوالم صاعدة ، مُحيطة ومُهيمنة علىٰ ما تحتها.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

بيان الإِمام الصَّادق (صلوات اللّٰـه عليه) في حديث جُنْد العقل والجهل: «**اعرِفُوا العقل وجُنْدَه والجهل وجُنْدَه تَهْتَدوا ... إِنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أَوَّلُ خلق من** ←

← الرَّوحانيِّين عن يمين العرش من نُوره؛ فقال له: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قال له: أَقْبِل فَأَقبل؛ فقال الله تبارك وتعالىٰ: خلقتُكَ خَلقاً عظيماً وكرَّمْتُكَ علىٰ جميع خلقي ، قال: ثُمَّ خَلَقَ الجهل من البحر الأُجَاج ظُلمانِيّاً؛ فقال له: أَدْبِرْ فَأَدبر ، ثُمَّ قال له: أَقْبِل فلم يُقْبِل؛ فقال له: استكبرت؟ فَلَعَنَه ، ثُمَّ جعل للعقل خمسةً وسبعين جُنْداً؛ فلمَّا رأىٰ الجهلُ ما أَكرم الله به العقل وما أَعطاه أَضْمَرَ له العداوَةَ؛ فقال الجهلُ: يا رَبِّ؛ هذا خلقٌ مِثْلِي ، خلقتهُ وكَرَّمتَهُ وقوَّيته ، وأَنا ضِدَّه ، ولا قوَّة لي به ، فأَعطِني من الجُنْدِ مِثْلَ مَا أَعطيتَهُ ، فقال: نعم ، فإِنْ عَصَيتَ بعد ذلك أَخرجتُكَ وجُنْدَكَ من رحمتي ، قال: قد رضِيتُ ، فأَعطاهُ خمسة وسبعين جُنْداً؛ فكان مِمَّا أَعطىٰ العقل من الخمسة والسَّبعين الجُند: الخير ، وهو وزير العقل ، وجعل ضِدَّه الشَّرَّ ، وهو وزير الجهل ، والإِيمان وضدَّه الكفر ، والتَّصديق وضِدَّه الجحود ، والرَّجَاء وضِدَّه القُنُوط ... فلا تجتمعُ هذه الخِصَال كُلَّها من أَجناد العقل إِلَّا في نبيٍّ أَو وصيِّ نبيٍّ ، أَو مؤمنٍ قد امْتَحَنَ الله قلبه للإِيمان ، وأَمَّا سائر ذلك من موالينا؛ فإِنَّ أَحدهم لا يخلو من أَنْ يكون فيه بعض هذه الجنود حتَّى يَستكمِلَ ويَنقى من جنود الجهل ، فعند ذلك يكون في الدَّرجة العُليَا مع الأَنبياء والأَوصياء ، وإِنَّما يُدْرَكُ ذلك بمعرفة العقل وجنوده ، وبمُجانبة الجهل وجُنُوده ...». أُصول الكافي ، ١: ١٧ـ١٨/ ح١٤.

ودلالته واضحة.

القضيَّة الثانية:

خطورة ما تحويه علوم أَهل البيت عليهم السلام ومعارفهم أَلجَأَت علماء الأَديان إِلى طرق أَبدانهم

إِنَّ الهيمنة والصَّدارة والقوَّة العلميَّة غير المتناهية أَبد الآباد ودهر الدُّهُور الَّتي يتمتَّع بها أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) في كُلِّ زمان ومكان ، وبما لديهم من علوم ومعارف لدنِّيَّة ، بِهِبَةٍ واصطفاءٍ من الباري جلَّ قدسه ، وما يستجدُّ من ←

علومهم ومعارفهم ، وتنتشر من بيوتهم أَلجَأَت واضطرَّت جملة علماء الأَدْيَان والمذاهب والمِلَل والنِّحَل ـ مهما كانت طنطنتهم إلى طرق أَبوابهم؛ ليتزوَّدوا منهم (صلوات اللّـه عليهم).

وهذه ظاهرة فريدة وعظيمة دالَّة على مدىٰ عُلُوِّ عصمتهم ، وهول إِمامتهم ، وإِرتفاع مقاماتهم وفضائلهم وكمالاتهم وصدارتهم وريادتهم (صلوات اللّـه عليهم).

القضيَّة الثَّالثة:

القوَّة النَّاعمة هي الطَّريقة الَّتي جرت عليها مدرسة أَهل البيت عليهم السلام في نشر علومهم

يُعبَّر في اِصطلاح اِستراتيجيَّات العصر الحديث عن نشر المعلومة بالحِكمة والعلم والوفاء والخُلق الحسن بـ: (القوَّة النَّاعمة) ، وخاصِّيَّتها: أَنَّها تُخاطب وتُدغدغ عقول البشر وَأَرواحهم ووجدانهم.

وهذه الإِستراتيجيَّة والطَّريقة والخَاصِّيَّة في نشر العلوم والمعارف الإِلٰهيَّة هي الَّتي جرت عليها مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

وهذا ما تُشير إِليه بياناتهم (صلوات اللّـه عليهم) ، منها:

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «... **أَمَا علمتَ أَنَّ أَمارة بني أُميَّة كانت بالسَّيف والعسف والجور ، وَأَنَّ إِمامتنا** (في المصدر: أَمارتنا) **بالرفق والتأليف والوقار والتَّقيَّة وحسن الخلطة والورع والإِجتهاد ، فرغِّبوا النَّاس في دينكم وفي ما أَنتم فيه**». الوسائل ، ١٦: ١٦٤/ ح٩.

وهذا برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ علىٰ منظومة أَبواب الدِّين وقواعده.

القضيَّة الرَّابعة:

خفاء تصرُّف مدرسة أَهل البيت عليهم السلام لنشر العدل الإِلٰهيّ وإِنْتِشَال البشريَّة

إنَّ مدرسة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) أَعدل مدرسة شهدتها النَّشْأَة الأَرضيَّة ، وبرنامجها وهدفها وغايتها: إِفشاء العدل في الأَرض وفي كافَّة المِلَل والنِّحَل.

نعم ، حيث إِنَّ قوىٰ الضَّلال والظُّلْم قابعة علىٰ جسوم البشريَّة ، وشرسة جِدّاً فلابُدَّ من الخفاء في التَّصرُّف والبرنامج والأَهداف والغايات؛ لنشر العدل الإِلٰهيّ ، والإِنتشال المُستضعفين من أَنياب ومخالب هذه القوىٰ.

القضيَّة الخامسة:

أَدوار أَهل البيت عليهم السلام في العوالم الصَّاعدة أَعظم خطراً من أَدوارهم في عَالَمِ الدُّنيا

أَنَّ ما يقوم به سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) من أَدوارٍ ومسؤوليَّاتٍ في عَالَمِ الآخرة الأَبديَّة هي أَعظم شأناً وخطورةً وآثاراً من دون قياس من الأَدوار والمسؤوليَّات الَّتي قاموا ويقومون وسيقومون بها في عَالَمِ الدُّنيا بعوالمه الثلاثة ـ عَالَمِ الدُّنيا الأُولىٰ ، وعَالَمِ البرزخ ، وعَالَمِ آخرة الدُّنيا (الرَّجعة) ـ .

القضيَّة السَّادسة:

لا بُدَّ من التَّمرُّس في علومٍ شتَّىٰ لِمَن أَراد الخوض في علوم المعارف

مَنْ يُريد الخوض في علوم المعارف فعليه التَّمرُّس في علوم شتَّىٰ ، منها: علم التَّوحيد ، وعلم المعاد ، وعلم الخلاف ، وعلم النَّفس والرُّوح.

القضيَّة السَّابعة:

التَّحليل العلمي العقليّ ضرورة للخوض في معارف بيانات الوحيّ

إِنَّه يجب علىٰ من يخوض في بيانات الوحي المعرفيَّة تحرِّي التَّحليل العلميّ العقليّ لمعادلاتها.

هذا هو معنىٰ البحث الكلامي ، ومعنىٰ بحث المعارف العقليّ.

٩ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام: «**لو وجدتُ لعلمي الَّذي آتاني الله عزَّ وجلَّ حملة لنشرتُ التَّوحيد والإسلام والإيمان والدِّين والشَّرائع من (الصَّمد) ...**»[(١)].

١٠ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «**إنِّي لأتكلَّم بالحرف الواحد لي فيه سبعون وجهاً، إنْ شئتُ أخذتُ كذا وإنْ شئتُ أخذتُ كذا**»[(٢)].

١١ـ بيانه عليه السلام أيضاً: «**أنتم أفقه النَّاس ما عرفتم معاني كلامنا، إنَّ كلامنا لينصرف علىٰ سبعين وجهاً**»[(٣)].

ودلالة الجميع واضحة.

وما ذكر من عدد في المقام ليس المراد منه حقيقة العدد، وإنَّما لبيان مُطلق الكثرة، كحال بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿**إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ**

← **القضيَّة الثَّامنة:**

لا يَأْخُذ المخلوق من معارف الوحي إلَّا بقدر مُكْنَته

ما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾ [الرعد: ١٧] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ علىٰ أنَّ المخلوق مهما بلغ علمه لا يغترف من بيانات الوحي إلَّا بقدر وُسْعِه ومُكْنته.

(١) الوسائل، ٣: ٢٢٥/ح١٥.

(٢) المصدر نفسه، ٢: ١٩٨/ح٥١.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٩/ح٥٧.

﴿الْفَاسِقِينَ﴾[1] ، فإنَّ ذكر عدد السَّبعين في المقام جاء كناية عن بيان مُطلق الكثرة ؛ مِنْ دون أَنْ تكون هناك خصوصيَّة للعدد ، ومِنْ ثَمَّ عُلِّل بقوله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فالمانع من شمول المغفرة: (كفرهم بالله ورسوله) وهو لا يختلف ولا يرتفع بالإستغفار و عدمه ، وبالإستغفار قَلَّ أَم كثر.

وبالجملة: ليس في كلمات الوحي زيادة أَو نقيصة ، بل جميعها: معادلات مُشفَّرة ، وقوالب خطيرة ، وأُطُرٌ دقيقة مَأْخُوذة في الحسبان.

وهذا ليس برجز شعريٍّ ، ولا ترنيمة نثريَّة ، ولا خيال ، ولا دعابة ، بل تذكير بحقائق.

فانظر:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[2].

(١) التوبة: ٨٠.

(٢) يس: ٦٩.

المسألة: (١٧/٨)

[تعدَّدت قراءات النصّ الدِّيني]

إِنَّ مدرسة الإِماميَّة قائمة على تعدُّد قراءات النَّصُّ الدِّيني ؛ على وفق الموازين والضَّوابط العلميَّة المبدَّهة.

وهذا ما أشارت إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **وإِنَّ الكلمة من آل مُحَمَّد تنصرف إلى سبعين وجهاً ، وكلُّ ما في الذّكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القديم من آية تذكر فيها العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي ، لأَنَّه جنب الله ووجه الله ، يعني: حَقّ الله ، وعلم الله ، وعين الله ويد الله فهم الجنب العليّ ، والوجه الرضيّ ، والمنهل الرويّ ، والصراط السويّ ، والوسيلة إلى الله ، والوصلة إلى عفوه ورضاه...**»[1].

---

(١) بحار الأنوار ، ٢٥: ١٦٩ ـ ١٧٤ / ح٣٨.

٢ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «**أَنتم أَفقه النَّاس ما عرفتم معاني كلامنا ، إِنَّ كلامنا لينصرف على سبعين وجهاً**»(١).

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن أَبي بصير قال: «**سمعت أَبا عبد الله عليه السلام يقول: إِنِّي لأَتكلَّم بالكلمة الواحدة لها سبعون وجهاً ، إِنْ شِئْتُ أَخذتُ كذا ، وإِنْ شِئْتُ أَخذت كذا**»(٢).

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**إِنِّي لأَتكلَّم بالكلام ينصرف على سبعين وجهاً ، كلُّها لي منه المخرج**»(٣).

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة.

٥ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام ، عن عليّ بن الحسن بن فضَّال ، عن أَبيه ، قال: «**سألت الرِّضا عليه السلام فقلتُ لهُ: لِـمَ كُنِّي النَّبيّ صلى الله عليه وآله بأَبي القاسم؟ فقال: لأَنَّه كان له ابن يُقال له: قاسم فكُنِّي به ، قال: فقلتُ: يابن رسول الله ، فهل تراني أَهلاً للزِّيادة؟ فقال: نعم ، أَمَا علمتَ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أَنَا وعلِيٌّ أَبوا هذه الأُمَّة؟» ، قلتُ: بلىٰ ، قال: أَمَا علمتَ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أَب لجميع أُمَّته ، وعَلِيٌّ بمنزلته فيهم؟ قلتُ: بلىٰ ، قال: أَمَا علمتَ أَنَّ عَلِيّاً قاسم الجنَّة والنَّار؟ قلتُ: بلىٰ ، قال: فقيل له: أَبو القاسم ؛ لأَنَّه أَبو**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ١٩٩/ ح٥٧.

(٢) المصدر نفسه / ٥٨.

(٣) المصدر نفسه / ح٥٩.

قاسم الجنَّة والنَّار ...»[1] [2].

---

(١) بحار الأَنوار، ٦: ٩٥/ ح٢٩. علل الشرائع: ٥٣. معاني الأَخبار: ٢٣٨.

(٢) ينبغي صرف النَّظر في المقام إلى الأُمور التَّالية:

الأَمر الأَوَّل:

طبقات حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام تجلِّي لطبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وبابها الحصري

إِنَّ حقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) وبكافَّة طبقاتها تجلِّي وظهور لحقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وآيته العظمىٰ، وبابه الحصري الأَوحد.

الأَمر الثَّاني:

الإِعتقاد بِنَسَبِ أَهل البيت عليهم السلام الرُّوحي والنُّوري هو الأَهم

إِنَّ النَّسَب البدني الأَرضي لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وإِنْ كان واجب الإِعتقاد والإِعتراف به، لكنَّ الأَعظم هو الإِعتقاد والإِعتراف بنَسَبهم عليهم السلام الرُّوحي والنُّوري.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي، منها:

١ـ بيان الحديث القدسي الوارد في حديث المعراج، عن الإِمام الباقر عليه السلام، قال: «**لَـمَّا عُرج بالنَّبِيّ صلى الله عليه وآله وعلَّمه الله سبحانه الأَذان والإِقامة والصَّلاة، فلَمَّا صلَّىٰ أَمره سبحانه أَنْ يقرأ في الركعة الأُولىٰ بالحمد والتَّوحيد، وقال له: هذا نسبتي، وفي الثَّانية بالحمد وسورة القدر، وقال: يا مُحمَّد، هذه نسبتك ونسبة أَهل بيتكَ إِلى يوم القيامة**». بحار الأَنوار، ٢٥: ٩٨/ ح٧٣. كنز الفوائد: ٤٧٥.

٢ـ بيان الحديث القدسي الوارد في حديث المعراج أَيضاً، عن الإِمام الصَّادق عليه السلام، قال: «**إِنَّ الله عزَّ وجلَّ لَـمَّا عرج بنبيِّه صلى الله عليه وآله إِلى سماواته السبع ... أَوحىٰ الله إِليه اقرء يا مُحمَّد؛ نسبة ربّكَ تبارك وتعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ** ←

يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ـ٤] ... ثُمَّ أَوحىٰ الله ﷻ إليه اقرء: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: ١] فإِنَّها نِسبتكَ ونِسبَة أَهل بيتكَ إِلى يوم القيامة ...». الكافي، ٣/ باب: الصَّلاة في طلب الرزق/ النوادر: ٤٨٢/ ح٥٧١٢ ـ١.

٣ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «... **إِنَّه لا يستكمل أَحد الإِيمان حتَّىٰ يعرفني كُنْه معرفتي بالنَّورانيَّة؛ فإِذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإِيمان وشرح صدره للإِسلام وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصَّرَ عن معرفة ذلك فهو شاكٌّ ومرتاب ... معرفتي بالنورانيَّة معرفة الله ﷻ، ومعرفة الله ﷻ معرفتي بالنورانيَّة، وهو الدِّين الخالص ... أَنا عبدالله ﷻ وخليفته علىٰ عباده، لا تجعلونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم؛ فإِنَّكم لا تبلغون كُنْه ما فينا ولا نهايته؛ فإِنَّ الله ﷻ قد أَعطانا أَكبر وأَعظم مِمَّا يصفه واصفكم أَو يخطر علىٰ قلب أَحدكم فإِذا عرفتمونا هكذا فأَنتم المؤمنون ... كنتُ أَنَا ومُحَمَّد نوراً واحداً من نور الله ﷻ، فأَمر الله تبارك وتعالىٰ ذلك النُّور أَنْ يشقّ؛ فقال للنصف: كُنْ مُحَمَّداً، وقال للنصف: كُنْ عَلِيّاً، فمنها قال رسول الله ﷺ: «عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنا من عَلِيّ، ولا يُؤدِّي عنِّي إِلَّا عَلِيّ ... فهذا معرفتي بالنورانيَّة فتمسَّك بها راشداً؛ فإِنَّه لا يبلغ أَحد من شيعتنا حَدَّ الاستبصار حتَّى يعرفني بالنورانيَّة؛ فإِذا عرفني بها كان مستبصراً بالغاً كاملاً، قد خاض بحراً من العلم، وارتقىٰ درجة من الفضل، واطَّلَع علىٰ سرٍّ من سرِّ الله، ومكنون خزائنه**». بحار الأَنوار، ٢٦: ١ـ٧/ ح١.

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة؛ فإِنَّها براهين وحيانيَّة دالَّة علىٰ أَنَّ الأَصل في نَسَب سيِّد الأَنبياء ﷺ وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ليس نَسَب أَبدانهم الشَّريفة، بل نَسَب أَرواحهم وأَنوارهم المُقدَّسة.

ومفاد هذه القضيَّة مُطابق للُّغة العقليَّة القائلة: «**أَنَّ حقيقة الشيء تكمن في غايته، وليست في مادَّته**»؛ فموادُّ الأَشياء وصورها وأَجناسها وفصولها بدايات للمعرفة لا

← توصل إلى كُنْه الأَشياء. وهذه الضابطة وهذا المنهج في المعرفة مُتسالم عليها وعليه عند مُختلف المدارس العقليَّة.

وعليه: تكون معرفة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) من خلال ولاداتهم وَأَبدانهم الشَّريفة معرفة ظاهريَّة ، والمعرفة الحقيقيَّة تكون من خلال التَّعَرُّف على حقائقهم في العوالم الرُّوحيَّة والنُّوريَّة والغيبيَّة الصَّاعدة.

وهذا ما يُوضِّح الجمّ الغفير من بيانات الوحي ، منها:

بيان أَمير المؤمنين الوارد في حَقِّ والده (صلوات الله عليهما): «... **إِنَّ نور أَبي طالب يوم القيامة ليطفئ أَنوار الخلق إِلَّا خمسة أَنوار ... لأَنَّ نوره من نورنا الَّذي خلقه الله تعالىٰ من قبل أَنْ يخلق آدم بألفي عام**». أَمالي الشَّيخ الطوسي: ٧٠٢/ ح١٤٩٩ ـ ٢.

ومعناه: أَنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام في عَالَمِ النُّور أَبٌ وأَصْلٌ لِوَالِدِهِ عليهما السلام.

وعلىٰ هذا قس حال سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله مع والده عبدالله وأَجداده الكرام عليهم السلام.

ومعناه: أَنَّ الأَصل في الأُبوَّة والبنوَّة ليس التَّوليد والتَّوالد البدني الأَرضي ، بل الِاشتقاق ومراتب الهيمنة والمُهَيْمَن عليه ، فعَالَمَ النُّور هو الأَصل أبوَّة وولادة. وهذه نُكْتَةٌ لطيفةٌ ومُهمَّةٌ جِدّاً.

وإِلى كُلِّ هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان سيِّد الأَنبياء الوارد في حقِّ أَمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما) ، عن ابن عبَّاس ، قال: «كُنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأَقبل عَلِيُّ بن أَبي طالب عليه السلام ، فقال له النَّبيّ صلى الله عليه وآله: **مرحباً بِمَنْ خلقه الله قبل أَبيه بأَربعين أَلف سنة** ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢٤/ ح٤٢.

ثانياً: بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «... **أَنا وَعَلِيٌّ أَبوا هذه الأُمَّة ، ولحقّنا عليهم أَعظم من حقِّ أَبوي ولادتهم** ...». بحار الأَنوار ، ٢٣: ٢٥٩/ ح٨. ←

ثالثاً: بيان الإمام الحسن بن عَلِيّ (صلوات الله عليهما): «**مَنْ آثَر طاعة أَبوي دينه مُحَمَّد وَعَلِيّ على طاعة أَبوي نَسَبه قال الله ﷻ له: لأُؤْثِرنَّكَ كما آثرتني ، ولأُشرِّفنَّكَ بحضرة أَبوي دينكَ كما شرَّفتَ نفسكَ بإِيثَار حبّهما علىٰ حُبِّ أَبوي نَسَبَكَ**». بحار الأَنوار ، ٢٣: ٢٦١.

رابعاً: بيان الإمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه): «**مَنْ راعىٰ حَقّ أَبويه الأَفضلين: مُحَمَّد وَعَلِيّ لم يضرَّه ما أَضاع من حقِّ أَبوي نفسه وسائر عباد الله؛ فإِنَّهما يرضيانهم بسعيهما**». بحار الأَنوار ، ٢٣: ٢٦٠.

خامساً: بيان الإمام الكاظم (صلوات اللّـه عليه): «**يعظم ثواب الصَّلاة علىٰ قدر تعظيم المُصَلِّي علىٰ أَبويه الأَفضلين: مُحَمَّد وعَلِيّ**». بحار الأَنوار ، ٢٣: ٢٦٠.

سادساً: بيان الإمام الهادي (صلوات اللّـه عليه): «**مَنْ لم يكن والدا دينه: مُحَمَّد وَعَلِيّ أَكرم عليه من والدي نَسَبه (في المصدر: من والدي نفسه) فليس من الله في حلٍّ ولا حرامٍ ، ولا قليل ولا كثير**». بحار الأَنوار ، ٢٣: ٢٦١.

ودلالة الجميع واضحة علىٰ ما تقدَّم.

الأَصل في التَّآخي عَالَمَ الأَرواح والنَّشْأَة الأَرضيَّة

وعلىٰ هذا قس التآخي.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «**الأَرواح جنود مُجَنَّدة ، ما تعارف منها اِئْتَلَفَ ، وما تناكر منها اِختلف**». بحار الأَنوار ، ٥٨: ٦٣/ ح٥٠.

٢ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «**الأَرواح جنود مُجَنَّدة تلتقي فتتشام كما تتشام الخيل ، فما تعارف منها اِئْتَلَفَ ، وما تناكر منها اِختلف ، ولو أَنَّ مؤمناً جاء إِلى مسجدٍ فيه أُناس كثير ليس فيهم إِلَّا مؤمن واحد لَـمَالَتْ روحه إِلى ذلك المؤمن حتَّى يجلس إِليه**». بحار الأَنوار ، ٧١: ٢٧٣ـ ٢٧٤/ ح١٦.

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**إِنَّ الله تعالىٰ آخىٰ بين الأَرواح في الأَظلَّة قبل أَنْ يخلق الأَبدان بألفي عام ، فلو قد قام قائمنا أَهل البيت لورث الأَخ الَّذي آخىٰ بينهما في الأَظلَّة ولم يرث الأَخ من الولادة**». بحار الأَنوار ، ٥٨: ٧٩. من لا يحضره الفقيه ، ٤/ كتاب الإِرث ، باب: النوادر: ٣٥٢/ ح٥٧٦١.

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ قد اِتَّضحت. **ومعناه**: أَنَّ الأَحوال الشَّخصيَّة والتَّوارث بعد إِقامة دولة العدل الإِلٰهيّ البهيَّة تكون حساباتها علىٰ وفق عالم النُّور.

وبالجملة: أَنَّ الأَصل في الإِنسان نشأته النُّوريَّة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

أَوَّلاً: بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**فليصدق رائد أَهله ، وليحضر عقله ، وليكن من أَبناء الآخرة ، فإِنَّه منها قدم وإِليها ينقلب** ...». بحار الأَنوار ، ١: ٢٠٩/ ح١١.

ثانياً: بيانه عليه السلام أَيضاً في الخبر المشهور: «**رحم الله امرءاً عرف من أَين وفي أَين وإِلى أَين**».

ودلالتهما واضحة.

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ النَّسَب تارة يكون ماديّاً (البدني والأَرضي) ، وأُخرىٰ معنويّاً (طينة الرُّوح) ، وليس من الضَّروري تطابقهما ، بل الغالب الإِختلاف ، وبيانات الوحي تؤكِّد علىٰ الثَّاني أَكثر من تأكيدها علىٰ الأَوَّل؛ وتؤكِّد: أَنَّ الأَحكام التَّكوينيَّة في العوالم اللَّاحقة؛ بل وفي عَالَم الدُّنيا لا تترتَّب حصراً علىٰ خصوص النَّسَب المادِّي.

وإِلى النحو الثَّاني تُشير كثير من بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها:

١ـ بيان قوله عزَّ من قائل: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾ [آل عمران: ٦١].

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧].

٣ـ بيان الحديث القدسي الوارد في تبليغ سورة براءة: «**لا يؤدِّي عنكَ إِلَّا أَنْتَ أَو رجل منكَ** ...». بحار الأَنوار، ٢١: ٢٧٥/ ح١٠. إرشاد المفيد: ٣٣ـ ٣٤.

٤ـ بيان سيِّد الأَنبياء الوارد في حَقِّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليهما وعلىٰ آلهما): «... **أَنا وَعَلِيّ من شجرة واحدة وسائر النَّاس من شجر شتَّىٰ** ...». بحار الأَنوار/ دعاء الندبة، ٩٩: ١٠٦.

٥ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «**عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنا منه**». بحار الأَنوار، ٣٤: ٧٤.

٦ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «... **فاطمة بضعة مِنِّي وَأَنا منها** ...». بحار الأَنوار، ٤٣: ٢٠٢.

٧ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «**حسن مِنِّي وَأَنا منه** ...». بحار الأَنوار، ٤٣: ٣٠٦/ ح٦٦.

٨ ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً: «**حسين مِنِّي وَأَنا منه** ...». بحار الأَنوار، ٣٧: ٧٤.

وتعقُّل هذه النِّسَب وتعقُّل منظومتها لا يتمّ إِلَّا بملاحظة عوالم الأَرواح وعوالم النُّور، وعليها مدار الإِصطفاء والمقامات الإِلٰهيَّة.

وهذه المنظومة في النَّسَب مُهمَّة وخطيرة جِدّاً، وآثارها وأَحكامها تختلف عن آثار وَأَحكام النَّسَب البدني.

تعدُّد طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام

طبقة حقيقة المعصوم النَّازلة مخلوقة من طبقة حقيقة معصوم صاعدة

وتقريب هذا النَّحو من النِّسَب مُتوقِّف علىٰ الإِعتقاد بتعدِّد طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام النُّوريَّة والرُّوحيَّة، وحينئذٍ يصحّ أَنْ يُقال: أَنَّ الطَّبقة النَّازلة من نور أَحدهم عليهم السلام ـ فضلاً عن الطَّبقات الرُّوحيَّة النَّازلة والنَّفسيَّة والبدنيَّة ـ مُشتَقَّة من

← الطَّبقة الصَّاعدة من نور معصومٍ آخر فبيان قوله ﷺ ـ المُتقدَّم ـ: «**عَلِيٌّ مِنِّي**»؛ أَي: أَنَّ طبقات حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة مُشتقَّة من طبقات حقيقته ﷺ الصَّاعدة أَيضاً، وقوله ﷺ: «**وأَنا منه**»؛ أَي: أَنَّ طبقات حقيقته ﷺ النَّازلة مُشتقَّة من طبقات حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة.

وعلىٰ هذا قس سائر بيانات الوحي المُتقدِّمة وغيرها، منها:

طبقات حقائق الزَّهراء عليها السلام الصَّاعدة أَصل ومنشأ لطبقات حقائق سيِّد الأَنبياء ﷺ النَّازلة

أَوّلاً: بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ الوارد في حَقِّ السيدة الزَّهراء (صلوات الله عليها): «**فاطمة أُمّ أَبيها**» [الإِرشاد، ١: ٨٩. إِعلام الورى، ١: ٣٧٨. المغازي، ١: ٢٤٩]. أَي: أَصل أَبيها.

طبقات حقيقة العرش الصَّاعدة مخلوقة من طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام النَّازلة مخلوقة من طبقات حقيقة العرش الصَّاعدة

ثانياً: بيانات الوحي الواردة في حقِّ (العرش)؛ فبعضها تُثبت تأَخّر خلقته عن خلقة حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم)، بل بعضها مثبتة أَنَّه مخلوق من طبقات حقائقهم عليهم السلام الصَّاعدة.

فانظر:

١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام: «... **كان الله ولا شيء غيره ... فأَوَّل ما اِبتدأ من خلق خلقه أَنْ خلق مُحَمَّداً ﷺ وخلقنا أَهل البيت معه من نوره وعظمته ... ثُمَّ بدا الله تعالىٰ ﷻ أَنْ يخلق المكان فخلقه، وكتب علىٰ المكان لا إِلٰهَ إِلَّا الله، مُحَمَّد رسول الله عَلِيّ أَمير المؤمنين ووصيَّه ... ثُمَّ خلق العرش فكتب علىٰ سرادقات العرش مثل ذلك ...**». بحار الأَنوار، ٢٥: ١٧ـ ٢٠/ ح٣١. ←

ودلالته واضحة علىٰ تأخُّر خلقه العرش عن خلقة حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة.

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «... **فلمَّا أَراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش ، فنور العرش من نوري** ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٦/ح٣٠.

ودلالته واضحة علىٰ أَنَّ العرش خُلق من نور سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله.

وبعضها الآخر يُثْبِت تأخُّر خلقة أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) عن خلقته ، بل بعضها الآخر يُثْبِت أَنَّهم عليهم السلام خُلِقُوا من طينته.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**لَـمَّا خلق الله السَّماوات والأَرضين استوىٰ علىٰ العرش فأَمر نورين من نوره فطافا حول العرش... فخلق الله من ذلك النُّور مُحَمَّداً وعَلِيّاً والأَصفياء من ولده** عليهم السلام ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢١/ح٣٣.

ودلالته واضحة علىٰ تأَخُّر خلقة حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) عن خلقة العرش.

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**إِنَّ الله خلق مُحَمَّداً وعترته من طينة العرش** ...». بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٢/ح٢١. بصائر الدرجات: ٦.

ودلالته واضحة أَيضاً علىٰ أَنَّ أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) خلقوا من طينة العرش.

وتقريب دلالات هذه البيانات الوحيانية والجمع بينها قد مرَّ؛ وأَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة مُتقدِّمة خلقة ورتبة علىٰ طبقات حقائق العرش الصَّاعدة ، بل خُلقت تلك الطَّبقات من طبقات حقائقهم عليهم السلام الصَّاعدة ، وطبقات حقائقهم عليهم السلام النَّازلة مُتأَخِّرة خلقةً ورتبةً عن حقائق العرش الصَّاعدة؛ بل خُلقت تلك الطَّبقات النَّازلة من طبقات حقيقة العرش الصَّاعدة. فتدبَّر جِيِّداً.

تقدُّم طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة علىٰ طبقات حقيقة القرآن الصَّاعدة

تقدُّم طبقات حقيقة القرآن الصَّاعدة علىٰ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام النَّازلة

ثالثاً: بيانات الوحي الواردة في حَقِّ الثقلين (العترة الطَّاهرة والقرآن الكريم) ، فبعضها تُثْبِت تقدُّم أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) علىٰ القرآن الكريم.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان الإِمام الحسن العسكري عليه السلام: «**قد صعدنا ذرىٰ الحقائق بأَقدام النُّبوَّة والولاية ، ونوَّرنا سبع طبقات أَعلام الفتوىٰ بالهداية ، فنحن ... غيوث الندىٰ ... وروح القدس في جنان الصَّاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة ...**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ٢٦٤ ـ ٢٦٥/ح٥٠.

وَمَنْ أَراد الإِطِّلاع علىٰ تقريب الدلالة فليُراجع: (التَّوسُّل والوسيلة الإِلٰهيَّة فرض وضرورة إِلٰهيَّة ، الطَّائفة الخامسة عشرة: ٢١١ـ ٢١٤).

وبعضها الآخر يُثبت تقدُّم القرآن الكريم علىٰ العترة الطَّاهرة.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله: «**... إِنِّي تارك فيكم الثقلين: الثقل الأَكبر ... كتاب الله ... والثقل الأَصغر عترتي وَأَهل بيتي**». بحار الأَنوار ، ٢٣: ١٤٠/ح٨٩. بصائر الدرجات: ١٢٢ـ ١٢٣.

وتقريب دلالات هذه البيانات الوحيانية والجمع بينها قد اِتَّضح؛ وَأَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة مُتقدِّمة خلقة ورتبة علىٰ طبقات حقائق القرآن الكريم الصَّاعدة ، وطبقات حقائقهم عليهم السلام النَّازلة مُتأَخِّرَة رتبة عن حقائق القرآن الكريم الصَّاعدة.

وإِلى كُلِّ هذا تُشير بيانات حديث الثقلين الأُخرىٰ ، منها:

بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «... **وإِنِّي تارك فيكم الثقلين ، أَحدهما أَعظم من الآخر ، كتاب الله ... وعترتي أَهل بيتي ...**». بحار الأَنوار ، ٢٣: ١٣٤/ح٧٢. إِكمال الدين: ١٣٨.

وهذه المنظومة يجب الِالتفات إِليها وإِتْقَانها؛ وإِلَّا لم ولن تُعْرَف حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) وكثير من المباحث الإِلٰهيَّة ، وإِختلطت كثير من مباحثها.

وهذا باب ينفتح منه أَلف باب في أَبحاث المعارف الإِلٰهيَّة.

فائدة التَّعَرُّف الأَكثر علىٰ عبائر وعناوين الوحي وأنس الذِّهن بها

ثُمَّ إِنَّه كُلَّمَا تعرَّف وأَنس ذهن الإِنسان بيانات الوحي وعبائرها وعناوينها وأَلفاظها كُلَّمَا سهلت عليه معانيها وحقائقها ، وانفتحت لديه آفاق منظوماتها ، وقرب لديه تصوُّر وفهم جملة من الأُمور الواردة فيها.

مثالها: بيان حبرئيل عليه السلام الوارد في جملة مواطن ، والمُشير لسيِّد الأَنبياء وَأَمير المؤمنين (صلوات الله عليها وعلىٰ آلهما): «**وَأَنَا منكما**» [بحار الأَنوار ، ٣٩: ٨٢. مرآة العقول ، ٢٥: ٢٦٧/ح٩٠]؛ فإِنَّه لم يكمله بعبارة (وأَنتم مِنِّي) ، بخلاف ما ورد في كثير من بيانات سيِّد الأَنبياء ﷺ ، منها: ما تقدَّم: «**عَلِيّ منِّي ، وَأَنا منه**».

والنُّكْتَة: قد تقدَّمت؛ من أَنَّ طبقات حقائق أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة أُشتقَّت وخُلقت من طبقات حقائق سيِّد الأَنبياء ﷺ الصَّاعدة ، وهذا ما يُشير إِليه بيانه ﷺ المُتقدِّم بقوله: «**عَلِيّ منِّي**» ، وطبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ النَّازلة أُشتقَّت وخُلقت من طبقات حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة ، وهذا ما يُشير إِليه بيانه ﷺ المُتقدِّم أَيضاً بقوله: «**وَأَنا منه**». وهذه القضيَّة لم تتحقَّق في حقِّ جبرئيل عليه السلام ، فإِنَّه وإِنْ خُلق وسائر الملائكة ـ كما سيأتي (إِنْ شآء الله تعالىٰ) من أَنوار وحقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، لكنَّهم لم يُخلقوا (صلوات اللّـه عليهم) من طبقات حقائق جبرئيل وسائر الملائكة عليهم السلام ، فالتفت ، وتدبَّر جيِّداً.

نَسَب عَالَمَ الأَرواح علىٰ طبقات ومجاميع وعوالم

ثُمَّ إِنَّ لنَسَب عَالَمَ الأَرواح طبقات ومجموعات وعوالم ، منها: عَالَمَ الأَظِلَّة ، وَعَالَمَ الأَشباح ، وَعَالَمَ الذَّرّ ، وَعَالَمَ الميثاق.

خلق جملة أَرواح الأَنبياء والرُّسل عليهم السلام من نور سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله

ومن ثَمَّ ورد عند الفريقين: أَنَّ أَرواح جملة الأَنبياء والرُّسل عليهم السلام العالية أُشتقَّت وخُلقت من ترشُّح نازل من أَحد طبقات حقيقة نور سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، عن جابر بن عبدالله ، قال: «قلتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله: أَوَّل شيء خلق الله تعالىٰ ما هو؟ فقال: **نور نبيِّكَ يا جابر ، خلقه الله ثُمَّ خلق منه كُلّ خيرٍ ، ثُمَّ أَقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ، ثُمَّ جعله أَقساماً ... ثُمَّ نظر إِليه بعين الهيبة فرشح من ذلك النُّور وقطرت منه مائة أَلف وأَربعة وعشرون أَلف قطرة ، فخلق الله من كُلِّ قطرةٍ روح نبيّ ورسول ، ثُمَّ تَنفَّست أَرواح الأَنبياء فخلق الله من أَنفاسها أَرواح الأَولياء والشُّهداء والصَّالحين**». بحار الأَنوار ، ٢٥: ٢١ـ٢٢/ ح٣٧.

٢ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه): «**كان الله ولا شيء معه ، فأَوَّل ما خلق نور حبيبه مُحمَّد صلى الله عليه وآله ... فخلق الله منه اثنىٰ عشر حجاباً ... ثُمَّ إِنَّ الله تعالىٰ خلق من نور مُحمَّد صلى الله عليه وآله عشرين بحراً من نور ... فلمَّا خرج من آخر الأَبحر قال الله تعالىٰ: يا حبيبي ويا سيِّد رسلي ، ويا أَوَّل مخلوقاتي ، ويا آخر رسلي أَنْتَ الشَّفيع يوم المحشر ، فخرَّ النُّور ساجداً ، ثُمَّ قام فَقَطَرَت منه قَطَرَات كان عددها مائة أَلف وأَربعة وعشرين أَلف قَطْرَة ، فخلق الله تعالىٰ من كُلِّ قَطْرَةٍ من نوره نبيّاً من الأَنبياء ، فلمَّا**

→ **تكاملت الأَنوار صارت تطوف حول نور مُحَمَّد ﷺ كما تطوف الحجَّاج حول بيت الله الحرام ، وهم يُسبِّحون الله ويحمدونه ...** » ، بحار الأَنوار ، ١٥ : ٢٧ـ ٢٩.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

خلق جملة الملائكة من نور أَمير المؤمنين عليه السلام في العوالم الصَّاعدة

وكذا ورد في بيانات الوحي أَيضاً: أَنَّ نور جملة الملائكة خُلق من طبقة نازلة من نور أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه).

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «**إِنَّ الله خلقني وخلق عَلِيّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أَنْ يخلق آدم عليه السلام حين لا سمآء مبنيَّة ، ولا أَرض مدحيَّة ، ولا ظلمة ولا نور ، ولا شمس ولا قمر ، ولا جنَّة ولا نار ... فلَمَّا أَراد الله تعالىٰ أَنْ يُنشئ الخلق ... فتق نور أَخي عَلِيّ فخلق منه الملائكة ، فالملائكة من نور عَلِيّ ، ونور عَلِيّ من نور الله ، وَعَلِيٌّ أَفضل من الملائكة ...**». بحار الأَنوار ، ١٥ : ١٠/ ح١١. كنز جامع الفوائد: (مخطوط).

ودلالته واضحة.

ثُمَّ إِنَّ صعوبة شؤون طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) أَحد تفاسير بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَبي الصَّامت قال: «سمعتُ أَبا عبدالله عليه السلام يقول: **إِنَّ من حديثنا ما لا يحتمله مَلَك مُقرَّب ، ولا نبيّ مرسل ، ولا عبد مؤمن. قلتُ: فَمَنْ يحتمله؟ قال: نحن نحتمله**». بحار الأَنوار ، ٢ : ١٩٣/ ح٣٦.

وهذه قواعد وضوابط معرفيَّة مُهمَّة وخطيرة جِدّاً ، لم يخض فيها ـ بهذا التفصيل ـ الفلاسفة والمُتكلِّمون ، نعم خاض في الجملة وفي بعض تفاصيلها أَهل المعرفة تبعاً لبيانات الوحي. ←

← **الأَمر الثَّالث:**

أَمير المؤمنين عليه السلام أَكثر مخلوق تُفنىٰ ذاته في محضر سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله

كانت راحة سيِّد الأَنبياء عند أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) أَعظم من صلاته ، ولأَجل هذه المعرفة الخطيرة والعظيمة كَافأَه الله بردِّ الشَّمس إِليه.

وهذه المعجزة وما حصل من تغيير في الكون كان تعظيماً من الله تبارك وتعالىٰ لسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله قبل أَنْ يكون تعظيماً لأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه).

فانظر:

بيان أَمير المؤمنين ، عن أَبي عبدالله عليهما السلام ، عن عمَّار بن موسىٰ ، قال: «دخلتُ أَنا وأَبو عبدالله عليه السلام مسجد الفضيح ، فقال: **يا عمَّار ، ترىٰ هذه الوهدة؟** قلتُ: نعم ، قال: **كانت امرأة جعفر الَّتي خلف عليها أَمير المؤمنين قاعدة في هذا الموضع ... قالت: كُنتُ وَأَمير المؤمنين في هذا المسجد فقال لي: ترىٰ** [في المصدر: ترين] **هذه الوهدة؟ قلتُ: نعم ، قال: كُنتُ أَنا ورسول الله صلى الله عليه وآله قاعدين فيها إِذ وضع رأسه في حجري ثُمَّ خفق حتَّى غطّ وحضرت صلاة العصر ، فكرهتُ أَنْ أُحرِّكَ رأسه عن فخذي فأكون قد آذيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى ذهب الوقت وفاتت الصَّلاة؛ فانتبه رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ، فقال: يا عَلِيّ ، صلَّيت؟ فقلتُ: لا ، فقال: وَلِمَ ذاك؟ قلتُ: كرهتُ أَن أُذيكَ ، قال: فقام واستقبل القبلة ومدَّ يديه كلتيهما وقال: اللَّهُمَّ ردّ الشَّمس إِلى وقتها حتَّى يُصَلِّي عَلِيٌّ ، فرجعت الشَّمس إِلى وقت الصَّلاة حتَّى صلَّيتُ العصر ثُمَّ اِنْقَضَّت اِنْقِضاض الكوكب**». بحار الأَنوار ، ٤١: ١٨٢ـ ١٨٣/ح١٩. فروع الكافي ، ٤: ٥٦١ـ ٥٦٢.

ودلالته واضحة. ←

ولك أَنْ تقول: إِنَّ أَعظم صفة اِتَّصف بها أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) وَأَعظم خَاصِّيَّة اِحتوتها ذاته المُقدَّسة: أَنَّه سلم لسيِّد الأَنبياء ﷺ، وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ، منها:

١ـ بيان أَمير المؤمنين، عن أَبي عبدالله عليهما السلام، قال: «**جاء حِبْرٌ من الأَحبار إِلى أَمير المؤمنين** عليه السلام، **فقال:** ... **يا أَمير المؤمنين! أَفنَبِيٌّ أَنتَ؟ فقال: وَيْلَكَ، إِنَّمَا أَنا عَبْدٌ من عبيد مُحَمَّد** ﷺ». أُصول الكافي، ١: ٦٤/ ح٥.

٢ـ بيان أَبي جعفر عليه السلام، قال: «**إِنَّ عَلِيّاً آية لـمُحمَّدٍ** ﷺ، **وإِنَّ مُـحمَّداً يدعو إِلى ولاية عَلِيّ** عليه السلام». بصائر الدرجات، ١: ١٥٧/ ح٢٩٠ ـ ٥.

ودلالتهما واضحة.

ومِنْ ثَمَّ أَكثر مخلوق تغيب ذاته وتُفنىٰ ـ فناء حكاية ـ في محضر سيِّد الأَنبياء ﷺ ويحصل له انقياد محض هو أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه).

وهذه الحالة قد تكرَّرت في شخص أَبي الفضل العبَّاس عليه السلام مع سيِّد الشُّهداء (صلوات اللّـه عليه).

الأَمر الرابع:

اِنقياد أَمير المؤمنين عليه السلام **بكُلِّ سلاسة لسيِّد الأَنبياء** ﷺ

وردت في بيان زيارة أَمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير، عن الإِمام الهادي عليه السلام أَسرار وجواهر معرفيَّة، منها: أَنَّ جملة ما تؤهله مجاهدات أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ومكابداته أَنْ يشفع له سيِّد الأَنبياء ﷺ شفاعة خاصَّة دون سائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) فضلاً عن سائر الأَنبياء والرُّسُل والملائكة المُقرَّبين عليهم السلام. وقد اِستجاب الله تقدَّس ذكره لسيِّد الأَنبياء ﷺ فيه (صلوات اللّـه عليه)، وببركة تلك الشفاعة وصل أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) إِلى مقامات إِلٰهيَّةٍ مهولة وعظيمة في الخطورة.

→ **فلاحظ:**

بيان الزيارة المباركة: «... **وَأَنَّ اللهَ تعالىٰ اِستجاب لنبيِّه** ﷺ **فيكَ دعوتَهُ ، ثُمَّ أَمَرَهُ بإظهار ما أَوْلاكَ لأُمَّتِهِ إعلاءً لِشأنِكَ ، وإعلاناً لِبُرهانِكَ ، وَدَحْضاً للأَباطِيل ، وقطعاً للمعاذير** ...». بحار الأَنوار ، ٩٧: ٣٦٣.

وبالجملة: أَنَّه مع ما لأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) من خوارق العادات في كافَّة الصِّفات فلا يُضَاهِيهه في قدراته ـ بعد سيِّد الأَنبياء ﷺ ـ مخلوق قَطُّ ، لكنَّكَ تجده ينقاد لسيِّد الأَنبياء ﷺ بكُلِّ تواضعٍ وهيبةٍ وتذلّلٍ مطلق ، ومن أَعماق ذاته ، وبكُلِّ سلاسةٍ لم تتحقَّق في مخلوق قَطُّ له ﷺ ، ويتعامل معه كموجود عظيم ومهول وخطير جِدّاً.

وعلىٰ هذا قس حال سائر أَهل البيت عليهم السلام في تعاملهم اِتِّجاه سيِّد الأَنبياء ﷺ؛ فإِنَّك لا تجد أَحداً في مُطلق المِلَل والنِّحَل وسائر المخلوقات يُعَظِّم ويُقَدِّس أَنبياءه كتعظيم وتقديس أَهل البيت عليهم السلام لسيِّد الأَنبياء ﷺ.

فانظر:

أَوَّلاً: ما ورد عن الإِمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه) ، عن أَبي هارون مولىٰ آل جعدة ، قال: «كُنتُ جليساً لأَبي عبدالله عليه السلام بالمدينة أَيَّاماً ، ثُمَّ إِنِّي جئتُ إِليه فقال لي: **لم أَركَ منذ أَيَّام يا أَبا هارون** ، فقلتُ: وُلِدَ لي غلام. فقال: **بارك الله لكَ فيه ، فما سمَّيته؟** قلتُ: سمَّيته مُحَمَّداً ، فأَقبل بخدِّه نحو الأَرض ، وهو يقول: **مُحَمَّد مُحَمَّد مُحَمَّد؛** حتَّى كاد يلصق خدَّه بالأَرض ، ثُمَّ قال: **بنفسي وبولدي وبأُمِّي وبأبويّ وبأَهل الأَرض كُلَّهم جميعاً الفداء لرسول الله** ﷺ **، لا تسبَّه ولا تضربه ولا تسيئ إِليه ، وأَعلم أَنَّه ليس في الأَرض دار فيها اسم مُحَمَّد إِلَّا وهي تُقدَّس كُلّ يوم**». بحار الأَنوار ، ١٧: ٣٠/ ح٩. فروع الكافي ، ٢: ٩٢. ←

→ **ثانياً**: ما ورد عنه (صلوات اللّـه عليه) أَيضاً ، عن مصعب بن عبدالله قال: قال مالك: «**ولقد كُنتُ أَرىٰ جعفر بن مُحَمَّد** عليه السلام **وكان كثير الدعابة والتَّبَسُّم ، فإذا ذُكر عنده النَّبيّ** صلى الله عليه وآله **اِصْفَرَّ ، وما رأيتُ يُحدِّث عن رسول الله** صلى الله عليه وآله **إلَّا علىٰ طهارة** ...». بحار الأَنوار ، ١٧: ٣٣/ ح١٤. شرح الشفاء ، ١: ٦٧ـ ٧٢.

وهذا برهانٌ دالٌّ علىٰ وصايتهم وإِمامتهم (صلوات اللّـه عليهم). وبرهانٌ أَيضاً دالٌّ علىٰ نُبوَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وعُلُوّ سؤدده وشأنه ومقاماته الإِلٰهيَّة. وبرهانٌ أَيضاً دالٌّ أَيضاً علىٰ مدىٰ معرفة أَمير المؤمنين وسائر أَهل البيت عليهم السلام بسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وقربهم منه.

وهذه البراهين شبيهة بالبراهين الوحيانيَّة الدَّالَّة علىٰ سؤدد سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وعُلُوّ مقاماته وتقدِّمه علىٰ جملة المخلوقات؛ لكونه أَطوع مخلوق علىٰ الإِطلاق للّـه عزّ وجلّ؛ فإِنَّه مَنْ كانت له المُكْنَة من مراجعة جميع الكُتُب السَّماويَّة ـ كـ: القرآن الكريم ، والتَّوراة والإِنجيل والزَّبور ـ ، وكافَّة كُتُب التاريخ البشري ، والسِّيَر فلا يجد مخلوقاً قطُّ اِنقاد لباريه واستسلم واستصغر من نفسه له كسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وهذا برهانٌ عقليٌّ دالٌّ علىٰ قاعدة معرفيَّة ، وهي: أَنَّه (كُلَّمَا ازداد العبد عبوديَّة للّـه (تقدَّس ذكره) كُلَّمَا ازداد قُرْباً وكمالاً منه جلَّ قدسه).

وعلىٰ هذا قس حال المخلوق والعبد الثاني في جملة العوالم وجميع المخلوقات؛ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه)؛ فإِنَّه لا يوجد مخلوق قَطُّ وفي طُرِّ العوالم اِنقاد لباب الله الأَعظم؛ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله واستسلم واستصغر من نفسه وازداد أَدباً ووقاراً له صلى الله عليه وآله كأَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) ، وكلَّمَا ازداد في ذلك كُلَّمَا ازداد قُرباً وطاعة للّـه (جلَّ شأنه).

فانظر: بيانات الوحي ، منها: ←

١ـ بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) المتقدِّم: «... **إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ من عبيد مُحَمَّدٍ**ﷺ». أُصول الكافي ، ١: ٦٤/ح٥.

٢ـ بيانه صلوات الله عليه أَيضاً: «... **وسافرت مع رسول الله** ﷺ **ليس له خادم غيري** ...». الاحتجاج ، ١: ٢٣٣.

٣ـ بيانه (صلوات اللّـه عليه) ، الوارد في حَقِّ سيِّد الأَنبياء ﷺ أَيضاً: «... **افتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلتُ**». نهج البلاغة ، شرح ابن أَبي الحديد ، ٢٠: ٢٩٩.

ودلالة الجميع قد اِتَّضحت؛ لأَنَّ توقير سيِّد الأَنبياء ﷺ وتعظيمه توقير للّـه (تبارك وتعالىٰ) وتعظيم له ، والعكس بالعكس؛ فإِنَّ مَنْ يتطاول علىٰ سيِّد الأَنبياءﷺ يتطاول على الله (العزيز الجبَّار).

الأَمر الخامس:

أُبُوَّة سيِّد الأَنبياء وأَمير المؤمنين عليهما السلام **شَامِلَةٌ ـ كعنوان أُمَّة مُحَمَّد ـ لجملة المخلوقات والعوالم**

إِنَّ عنوان: (الأُبُوَّة) الوارد في بيانات الوحي في حقِّ سيِّد الأَنبياء وَأَمير المؤمنين (صلَّىٰ اللّـه عليها وعلىٰ آلهما) ، منها:

بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ المُتقدِّم: «**أَنَا وعَلِيّ أَبَوا هذه الأُمَّة ، ولحقِّنا عليهم أَعظم من حقِّ أَبوي ولادتهم؛ فإِنَّها تنقذهم إِنْ أَطاعونا من النَّار إِلى دار القرار ، ونلحقهم من العبوديَّة بخيار الأَحرار**» [بحار الأَنوار ، ٢٣: ٢٥٩/ح٨] عنوان شامل لسائر كُمَّل المخلوقات.

بعد الِالتفات: أَنَّ المراد من عنوان (الأُبُوَّة) الوارد في المقام: المنشأ.

وعلىٰ هذا قس عنوان: (الأُمَّة) الوارد في هذه البيانات الوحيانيَّة المعرفيَّة الشَّريفة؛ فيكون شامل ـ كسابقه ـ لجملة المخلوقات وعوالمها.

ودلالته واضحة أَيضاً ؛ فإِنَّه عليه السلام ذكر للفظٍ واحدٍ أَكثر من معنىٰ ، جميعها مقصودة له عليه السلام ، وليس بينها تعارض واصطكاك.

وعليه: فيصحُّ أَنْ يُقال: إِنَّ مراد الإِمام الصَّادق عليه السلام من كُنية: (أَبي القاسم) الواردة في بيان زيارة جدِّه سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله عند إِرادة الدخول لحرم أَمير المؤمنين عليه السلام: «**إِذا أَتيتَ مشهد أَمير المؤمنين** عليه السلام ... **فإِذا وصلت إِلى باب السلام فاستقبل القبلة ... وقل: السَّلام علىٰ رسول الله ... السَّلام علىٰ أَبي القاسم مُحَمَّد ورحمة الله وبركاته** ...»[1] المعنىٰ الثَّاني بلا اِرْتِيَاب كالمعنىٰ الأَوَّل.

→ **وعليه**: تكون جملة المخلوقات غير المتناهية وفي كافَّة العوالم أَيضاً تابعة لهما (صلوات الله عليهما وعلىٰ آلهما) ، ومنقادة إِليهما.

وهذه تبعية وأُبُوَّة عوالم نور ، ولها أَحكامها وشؤونها الخاصَّة ، بل الأُبُوَّة والأُخوَّة في العوالم النُّوريَّة باب عظيم وخطير جِدّاً ينفتح منه أَلف باب وباب.

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥: ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

المسألة: (١٨/٩)

[فوائد تعدُّد البيانات والألفاظ الدَّالَّة على المعنى الواحد]

هناك فوائد زاخرة لتعدُّد بيانات المعنىٰ الواحد وأَلفاظه وأُطُره وقوالبه ، منها:

اِستيقاظ الباحث أَكثر في الِالتفات إِلى المعنىٰ ، فإِنَّ الأَلفاظ المخصوصة مهما تكن ـ دَوَالّاً ، ولها دلالة وطريقة ـ لها درجة من الحجاب والضبابيَّة والتعتيم ، بخلاف التحرُّر عن اللَّفظ الخاصِّ بخصوصه ؛ والنَّظر إِلى الأَلفاظ المُتعدِّدة الدَّالَّة على ذلك المعنىٰ وطبقاته ، فإِنَّها تُولِّد له يقظة وبصيرة يغوص ببركتها بسندان التعمُّق في بُحُوْرِ المعاني والحقائق غير المتناهية.

وبعبارة أُخرىٰ: إِنَّ للمعنىٰ الواحد قوالبَ أَلفاظٍ ، لها قابليَّة الإِشارة إِلى معانٍ أُخرىٰ فوق ووراء المعنىٰ الظَّاهر ، ولها أَيضاً قابليَّة الإِشارة إِلى

التَّرابط بين الطَّبقة الأُوْلىٰ للمعنىٰ وسائر الطَّبقات.

وخذ على ذلك المثال التَّالي: بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ ، وَكَمَالُ التَّصدِيق بِهِ تَوْحِيدُهُ ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلَاصُ لَهُ ، وَكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْـمَوْصَوْفِ ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ ، فَمَنْ وَصَفَ اللَّـهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ ، وَمَنْ قَرَنَه فَقَدْ ثَنَّاهُ ، وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ...**»[1] فإِنَّهُ برهانٌ وحيانيٌّ كاشف عن معادلات ومحاور وطبقات خمس ، أَشارت إِليها بيانات الوحي الأُخرى بقوالب وألفاظ مُتعدِّدَة ، منها:

١ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام : «... **أَوَّل عبادة الله معرفته ، وأَصل معرفة الله توحيده ، ونظام توحيد الله نفي الصِّفَات عنهُ لشهادة العقول أَنَّ كُلَّ صفةٍ وموصوفٍ مـخلوق ، وشهادة كلّ مخلوقٍ أَنَّ لَهُ خالقاً ليس بصفةٍ ولا موصوفٍ ، وشهادة كلِّ صفةٍ وموصوفٍ بالِاقتران ، وشهادة الِاقتران بالحدث ، وشهادة الحدث بالِامتناع من الأَزل الممتنع من الحدث ، فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته ، ولا إِيّاه وحَّد من اكتنهه ، ولا حقيقته أَصَاب من مثَّله ، ولا بِهِ صَدَّق مَنْ نَهَّاه ، ولا صَمَدَ صَمَدَه مَنْ أَشَار إِليه ، ولا إِيَّاه عني من شَبَّهه ، ولا لَهُ تذلّل من بعَّضه ، ولا إِيّاه أَراد من تَوهَّمَه ، كلّ معروفٍ**

---

(١) نهج البلاغة: ٤١/ خ١.

بنفسه مصنوع ، وكلّ قائم في سواه معلول ...»[١].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «... **وبالعقول يعتقد التَّصْديق باللَّـهِ ، وبالإِقرار يكمل الإِيمان بِهِ ، ولا ديانة إِلَّا بعد المعرفة ، ولا معرفة إِلَّا بالإِخلاص ، ولا إِخلاص مع التشبيه ، ولا نفي مع إِثبات الصِّفَات للتشبيه ، فكلّ ما في الْـخَلق لا يوجد في خالقه ، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع من صانعه...**»[٢].

ثُمَّ إِنَّ الباحث في أَبواب المعارف قد لا يلتفت لتلك الوحدة الرَّابطة بين معاني طوائف أَلفاظ البيانات المُتعدِّدة ؛ إِذ ليس من المُتيسِّر لكلِّ باحثٍ القدرة على ربط طبقات المعاني بعضها بالآخر ، مع أَنَّ الرَّبط بين المعاني وطبقاتها ضرورة مُلِحَّة في أَبواب المعارف أَكثر من غيرها.

[قراءة المعارف]

وَمِنْ كُلِّ ما تقدَّم يتَّضح: سِرّ التَّأكيد علىٰ قراءة المعارف بعناوين ولُغات الوحي[٣] دون عناوين ولُغات البشر[٤] ؛ لأَنَّ بيانات الوحي عبارة عن شبكة إِنباء غيبي ومَلَكوتي ، وأُفق ذو مقاسات غير متناهية ، لا تُقَاس بِأُفقِ النتاج البشري ، وثرثرة مخلوق ما بلغ ، فأَين الذَّهب من الرَّغام ، وأَين العذب من الأُجَاجِ!!

---

(١) التوحيد: ٣٦/ح٢.

(٢) التوحيد: ٤٦.

(٣) سواء أَكانت اللُّغَة والعناوين الواردة في بيانات القرآن الكريم كوحي إِنباء غيبي ؛ أَو الواردة في بيانات السُّنَّة الشَّريفة كوحي إِنباء ملكوتي.

(٤) سواء أكانت لغة البشر لغة: عقليَّة ، أَو ذوقيَّة ، أَو جدليَّة كلاميَّة ، أَو جدَلِيَّة برهانيَّة ذوقيَّة وجدانيَّة ، أَو رياضيَّة ، أَو لغة: العلوم التجريبيَّة ، أَو القانونيَّة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[١].

٢ـ بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢].

٣ـ بيان قوله تقدَّست أَسماؤه: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾[٣].

٤ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن كامل التَّمَّار ، قال: «**كُنْتُ عِنْدَ أَبي عبد الله عليه السلام ذَاتَ يوم فقالَ لي: يَا كامل ، اجعلوا لَنَا رَبّاً نؤب[٤] إليه وقولوا فينا ما شِئْتُم. قال: قلتُ: نَجْعَل لكُم ربّاً تؤوبون إِليه ونقول فيكم ما شِئْنَا؟! قال: فاستوى جالساً ثُمَّ قَالَ: وَمَا عَسَىٰ أَنْ نَقُول: والله مَا خَرَجَ إِليكم مِنْ عِلْمِنا إِلَّا أَلْفَاً غير معطوفة**»[٥].

٥ـ بيان الإِمام الكاظم عليه السلام ، مخاطباً عَلِيِّ بن أَبي حمزة: «**... لَا تعجب ، فما خفي عليك من أَمر الإِمام أَعجب وأَكثر ، وما هذا من الإِمام في علمه إِلَّا كطير أَخَذَ بمنقاره من البحر قطرة من ماءٍ ، أَفترى الَّذي أَخَذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟ قال: فإِنَّ الإِمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده وعجائبه أَكثر**

---

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) لقمان: ٢٧.

(٣) النحل: ٩٦.

(٤) خ . ل: نؤوب.

(٥) بصائر الدرجات ، ٢: ٤٥٩/ ح١٨٠٩ ـ ٨ .

من ذلك ، والطير حين أَخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً ، كذلك العالم لا ينقصه علمه شيئاً ، ولا تنفد عجائبه»[1].

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة.

[الجمود على حرفيَّة أَلفاظ الوحي منهجٌ حشويٌّ]

ثُمَّ إِنَّ هناك تعاطي تخرَّصه أَصحاب النهج الحشوي ، ومَنْ كان نهجه جناح بعوضة أَرجح منه ـ سلفيَّة كانوا أَم وهابيَّة أَم اخباريَّة أَم أُصوليَّة ـ بـ: الجمود في التَّعامل مع بيانات الوحي على حرفيَّة أَلفاظها وعناوينها.

وغير خفيٍّ على من يُحَكِّم عرفانه ، وينصف وجدانه: يراه كالشَّمس بِلا حِجَاب وستار على غير أَصلٍ فَنِّيٍّ وقاعدة صناعيَّة ؛ فيكون منهج خُدْعَة وللعقل منه نبوة ، مخالف لِـمَا قامت عليه بيانات الوحي الزاهرة ؛ فإِنَّها كأُصول الدِّين والمذهب وقواعدهما حاكمة بضرورة الجمع بين الدراية والرواية ، والدراية أَعظم.

فلاحظ: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله تعالىٰ: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[2] ، فإِنَّ النفر إِلى سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله أَو إِلَى سائر أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام أَو إِلى مصادرهم عليهم السلام في الحوزات العلميَّة رواية ، والغاية منه: التَّفقه في الدِّين ، وهو: دراية ، وهي

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦: ١٩٠/ ح٢. قرب الإِسناد: ٣٣٣/ ح١٢٣٨.
(٢) التوبة: ١٢٢.

الأَعظم ، لأَنَّ النفر مُقَدِّمة للوصول إِليها.

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «**رَحِمَ الله امرءاً سَمِعَ مقالتي فوعاها فأَدَّاها كما سَمِعَها ، فربَّ حامل فقه ليس بفقيه**»(١) (٢).

---

(١) بحار الأنوار ، ٢: ١٦١/ ح٢٠. وفي رواية أُخرىٰ: «فرَبُّ حامل فقهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهَ مِنْـهُ».

(٢) يجدر الإِلتفات في المقام إِلى القضايا التَّالية:

القضيَّة الأُولىٰ:

عقل سيِّد الأَنبياء ﷺ فوق نبوَّته

إِنَّ ما ورد في بيانات الوحي منها: بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**ما كلَّم رسول الله ﷺ العباد بكُنْهِ عقله قَطُّ** ...» [أُصول الكافي ، ١: ١٩/ ح١٥] براهينٌ وحيانيَّةٌ دالَّةٌ على أَنَّ عقل سيِّد الأَنبياء ﷺ فوق نُبوَّته؛ لأَنَّه تكلَّم مع العباد بنبوَّته ، لكنَّه يتكلَّم معهم بمراتب عقله الصَّاعدة؛ فيكون عقله أَرفع درجة.

القضيَّة الثَّانيَّة:

الوحي الفطري

إِنَّ الوحي وإِنْ كان من جملة أَقسام ودرجات العقل ـ ولا تغاير بينهما في أَصل إِنطلاق الدِّين ، ومن ثَمَّ يُعبَّر عن العقل في مرحلة البديهيَّات: أَنَّه وحي فطري ، وهذا ما تُشير إِليه بينات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ البديهيَّات المغروزة في دخيلة ذات الإِنسان ، بل وغيره من سائر المخلوقات برنامجٌ مُدْمَجٌ من المعلومات المُعقَّدة جِدّاً ، ورأس مال ←

← ثمين لدىٰ المخلوق ، ونقطة مركزيَّة يتمكَّن من خلالها إلى ترامي المعلومات لديه ، ومن ثَمَّ تكون جملة العلوم النظريَّة والعلم الحصولي لدىٰ المخلوق في كافَّة مجالات العلوم مَدِيْنَة لهذه الدَّائرة المركزيَّة ـ لكنَّه ـ أَي: الوحي ـ غير العقل والنُّور الأَوَّل المشار إليه في بيانات الوحي ، منها: بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ ، عن جابر بن عبدالله الأَنصاري قال: «قلتُ لرسول الله ﷺ: أَوَّل شيء خلق الله تعالىٰ ما هو؟ فقال: **نور نبيِّكَ يا جابر ، خلقه الله ثُمَّ خلق منه كُلّ خيرٍ**». بحار الأَنوار ، ١٥: ٢٤/ح٤٣.

وكذا غير روح القدس حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة.

القضيَّة الثَّالثة:

نبوَّة سيِّد الأَنبياء ﷺ ثابتة في جملة العوالم والنَّشْآت

إِنَّ نبوَّة ورسالة سيِّد الأَنبياء ﷺ لم تبدء من حين بلوغه سنّ الأَربعين ، وإِنَّما هذا السن الشَّريف مبدأ لبعثته ﷺ في هذه النَّشْأَة الأَرضيَّة ، أَمَّا نبوَّته ورسالته فإِنَّه من حين ولادته ﷺ كان نبيّاً ورسولاً؛ ومن ثَمَّ عُرِجَ به ﷺ في هذه النَّشْأَة الأَرضيَّة مُنْذُ نُعُومَةِ أَظفَارِهِ ، بعد الإِلتفات: أَنَّ وحي المعراج وحي صاعد ، وأَرقىٰ وَأَخطر من وحي جبرئيل عليه السلام.

بل كان كذلك وهو في عَالَم الأَصلاب الطَّاهرة والأَرحام المُطهَّرة ، بل كان في العوالم السَّالفة كَعَالَم الذَّرِّ والميثاق ، وفي بداية الخلقة والوجود كعَالَم الأَنوار نبيّاً ورسولاً.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ: «... **نبئتُ وآدم بين الرُّوح والجسد**». بحار الأَنوار ، ١٥: ٣٥٣.

←

٢ـ بيان الإمامين الباقر والصَّادق عليهما السلام: «**إنَّ الله خلق الخلق وهي أَظلَّة ، فأَرسل رسوله مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله ، فمنهم مَنْ آمن به ، ومنهم مَنْ كذَّبه ، ثُمَّ بعثه في الخلق الآخر ، فآمن به مَنْ كان آمن به في الأَظلَّة ، وجحده مَنْ جحد به يومئذٍ ، فقال: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾** [يونس: ٧٤]». بحار الأَنوار ، ٥: ٢٥٩/ح٦٤.

٣ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن عَلِيِّ بن معمر ، عن أَبيه ، قال: «سألتُ أَبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٦] ، قال: **يعني به مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله حيث دعاهم إِلى الإِقرار بالله في الذَّرِّ الأَوَّل**». بحار الأَنوار ، ٥: ٢٥٠/ح٤٢. بصائر الدرجات: ٢٣.

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً عن عَلِيِّ بن معمر ، عن أَبيه ، قال: «سألتُ أَبا عبدالله عليه السلام عن قوله الله عزوجل: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ ، قال: **إِنَّ الله تبارك وتعالىٰ ما ذرأ الخلق في الذَّرِّ الأَوَّل فأَقامهم صفوفاً قدّامه بعث الله مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فآمن به قوم ، وأَنكره قوم ، فقال الله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾**». بحار الأَنوار ، ٥: ٢٣٤/ح٧. تفسير القمي: ٦٥٦.

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن المُفَضَّل ، قال: «قال لي أَبو عبدالله عليه السلام: **يا مُفَضَّل ، أَمَا علمتَ أَنَّ الله تباركْ وتعالىٰ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وهو روح إِلى الأَنبياء عليهم السلام وهم أَرواح قبل خلق الخلق بأَلفي عام؟** قلتُ: بلىٰ ، قال: **أَمَا علمتَ أَنَّه دعاهم إِلى توحيد الله وطاعته واتِّباع أَمره ووعدهم الجنَّة علىٰ ذلك ، وأَوعد مَنْ خالف ما أَجابوا إِليه وَأَنكره النَّار؟** فقلتُ: بلىٰ». بحار الأَنوار ، ١٥: ١٤/ح١٧. علل الشرائع: ٦٥.

ودلالة الجميع واضحة.

القضيَّة الرَّابعة:

ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ بحر وحي زخَّار لا ينقطع أَبداً

إِنَّ ما ورد في بيانات الوحي المُشيرة إِلى حقيقة وماهية سيِّد الأَنبياء ﷺ ـ منها: بيان قوله جلَّ اسمه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠] ، وبيان قوله جلَّ جلاله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٢ـ٤] براهينٌ وحيانيةٌ دالَّة علىٰ أَنَّ جوهر ذات وحقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ تباين جواهر ذوات وحقائق سائر المخلوقات وفي كافَّة العوالم غير المتناهية ، من بداية الخلقة والوجود إِلى ما لا نهاية؛ لأَنَّه لا يوجد مخلوق البتَّة أَشرف من سيِّد الأَنبياء ﷺ ، بل ولا مساوياً له بالشرف والجلالة ، بل لم تُعطِ بيانات الوحي هذه الصِّفة والقابليَّة والفضيلة والكمال لمخلوق أَبداً ، فلا يوجد مخلوق وُصِفَ بهذه الصِّفَة؛ وأَنَّ ذاته بحر وحي زخَّار لا ينقطع أَبداً ، من بداية الخلقة والوجود إِلى ما لا نهاية.

القضيَّة الخامسة:

النُّبُوَّة والإِمامة الإِلٰهيَّة تكمن في نور النَّبيِّ والإِمام لا في بدنه

ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ بحر وحي زخَّار لا نهاية له أَبَداً

إِنَّ حقيقة النُّبُوَّة لا تكمن في بدن النَّبيّ المقدَّس ، بل في نوره وطبقات حقيقته الصَّاعدة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله جلَّ قوله الوارد في حقِّ بيان حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٢ـ٤].

وتقريب الدلالة: أَنَّ ضمير (هو) الوارد في هذا البيان الشَّريف وبحسب سياق هذه الآيات المباركة أَنَّ مرجعه نفس مرجع الضمير المستتر في (صاحبكم) و(ينطق) ، وهو ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ ، وقد عبَّر ﷻ عنها بصيغة الفعل المضارع (يوحىٰ) المُفيد للتَّجدُّد والإِستمرار التأبيدي ، الدَّال علىٰ أَنَّ ذاته ﷺ المُقدَّسة بحر وحي زخَّار لا نهاية ولا انقطاع له أَبداً من بداية الخلقة والوجود إِلى مالا نهاية.

٢ـ بيان قوله عزَّ قوله الوارد أَيضاً في حقِّ بيان حقيقة ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

وتقريب دلالته قد اِتَّضحت من سابقه ، فإِنَّه عبَّرَ عن فصل ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ بصيغة الفعل المضارع (يوحىٰ) المفيدة للتَّجدُّد والإِستمرار التَّأبيدي ، فتكون ذاته ﷺ بحور وحي خضم زاخرة ، يعب عبابها وتصطحب أَمواجها.

وهذا الوحي بعدما كان فصل ذاته ﷺ وبه مُيِّزة عن جملة البشر ، بل وعن مُطلق المخلوقات فلا ينفكّ عنها أَبداً في هذا العَالَم وفي العوالم السَّابقة واللَّاحِقة ، ومن ثَمَّ ورد في بيانات الوحي الواردة في حقِّه ﷺ أَنَّه: كان في العوالم السَّابقة نبيّاً ورسولاً لكُمَّل المخلوقات ، بل لِـمُطْلَقِها.

فانظر:

أَوَّلاً: بيانه ﷺ: «**كُنْتُ نبيّاً وآدم بين الماء والطِّين**» أَو «**بين الرُّوح والجسد**». بحار الأَنوار ، ١٨: ٢٧٨.

ثانياً: بيان الإِمامين الصَّادقين عليهما السلام: «**إِنَّ الله خلق الخلق وهي أَظلَّة ، فأَرسل رسوله مُحَمَّداً ﷺ فمنهم مَنْ آمن به ، ومنهم مَنْ كذَّبه ، ثُمَّ بعثه في الخلق الآخر؛ فآمن به مَنْ كان آمن به في الأَظلَّة ، وجحده مَنْ جحد به يومئذ ، فقال: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾** [يونس: ٧٤]». بحار الأَنوار ، ٥: ٢٥٩/ ح٦٤.

ثالثاً: بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن المُفَضَّل بن عمر ، قال: «... **يا مُفَضَّل ، أَمَا علمتَ أَنَّ الله (تباركَ وتعالىٰ) بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وهو روح إِلى الأَنبياء عليهم السلام وهم أَرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟** قلتُ: بلىٰ ، قال: **أَمَا علمتَ أَنَّه دعاهم إِلى توحيد الله وطاعته واتِّباع أَمره ، ووعدهم الجنَّة علىٰ ذلك ، وأَوعد مَنْ خالف ما أَجابوا إِليه وَأَنكره النَّار؟** قلتُ: بلىٰ ...». بحار الأَنوار ، ٣٩: ١٩٤ـ١٩٥/ ح٥. علل الشرائع: ٦٥.

رابعاً: بيانه عليه السلام **أَيضاً**: «**ما بَعَثَ الله نبيّاً أَكرم من مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، ولا خلق الله قبله أَحَداً ، ولا أَنذر الله خلقه بأَحد من خلقه قبل مُحَمَّد ، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٦] وقال: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾** [الرعد: ٧] ، **فلم يكن قبله مُطاع في الخلق ، ولا يكون بعده إِلى أَنْ تقوم السَّاعة ، في كُلِّ قرنٍ إِلى أَنْ يرث الله الأَرض وَمَنْ عليها**». بحار الأَنوار ، ١٦: ٣٧١/ ح٨٢.

ودلالة الجميع واضحة ولا غبار عليها.

ثُمَّ إِنَّ صفة: (عدم تناهي وحي ذات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله لم يثبتها القرآن الكريم لأَحدٍ غيره صلى الله عليه وآله قَطُّ ، بل لم يثبتها لنفسه؛ فإِنَّه عبَّر عنها بصيغة الماضي ، (أَوحينا) ، الدَّالة علىٰ التناهي.

فلاحظ:

بيان قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

ودلالته واضحة.

ثُمَّ إِنَّ وحي ذات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله هذا أَعظم من دون قياس من عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة؛ لعُلُوِّ مرتبته ومقاماته؛ فإِنَّه من عوالم نوريَّة صاعدة.

وَمِنْ كُلِّ ما تقدَّم يتَّضح: أَنَّ من مُقوِّمات معرفة حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله معرفته ومعرفة صفاته وَأَسمآءه وشؤونه وَأَحواله في جملة العوالم السَّابقة واللَّاحقة؛ من

بداية خلقة عَالَمَ الإِمكان والوجود إِلى ما لا نهاية له ، بحسب ما أَصحرت به بيانات الوحي.

وعلىٰ ما تقدَّم قِس حقيقة الإِمامة الإِلٰهيَّة والإِمام عليه السلام؛ فإِنَّهما يرتضعان من ثديٍ واحدٍ من هذه الجهة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء مُخاطباً أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليهما علىٰ آلهما): «... **يا أَبا الحسن ... وما أَكرمني الله بكرامةٍ إِلَّا أَكرمكَ بمثلها ...**». بحار الأَنوار ، ٢٤: ٦٤/ح٤٩.

٢ـ بين الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**كُلُّ ما كان لمُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله فلنا مِثله إِلَّا النُبُوَّة والأَزواج**». بحار الأَنوار ، ٢٦: ٣١٧/ح٨٣. تفضيل الأَئمَّة: (مخطوط).

القضيَّة السَّادسة:

ركن ينبغي أَخذه في تعاريف حقائق أَهل البيت عليهم السلام

اِستِحَالة اِحاطة مخلوق بكُنْه حقائق أَهل البيت عليهم السلام

هناك ركن ذكرته بيانات الوحي مأخوذ في نبوَّة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وصفة من صفات حقيقته ، ومأخوذ في إِمامة أَهل البيت عليهم السلام وصفة من صفات حقائقهم غفلت عنه مدارس البشر المعرفيَّة ـ كالمدرسة الكلاميَّة ـ ينبغي أَخذه في تعريفيهما ، وهو: أَنَّه لا يمكن لُمطلق المخلوقات معرفة ووصف تلك الحقائق بالكُنْه.

وهذا ما يُشير إِليه بيان القاعدة المعرفيَّة المستفادة من بيانات الوحي ، وهي: «مَنْ وصف شيئاً بالكُنْه كان أَعظم منه».

القضيَّة السَّابعة:

(روح القدس) أَحَد أَرواح أَهل البيت عليهم السلام

(روح القدس) شريحة في بحور حقائق أَهل البيت عليهم السلام

← إنَّ الثَّابت في بيانات الوحي: أَنَّ (روح القدس) ـ وهو حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ـ مع عظمته وهوله وخطره ، لكنَّه شريحة صغيرة وشعاع وحي ونور يسير في بحور طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء وطبقات حقائق سائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

فانظر: بيانات الوحي المُشيرة إلى ذلك ، منها:

١ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

فإنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ رُوح القُدس مع عظمته وعُلُوّ شأنه جُعل في ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ كأَحَد غرائزها.

٢ـ بيان الإمام الصَّادق (صلوات اللّـه عليه): «... **فينا رُوح رسول الله** ﷺ». [بحار الأَنوار ، ٢٥: ٦٢ـ٦٣/ ح٤١. بصائر الدرجات: ١٢٦].

ودلالته واضحة.

القضيَّة الثامنة:

خلط البعض بين (روح القدس) و(جبرئيل عليه السلام)

يطلق البعض خطأً واشتباهاً عنوان: (روح القدس) علىٰ جبرئيل عليه السلام ، لكن الثابت في بيانات الوحي المعرفيَّة: أَنَّه عنوان يُطلق علىٰ حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ، والَّتي يُطلق عليها أَيضاً عنوان: (الرُّوح الأَمري).

نعم ، جبرئيل عليه السلام يُطلق عليه في بيانات الوحي عنوان: (الرُّوح الأَمين).

وجبرئيل عليه السلام وإِنْ كان مَلَكاً عظيماً وقد وصفه الباري تقدَّس اسمه في كتابه الكريم بأَوصاف عظيمة ، كما ورد في بيان قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ـ ٢١] ، لكنَّه إذ قيس إلى (روح القدس) ـ حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ـ فهو ـ جبرئيل عليه السلام ـ قطرة في ←

بحره ـ روح القدس ـ. وهو ـ روح القدس ـ ليس إِلَّا قطرة في بحور حقيقة سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) الزخَّارة الطمطامة المُتلاطمة. وقد مرَّ وسيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) مزيد بيان وَأَدلَّة علىٰ جميع ذلك.

وهذه النُّتَفُ والحقائق المعرفيَّة لو لم يُبيِّنُها أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) فَمَنْ الَّذي يشمُّها وترد علىٰ خاطره.

القضيَّة التَّاسعة:

بعض طبقات الوحي من دون واسطة

إِنَّ للوحي الإِلٰهيّ مراتباً وأَقساماً، وبعضها لم تُسند لجبرئيل عليه السلام، وبعضها الآخر لم تُسند إِلى روح القُدس، بل بعضها لم تُسند أَصلاً إِلى أَيِّ واسطةٍ.

فلاحظ: بيانات الوحي، منها:

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام، عن زرارة، قال: «قلتُ لأَبي عبدالله عليه السلام: جُعِلْتُ فداك، الغَشْيَة الَّتي كانت تُصيب رسول الله صلى الله عليه وآله إِذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال: **ذاك إِذا لم يكن بينه وبين الله أَحَد، ذاك إِذا تجلَّىٰ الله له**، قال: ثُمَّ قال: **تلك النُّبوَّة يا زرارة، وأَقبل يتخشَّع**». توحيد الصدوق، ١١٢/ح١٥.

فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ مُصرِّح بأَنَّ هناك نحو من أَنحاء الوحي الإِلٰهي بين الباري جل جلاله وسيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله من دون واسطة البَتَّة.

وهذا يدلُّ علىٰ عُلُوِّ مقام ومرتبة وخطر هذا النحو من الوحي.

ثُمَّ إِنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله تعرَّض إِلى مواقف عظيمة وخطيرة ومهولة جِدّاً؛ كنزول جبرئيل عليه السلام عليه، والعروج به صلى الله عليه وآله، ومشاهداته لنار الآخرة الأَبديَّة، ووصوله إِلى ما بعد سدرة المُنتهىٰ، وبلوغه حدّاً لم يبلغه أَحدٌ قَطُّ من خلق الله، ولو دنىٰ منه جبرئيل عليه السلام أَنْمُلَةً لاحترق، ومع كُلّ هذا وغيره بقي صلى الله عليه وآله علىٰ حالته الطبيعيَّة، مع أَنَّ النَّبيَّ عيسىٰ عليه السلام رغم أَنَّه من أَنبياء أُولي العزم لم يتحمَّل بدنه ونفسه وروحه

← الشَّريفة الرَّفع إلىٰ السَّمآء الأُولىٰ إلَّا بالتَّنويم. فانظر: بيان قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وكُلُّ هذا يُدلِّل علىٰ عُلُوِّ مقام ومرتبة وخطر وهول حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ.

القضيَّة العاشرة:

اِعتماد المخلوق باستقلاليَّة ما حواه أَحَد أَنواع الغُلُوّ والتأليه

كلَّمَا عظمت عطيَّة الخالق كُلَّمَا اِشتدَّ فقر المخلوق وحاجته إِليه

إِنَّ الغُلُوّ والتأليه قد يدبَّان للمخلوق إِذا اعتقد ـ ولو بمقدار حبَّة من خردلٍ ـ أَنَّ ما لديه حواه وبنحو الاِستقلاليَّة من تلقاء نفسه.

والحقُّ: أَنَّه كلَّمَا عظمت عطية الخالق (تقدَّست أَسمآؤه) للمخلوق كُلَّمَا اِشتدَّ فقر المخلوق وحاجته إِليه (تبارك اسمه).

وهذا ما يوضِّح سر وفلسفة صفة (عبده) المُتَّصف بها سيِّد الأَنبياء ﷺ، وهي من أَعظم صفاته ﷺ.

القضيَّة الحادية عشرة:

من فوائد توالي النُّبوَّات

إِنَّ توالي النُّبوَّات بعضها بعد الآخر يزيد الوعي الدِّيني لدىٰ المخلوق، ويتجذَّر اِرتباطه أَكثر بساحة القدس الإِلٰهيَّة.

القضيَّة الثَّانية عشرة:

النِّسْبَة المنطقيَّة بين عنوان: (الأَنبياء) و(الرُّسل)

إِنَّ اِستعمالات عنوان (الرُّسل) الواردة في بيانات الوحي أَعَمُّ من اِستعمال عنوان (الرُّسل من الأَنبياء)؛ فإِنَّ عنوان الرُّسل يُطلق في بيانات الوحي: علىٰ مَنْ لديه ←

← مأموريَّة إِلٰهيَّة لَدُنِّيَّة خاصَّة ، وحينئذٍ يشمل الملائكة. وإِليه أَشارت بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

وعليه: تكون النِّسْبَة المنطقيَّة بين عنوان (الأَنبياء) وعنوان (الرُّسُل): العموم من وجهٍ ، وليست العموم والخصوص المُطلق ، كما تبنَّته اِصْطِلاحات الكُتُب الكلاميَّة.

القضيَّة الرَّابعة عشرة:

عدم اِهتمام مدارس البشر بالجانب الرُّوحي يُوقِع بظلمات روحيَّة قاتلة لرياضة (اليوغا) وما شاكلها اِرتباطات بعَالَمَ الجنِّ والأَبالسة

هناك مطلب مرتبط بمباحث النُّبوَّة؛ ينبغي صرف النَّظر إِليه ، حاصله: اِنتشرت في الآونة الأَخيرة رياضات وطقوس روحيَّة تُدَرَّس في الجامعات والأَكاديميَّات الغربيَّة ، أَغلبها طقوس شرك وإِلحاد.

مثاله: رياضة اليوغا (Yoga) ، والريكي (Reiki) ـ العلاج بالطَّاقة ـ ، والتَّنويم المغناطيسي (Mayo clinic) مايوكلنك.

وسبب اِنتشارها: اِبتعاد الغربيُّون والماديُّون والالحاديُّون والاِشتراكيُّون والمسيحيُّون واليهود وغيرهم من أَتباع سائر الديانات وغيرها؛ في شرق الأَرض وغربها ، بل وأَتباع سائر المذاهب والمدارس الإِسلاميَّة عدا أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام عن دين السمآء وشرعها ووحيها ومعارفها ، ومن ثَمَّ عاشوا حالة جفاف روحي وظلمة قاتلة ضاجة لمضاجعهم ، المشار إِليها في بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ ←

كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٣٩ـ٤٠].

وذلك نتيجة عدم اِهتمامهم بالجانب الرُّوحي كما اهتَمَّ به دين الإِسلام المُتَمَثِّل في مدرسة أَهل البيت عليهم السلام ، فإِنَّها زاخرة بالأَدعية والزيارات والخُطَبِ والبيانات الوحيانيَّة المُهتمَّة بالجانب الرُّوحي؛ فإِنَّ خلقة الإِنسان وتكوينه عبارة عن زوج تركيبي (بدن وروح) ، والرُّوح مهما تكن تَكِلّ وَتَمِلّ وتَكْبُت وتَضِجّ ويُعْلَىٰ صُرَاخها وتنفجر ، وَمِنْ ثَمَّ تحاول هذه الرياضات والطقوس تلبية نداء الفطرة وعطش الرُّوح لدىٰ أُولئك ، لكن هذه الرياضات والطقوس عبارة عن كهانة قديمة لكنّها بثوب جديد ، لها اِرتباطات وتَعَلُّقَات بالجنِّ والشَّياطين واللَّواذ بهم والاِستمداد من طاقاتهم.

القضيَّة الخامسة عشرة:

حقيقة الإِنسان علىٰ طبقات

عَالَمَ (الدَّهر) أَحَد العوالم الَّتي مَرَّ بها الإِنسان

إِنَّ ما ورد في بيان قوله عظمت آلاؤه: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإِنسان: ١] برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ علىٰ أَنَّ ليس لحقيقة الإِنسان طبقة فاردة قَطُّ في عَالَمَ الخلقة الأَرضيَّة ـ عَالَمَ الأَصلاب ، وَعَالَمَ الأَرحام ، وَعَالَمَ النَّشْأَة الخارجيَّة ـ ، وإِنَّما هذه النَّشْأة الأَرضيَّة أَحَد العوالم النَّازلة المارّ بها الإِنسانِ ، وقبلها وبعدها عوالم إِلى ما شاء الله تعالىٰ ، أَحدها: (عَالَمَ الدَّهر).

القضيَّة السَّادسة عشرة:

طبيعة الوجود المُهَيْمِن مُحيط بجميع شراشر ما تحته

٣ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**عليكم بالدرايات لا بالرُّوايات**»(١).

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**همَّة السُّفَهاء الرُّواية ، وهمَّة العلماء الدراية**»(٢).

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**اعقلوا الخبر إِذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ، فإِنَّ رواة العلم كثير ورعاته قليل**»(٣).

٦ـ بيان الإِمام الباقر ، عن أَبي عبد الله عليهما السلام ، قال: «**قال أَبو جعفر** عليه السلام:

← إِنَّ طبيعة الوجود المُهَيْمِن: يلم بجملة قطعات الوجود النَّازل؛ فتحضر لديه المعلومات بالمُهَيْمَنِ عليه ، ولا تتفاوت قدرته عليه ، وتكون أَبْعَاضه وشراشره لديه كنقطة واحدة لا تفاوت بينها ولا تصرُّم ، فلا مضيَّ ولا راهن ولا لاحق.

وللتوضيح: لاحظ شعور الإِنسان وإِحاطته بجملة بدنه من قمَّة رأسه إِلى أَخمص قدميه؛ فإِنَّها حاضر لديه كنقطة واحدة.

وهذا بخلاف الوجود الضعيف ؛ فإِنَّ في أَبْعَاضه تفاوت ، وفيه مضيّ وحاضر ولاحق. وكُلَّمَا اِزداد ضعفاً اِزداد اِنقساماً ، ويكون في كُلِّ قسمٍ اِنقسامات زمانيَّة ثلاثة ـ ماضي وراهن ولاحق ـ. ومن يُدقِّق في الوجود الرَّاهن يجده وإِنْ كان ظاهره راهن لكنَّ باطنه يحتوي أَيضاً علىٰ هذه الأَقسام الزَّمانيَّة الثلاثة ـ ماضي وراهن ولاحق ـ ، وهكذا من يُدقِّق في باطن هذا الرَّاهن الأَضعف فإِنَّه يجده ينقسم أَيضاً إِلى هذه الأَقسام الزمانيَّة الثلاثة ، وهلمَّ جرّاً إِلى أَنْ يصل الحال إِلى حافَّة العدم في الضَّعف.

ومعناه: أَنَّ الزَّمان مُؤشِّر علىٰ ضعف الوجود والموجود الزَّماني.

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ١٦٠/ح١٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٦١/ح١٣.

(٣) المصدر نفسه / ح٢١.

يا بنيَّ ، اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم ، فإِنَّ المعرفة هي الدِّراية للرُّواية ، وبالدِّرايات للرُّوايات يعلو المؤمن إِلى أَقصى درجات الإِيمـان ، إِنِّي نظرتُ في كتابٍ لِعَلِيٍّ عليه السلام فوجدتُ في الكتاب: أَنَّ قيمة كُلّ امرئٍ وقدره: معرفته ، إِنَّ الله تبارك وتعالى يُحاسب النَّاس على قدرِ ما آتاهم من العقول في دار الدُّنيا»(١).

٧ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «**حديث تدريه خير من أَلف حديث ترويه**»(٢).

٨ ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**رواة الكتاب كثير ، ورعاته قليل ، فكم من مستنصح للحديث مستغش للكتاب ، والعلماءُ تحزنهم الدراية ، والجهَّال تحزنهم الرُّواية**»(٣).

٩ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**أَنتم أَفقه النَّاس ما عرفتم معاني كلامنا ، إِنَّ كلامنا لينصرف**(٤) **على سبعين وجهاً**»(٥).

ودلالة الجميع واضحة.

نعم ، التركيز علىٰ أَهميَّة الرُّواية لدىٰ أَصحاب النهج الأَخباري إِيـجابيَّة ، وتصحيح لخطأ وقع في المنهج الأُصولي ، فإِنَّ كثيراً من الأَبحاث

---

(١) بحار الأنوار ، ٢: ١٦١/ح٢٠.
(٢) المصدر نفسه ، ١: ١٠٦/ح٢.
(٣) المصدر نفسه: ١٦١/ح١٤.
(٤) خ . ل : ليتصرَّف .
(٥) بصائر الدرجات ، ٢: ١٢٦/ح ١١٨٣ ـ ٦.

الأُصوليَّة تعتمد علىٰ قدرة الدراية الصِّناعيَّة ، وتـختزل آيات وروايات البحث ، مع أَنَّ الرُّواية كالآية وَصْلَة الِاتِّصَال بالوحي ، وحينئذٍ لا ينبغي اِخْتِزَالها ، بل لا بُدَّ من اِسْتِقْصَاء جميع الآيات والرُّوايات النَّاظرة لذلك البحث.

المسألة: (١٩/١٠)

[الفطرة على درجات]

إِنَّ الفطرة وإِنْ كانت مشتركة بين جميع أَنواع وأَصناف المخلوقات ، لكنَّها ليست على درجةٍ فاردة ، وليست مُشتركة بتشفِّفها وقوَّتها ، وبِخِسَّتها ودناءتها ، وغلظتها وجفائها ، وشراستها وبشاعتها ، لا سيما لدى الإِنسان ؛ فإِنَّها في الحيوانات ليست كذلك ، فكيف تكون كذلك في الإِنسان!!

وعليه: فلا ينبغي أَنْ تُقْرَأ الروايات المُتعرِّضة لشخص المعصوم عليه السلام بدرجة فطرة وغريزة غيره ، بل لا بُدَّ من قراءتها بتشفُّفٍ.

وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، منها:

بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام ؛ المُوضِّح لِـمَا حصل الإِلتباس به في قضيَّة زينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة: «... **إِنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار**

زيد بن حارثة بن شراجيل[١] الكلبيّ في أَمرٍ أَراده ، فرأى امرأته تغتسل ، فقال لها: «سبحان الَّذي خلقكِ» وإِنَّما أَراد بذلك تنزيه الله تبارك وتعالى عن قول مَنْ زَعَم أَنَّ الملائكة بنات الله ، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾[٢] ، فقال النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَـمَّا رآها تغتسل: سبحان الَّذي خلقكِ أَنْ يتَّخذ ولداً يحتاج إِلى هذا التطهير والإِغتسال ، فلَمَّا عاد زيد إِلى منزله أَخبرته امرأته بمجيء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وقوله لها: «سبحان الَّذي خَلَقَكِ» فلم يعلم زيد ما أَراد بذلك ، وظَنَّ أَنَّه قال ذلك لِـمَا أَعجبه من حسنها ، فجاء إِلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال له: يا رسول الله ، إِنَّ امرأتي في خلقها سوء وإِنِّي أُريد طلاقها ، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾[٣] ...»[٤].

وهذه القراءة مع أَنَّها من القواعد والأُسس الخطيرة ، لكنَّها غابت عن أَذهان أَصحاب مدارس البشر المعرفيَّة ، كالمُتكَلِّمين ، والفلاسفة ، ولم يلتفتوا إِليها.

---

(١) في المصدر: (شراحيل).
(٢) الإسراء: ٤٠.
(٣) الأَحزاب: ٣٧ .
(٤) بحار الأَنوار ، ٢٢: ٢١٦ ـ ٢١٧/ح٥٠. الاحتجاج: ٢٣٦. عيون الأَخبار: ١١٣.

المسألة: (٢٠/١١)

[لغات ترجمة وقراءة معارف الوحي بقدر تعدُّد العلوم]

هناك قاعدة مُهمَّة جِدّاً ، ينبغي الِالتفات إِليها بِيَقَظَةٍ ، واستذكارها مراراً ، حاصلها: «أَنَّ ترجمة وقراءة أُصول وأَبواب العقائد والمعارف الحقَّة يجب أَنْ تكون بلغات مُتعدِّدة» ؛ فإِنَّ لكلِّ علمٍ لغته الخاصَّة به ؛ يمكن من خلالها إِيصال المعلومة الحقَّة إِلى مُختلف شرائح البشر ؛ عبر جودة اِنتخاب اللُّغة العلميَّة المناسبة للطرف ؛ مع حفظ ثوابت الحقائق.

فإِيصالها للمُتخصِّص بعلم القانون ـ مثلاً ـ ينبغي أَنْ يكون بلغة علم القانون ، وإِلَّا فلغة علم الكلام وما شاكلها قد تكون بالنِّسْبَة إِليه لغة مُشَفَّرة لا يلتفت من خلالها إِلى المُراد ، وحينئذٍ لا يستجيب للطَّرح ، وذلك لم يكن ناشئاً من عناده وجحوده ، بل لإِبهام اللُّغة المُسْتَعْمَلَة ، فالحزارة لم تكن في البيان اللِّسَانِيِّ ، وإِنَّما في بيان اللُّغَة العلميَّة. وهذا ما يكون غالباً هو

السبب المانع من اِنتشار نور الدِّين والإِيمان وحقائق الثقلين.

وهذا الأَمر يأتي أَيضاً في تربية الإِنسان لأُسرته ، بل ولنفسه ؛ فلرُبَما تستعصي عليه نفسه في جانب ما فيأخذها بلغةٍ وبرنامجٍ علميٍّ آخر ؛ أَسهل في تطويعها وترويضها وتربيتها من اللُّغة والبرنامج السَّابق.

[ترجمة العناوين والمعاني بلغات مختلفة]

وبعبارة أُخرىٰ: أَنَّ ترجمة العناوين في المباحث التَّقليديَّة في علوم الدِّين إِلى لغاتٍ عصريَّةٍ مع توخِّي الدِّقَّة من الأُمور المُهمَّة جِدّاً للدَّاعية والباحث عن الحقيقة ؛ وَأَحد أَساليب نشر الدِّين ؛ فإِنَّها تُوْصِلُ المعلومة إِلى أَذهان البشر بشكل مختصر وسلس وسريع.

والتَّرجمة علىٰ أَنحاءٍ ؛ منها:

١ـ ترجمة أَلفاظ بأَلفاظ أُخرىٰ.

٢ـ ترجمة معانٍ بأَلفاظٍ.

٣ـ ترجمة معانٍ بمعانٍ أُخرىٰ.

وَمَنْ ثَمَّ يُمكن ترجمة معارف الدِّين وعقائده ومناهجه النَّيِّرة إِلى فئات وشعوب كافَّة البشر بلغات: علميَّة وعقليَّة ومعنويَّة ، ومعادلات[1] برهانيَّة تُوْصِلُ إِلى ما ورائها.

---

(١) هذا عطف علىٰ كلمة: (لغات) ، فتكون العبارة كالتالي: (ومن ثَمَّ يُمكن ترجمة معارف الدِّين ... إِلى كافَّة البشر بمعادلات برهانيَّة ...).

فعلم: الفيزياء ، والكيمياء ، والأَحياء ، والرِّياضيات ، والهندسة ، والسياسة ، والقانون ، وعلم النَّفس الإِجتماعي ، وعلم الحقوق وهلمَّ جرّاً[1] لغات ومعادلات علميَّة تُوصِل مُستخدمها بنور تأَلُّهي إِلى عَالَمَ الغيب وعوالم: الملك والملكوت. وحينئذٍ تزداد وترتقي فائدة وشرف وشرافة هذه العلوم ؛ لأَنَّ شرافة العلم بشرافة موضوعه.

وسُمِّيَت اللغة: العلميَّة والعقليَّة والمعنويَّة والمعادلات البرهانيَّة بأَنَّها لغات ؛ لكونها تُوصِل إِلى النتائج والمعاني العلميَّة كاللغة اللسانيَّة.

إِذَنْ: يُمكن ـ من خلال الخوض في عمق الحقيقة ـ ترجمة الحقيقة المعرفيَّة بلغاتٍ علميَّةٍ عقليَّةٍ برهانيَّةٍ من علومٍ شتَّىٰ ؛ ليتوصَّل من خلالها إِلى تفهيم وإِفهام البشريَّة حقائق الدِّين القويم بشكلٍ سريعٍ جِدّاً مُلفت للنَّظر.

وهذه الطريقة ـ من اِستخدام لغات متنوِّعة من علومٍ شتَّىٰ ـ كثيراً ما تستعملها بيانات الوحي ؛ فلا يقتصر الوحي الإِلٰهي الشَّريف في إِيصال الحقائق المعرفيَّة على لغة علميَّة فاردة ، بل علىٰ لغاتٍ مُتعدِّدةٍ.

---

(١) **ينبغي الِالتفات**: أَنَّه لن يتحقَّق يوماً للبشريَّة الإِحاطة بجملة علم: الفيزياء والكيمياء والرِّياضيَّات وسائر العلوم ، لكونها غير متناهية ، ومن ثَمَّ تظلّ طَابَعاً إِلٰهيّاً مختصّاً بالله تعالىٰ.

وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، منها:

١ـ بيان قوله عزَّ قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

ومعناهما: أَنَّ فيض السَّاحة الإِلٰهيَّة غير محدود وغير متناهٍ.

وبالجملة: لا تُحبس المعرفة في لغةٍ واصطِلاحٍ فاردٍ ، واِنْحِبَاس الباحث علىٰ لغةٍ فاردةٍ دليل علىٰ عدم تبحُّره وعدم تضلُّعه العلمي.

[عنوان (اللُّغة) شامل لمعنى الثقافة وما شاكلها]

ولكَ أَنْ تقول: إِنَّ عنوان: (اللُّغة) توسَّع في العصر الرَّاهن ـ في بحوث العلوم: (الإِنسانيَّة) ، و(الإِجتماعيَّة) ، و(الحضاريَّة) وغيرها ـ ليشمل ـ بالإِضافة إِلى اللُّغة والأَلفاظ المعهودة ـ الثقافة ؛ فثقافة أَيّ مجتمعٍ وأَيّ بيئةٍ خاصَّةٍ لغة من اللُّغات العصريَّة ، فلكُلٍّ مِنْ الفقهاء ، والأَطباء ، والمهندسين ، والقانونيّين ، والسياسيّين ، والعسكريِّين والأَمنيِّين وهلمَّ جرّاً من سائر الأَصناف ثقافته ولغته الخاصَّة.

بل الرَّائج في العصر الرَّاهن في العلوم والبحوث الإِنسانية والإِجتماعيَّة والفلسفيَّة: أَنَّ صدق عنوان اللُّغة علىٰ هذا النحو أَحَقُّ من صدقه علىٰ لغة الأَلفاظ المعهودة.

ولا يبعد إِشارة بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[1] إِلى هذه اللُّغة.

بتقريب:

أَوَّلاً: إِنَّ المراد من (اللِّسَانِ) في البيان الشَّريف ليس الأَلفاظ واللُّغة

---

(١) إِبراهيم : ٤.

المعهودة ، وإنَّما لِسَان ولغة الثقافة الموجودة لدىٰ أَقوام الأَنبياء والمرسلين ، فيُبعث النَّبيّ بثقافة قومه ؛ كيما لا يكون فرداً شاذّاً.

وإلى هذا أَشارت بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها:

بيان الإمام الرِّضا عليه السلام ، عن أَبي يعقوب البغداديّ ، قال: «قال ابن السِّكِّيت لأَبي الحسن عليه السلام: لِماذا بَعَثَ اللهُ موسىٰ بن عِمْرَان عليه السلام بالعَصَا ، ويـده البيضاء ، وآلـة السِّحْر؟ وبَعَثَ عيسىٰ عليه السلام بآلَةِ الطِّبِّ؟ وبَعَثَ مـُحمَّداً صلى الله عليه وآله صلَّىٰ الله عليه وآله وعلىٰ جميع الأَنبياء بالكلام والخُطَب؟ فقال أَبو الحسن عليه السلام: **إنَّ الله لَـمَّا بَعَثَ موسىٰ عليه السلام كان الغَالِبُ علىٰ أَهل عصره السِّحْرَ فأَتاهم من عند الله بما لم يكن في وُسْعِهِم مِثْله ، وما أَبْطَلَ به سِحْرَهُمْ ، وأَثْبَتَ به الحُجَّة عليهم ، وإنَّ الله بَعَثَ عيسىٰ عليه السلام في وقتٍ قد ظهرت فيه الزَّمَانَاتُ واحتاجَ النَّاسُ إلى الطِّبِّ ، فأتاهم من عند اللَّـه بما لم يكن عندهُم مِثْلُهُ ، وبما أَحيا لهم الموتىٰ ، وَأَبرأ الأَكمه والأَبرص بإذن الله ؛ وَأَثبت به الحُجَّة عليهم ، وإنَّ الله بَعَثَ مُحمَّداً صلى الله عليه وآله في وقتٍ كان الغالبُ علىٰ أَهل عصره الخُطَبَ والكلام ـ وأظنَّه قال: الشِّعْرَ ـ فَأَتاهُمْ من عند الله من مَوَاعِظِهِ وحِكَمِهِ ما أَبطل به قولهم ، وأَثبت به الحُجَّة عليهم.** قال: فقال ابن السِّكِّيتِ: تاللّـهِ ، ما رأَيتُ مِثْلَكَ قَطُّ ...»[1].

ودلالته واضحة ؛ فإنَّ بعثة كُلّ رسولٍ جاءت على وفق الغالب مِنْ أَحوال وثقافة عصره ؛ فبُعثَ النَّبيُّ موسىٰ عليه السلام بـ: (العصا) بعدما كان

(١) بحار الأنوار ، ١٧: ٢١٠/ح١٥. أُصول الكافي ، ١/ كتاب العقل والجهل: ١٩ـ ٢٠/ح٢٠.

الغالب علىٰ أَحوال وثقافة قومه: السِّحْر ، فإِذا هي حَيَّة تسعىٰ تلقف ما يُؤفكون ، وفلق بها البحر يبساً ؛ فأَبهرت كُلّ ساحرٍ ، وأَذلَّت كُلَّ كافرٍ. وَبُعِثَ النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام بعدما كان الغالب علىٰ أَحوال وثقافة قومه: الطِّبّ بـ: (إِبْرَاء الزمنىٰ) ، و(إِحْيَاء الموتىٰ) ؛ فأَدهَشَ كُلَّ طبيبٍ وأَذْهَلَ كُلَّ لبيبٍ. وبُعِثَ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بعدما كان الغالب علىٰ أَحوال وثقافة قومه: الفصاحة والبلاغة بـ: (القرآن الكريم) ؛ فإِذا هو في الفصاحة والبلاغة والإِيجاز ما بَهَرَ به الفُصَحَاء ، وَأَعيىٰ البلغاء ، وقهر الشعراء ، فكان العجز والتقصير عنه أَقهر وَأَظهر.

ثانياً: لو تنزَّلنا ـ وقلنا: إِنَّ بيان قوله تقدَّس ذكره محمول علىٰ اللُّغة اللِّسانيَّة المُتعارفة ـ فنقول: إِنَّ لبيانات الوحي الإِلٰهيّ القابليَّة علىٰ الحمل ـ بالدلائل والقرائن والشَّواهد العلميَّة ـ علىٰ معانٍ غير متناهية.

فانظر:

١ـ بيان قوله تعالىٰ : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[1] .

٢ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «... **وَأَنَّ الكلمة من آل مُحَمَّد تنصرف إِلى سبعين وجهاً** ...»[2] .

والعدد في المقام لبيان الكثرة لا الحصر ، كحال بيان قوله تقدَّس ذكره:

---

(١) لقمان: ٢٧.

(٢) بحار الأنوار ، ٢٥: ١٧٣.

﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1].

ومن ثَمَّ يمكن حمل بيانات أَهل البيت عليهم السلام ـ بالدلائل والقرائن والشَّواهد العلميَّة ـ علىٰ معانٍ غير متناهية ، كحال بيانات القرآن الكريم ؛ لأَنَّ الجميع وحي إِلٰهيّ.

وحيث إِنَّ القرائن والدَّلائل العلميَّة في المقام تُساعد علىٰ سراية وشمول عنوان ولُغَة: (اللِّسان) إِلى كُلِّ لُغَةٍ تؤدِّي مؤدَّاها والإِيصال إِلى ما ورائها ، فيكون صدق وبيان قوله تقدَّس ذكره على اللُّغَة والثقافة الرَّائجة ، واللُّغَات: العلميَّة والعقليَّة والمعادلات البرهانيَّة وما شاكلها كصدقه علىٰ اللُّغة المُتعارفة.

[فلسفة استخدام النَّبيّ سليمان عليه السلام لعلم الفنِّ والجمال]

ومن كُلِّ ما تقدَّم تتَّضح: نكتة وفلسفة اِستخدام النَّبيّ سليمان عليه السلام وتوظيفه لعلم الفنِ والجمالِ المُحلَّل ؛ للدعوة إِلى التَّوحيد.

وهذا أَمر بديع كشفت عنه بيانات الوحي ، منها:

بيان قوله جلَّ شأنه المُقتصّ لخبره عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) التوبة: ٨٠.

الْعَالَمِينَ﴾[1].

فإنَّه برهانٌ وحيانيٌّ ، وأَصلٌ قرآنيٌّ مُشرِّع لجواز اِستعمال الفنّ والجمال في الدَّعوة الإلٰهيَّة.

ومعناه: أَنَّ نشر الدَّعوة إلى الحقِّ لا يتوقَّف على البرهان العقلي والفكر الجاف ، بل أَدقُّ المعاني المُعقَّدة والصعبة يمكن تسويقها في أَذهان ونفوس وأَرواح البشر لإيجاد الجذبات المعنويَّة في دخيلة ذواتهم ؛ بتوسُّط لغة الفن والجمال ؛ ولعلَّ بلقيس لم تستجب لِلُغة البرهان العقلي كما استجابت للغة الفنّ والجمال ؛ نتيجة أَنَّها صاحبة فنون وسلطات وإمكانيَّات دولة ، فلمست ـ من خلال إمكانيات دولة النَّبيّ سليمان عليه السلام ؛ ومهاراتها الخارجة ، وتقدُّمها علىٰ مُكْنَة وقدرة ومهارات دُوَل البشر ـ: التَّوحيد ، لكن لا بلغة البرهان العقلي واللُّغة الفكريَّة ؛ والدَّليل الفلسفي والكلامي والعرفاني ، وإنَّما ـ لمسته ـ من خلال لغة: (علم الفن والمهارات والجمال).

وهذا ما يُوضِّح ـ كما تقدَّم ـ: نكتة تعدُّد معاجز الأَنبياء والرُّسل عليهم السلام؛ في السِّحر ، والطب ، والنحت ، والفنِّ ، والبلاغة ، وهلَّمَ جرّاً.

وهذا ما نفتقده بشكلٍ اِستراتيجيّ كبير في الدَّعوة إلى هدي نور الثقلين ؛ فنحن أَتباع أَهل البيت عليهم السلام لم نستخدم الفنّ والجمال في جانبه

---

(١) النمل: ٤٤.

المُحلَّل لجهة الخير والصلاح كما استخدمه أَعدائهم عليهم السلام لجهة الشرّ والفساد ونشر الرذيلة ، ومن ثَمَّ كانت شعوب كثير من البلدان الإِسلاميَّة قبل فترة موالية لأَهل البيت عليهم السلام ، لكن الوهابيَّة وعِبر فنّ وجمال قراءة القرآن الكريم وجماليَّة صوت ترتيله وتجويده قلبت ولائهم إِلى عداء لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم).

ولك أَنْ تقول : هناك معارف وعقائد ولطائف توحيديَّة عظيمة جِدّاً؛ أَصحرت بها بيانات الوحي من خلال لغة القصص وما شاكلها من سائر اللُّغات ، ولم تُبيِّنها بلغة البرهان العقلي ، أَو بلغة الحكمة والأَحكام ، ومن ثَمَّ لا يظنّ الباحث أَنَّ تراث وبيانات الثقلين تُبيَّن من خلال قالب تعليميّ فارد ؛ وهو قالب البرهان العقلي ، فلذا ذكر جملة من المُحَقِّقين البارعين في علم التَّفسير وسائر علوم المعارف : أَنَّ بيانات الثقلين تصحر بمعارف عظيمة ومهولة جِدّاً في التَّوحيد بلغة الدُّعاء ؛ فإِنَّه أَحد اللُّغات والأَساليب البيانيَّة التعليميَّة ، الَّتي لا تقتصر على قالب : الحكمة والبرهان العقلي ، بل لها عدَّة قوالب ، منها : القصص ـ كما تقدَّم ـ ، والأَمثال ، والزيارات ، والأَذكار ، والخطابة ، والمواعظ ، والجدل ، والمغالطة ، والشعر ، والزجر ، والطلب ، والسنن ، والآداب ، والأَحكام ، والتأريخ ، والتصوير والتمثيل والتخييل ؛ لأَنَّ طبيعة قوالب بيانات المعارف الإِلٰهيَّة مُتداخلة وبأَثواب مُتعدِّدة.

إِذَنْ : في جملة العلوم يقين عقلي ، لكنَّه لا ينحصر بالبرهان العقلي ـ

خلافاً لِـمَا ادَّعاه أَرسطو ، وابن سينا ، وسائر فلاسفة المَشَّاء وفَلاسفة الإِشْرَاق ـ ، فلا ينحصر البرهان بعلم الفلسفة ، ولا بِعلم الكلام ، ولا بعلم العرفان ، وإِنَّما يعمُّ كافَّة العلوم ، ومن ثَمَّ يحصل لكثير من نوابغة علم الفيزياء وعلم الكيمياء ، وغيرهم من نوابغـة سائر العلوم مُشاهدات عظيمة ، وحالات انبهار معنوي ، رهيبة تُضعضع ذواتهم ونفوسهم ، ويشتدُّ بسببها خضوعهم وخشوعهم لساحة القدس الإِلٰهيَّة ، ويدركون ببركتها براهين عقليَّة وعلميَّة قد لا تـحصل لفيلسوفٍ أَو مُتكلِّمٍ أَو عارفٍ ما ، تكشف عن مدىٰ هول وعظمة السَّاحة الإِلٰهيَّة وأَفعالها[1].

إِذَنْ: البراهين والشُّهود والمُشاهدات لا تختصُّ بعلم الفلسفة وعلم الكلام وعلم العرفان ، بل تشمل جميع العلوم.

وعليه: فرُبَما يُثبت الأَحْيَائيّ: التَّوحيد وسائر مباحث وحقائق أَبواب العقائد والمعارف كالنُّبُوَّة والإِمامة والمعاد بعلم الأَحياء[2]. وهذا أَمر دارج ومعروف.

---

(١) الحكمة الإِلٰهيَّة ـ الإِلٰهيَّات بالمعنىٰ الأَعم ـ ، وهي: الخطوط العامَّة للأُلوهيَّة والرؤية العقائديَّة والمعرفيَّة بتسالم جميع أَصحاب العلوم هي أَساس إِنطلاق جملة العلوم.

(٢) موضوع علم الأَحياء أَو (البيولوجيا): نمو الأَجسام ، ونمو الشُّعور والإِحساس.

* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج ، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي.

٢. إحقاق الحقّ ، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري.

٣. الاختصاص ، الشيخ المفيد محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبري البغدادي.

٤. إرشاد القلوب ، الشيخ الحسن بن أبي الحسن علي بن محمد الديلمي.

٥. الإرشاد ، المفيد.

٦. أُصول الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٧. إعلام الورى ، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي.

٨. إكمال الدين ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن عليّ بن بابويه القمي.

٩. أَمالي السيِّد المرتضى.

١٠. الأَمالي ، أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي.

١١. الأَمالي ، الشَّيخ الصدوق ، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.

١٢. بحار الأَنوار ، الشَّيخ محمَّد باقر المجلسي.

١٣. البرهان ، هاشم بن سليمان البحراني.

١٤. بشارة المصطفى ، الشيخ عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم بن يزدبان الطبري.

١٥. بصائر الدرجات ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار.

١٦. تاريخ الرسل والملوك المعروف بـ(تأريخ الطبري) ، ابن جرير الطبري.

١٧. تأويل الآيات ، السيد علي الحسيني الإسترابادي النجفي.

١٨. تحف العقول ، ابن شعبة الحرّاني.

١٩. تذكرة الخواص ، يوسف بن قزغلي البغدادي السبط ابن الجوزي.

٢٠. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين الرازي.

٢١. تفسير العياشي ، محمَّد بن مسعود العياشي.

٢٢. تفسير القمي ، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي.

٢٣. تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري.

٢٤. تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إبراهيم الكوفي.

٢٥. تهذيب الأَحكام ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

٢٦. تهذيب الكمال ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي.

٢٧. التوحيد ، الشَّيخ الصدوق ، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.

٢٨. ثواب الأعمال وعقاب الأَعمال ، الشيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٢٩. ثواب الأعمال ، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق.

٣٠. الخصال ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٣١. الدر المنثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي.

٣٢. ذخائر العقبىٰ ، للطبري.

٣٣. الذريعة ، أغا بزرك الطهراني.

٣٤. رياض الجنان: (مخطوط).

٣٥. الزام الناصب ، علي اليزدي الحائري.

٣٦. شرح أُصول الكافي للمازندراني.

٣٧. شرح نهج البلاغة ، ابن أَبي الحديد المعتزلي.

٣٨. صحيح الترمذي.

٣٩. صحيفة الأَبرار ، الميرزا محمد تقي الممقاني.

٤٠. علل الشَّرائع ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٤١. علم اليقين ، للفيض الكاشاني.

٤٢. عوالي اللآلي ، ابن أبي جمهور الأحسائي.

٤٣. عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٤٤. عيون المعجزات ، الشيخ حسين بن عبدالوهاب.

٤٥. الغدير ، الشَّيخ عبدالحسين أَحمد الأَميني النجفي.

٤٦. غرر الحكمة ، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي.

٤٧. غيبة النعماني ، أَبو عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني.

٤٨. الفتوح لابن أَعثم.

٤٩. الفردوس ، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو ، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني.

٥٠. فروع الكافي ، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

٥١. فضائل أَمير المؤمنين عليه السلام لابن عقدة الكوفي.

٥٢. قرب الإِسناد ، الشيخ أبي العبَّاس عبدالله بن جعفر الحميري.

٥٣. الكافي ، الشيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.

٥٤. كامل الزيارات ، جعفر بن محمد بن قولويه القمي.

٥٥. كتاب الاقبال ، السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس.

٥٦. كتاب الغَيْبَة ، الشَّيخ الطوسي.

٥٧. كتاب: (سليم بن قيس) ، سليم بن قيس الهلالي.

٥٨. كمال الدين ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٥٩. كنز العمَّال ، المتقي الهندي.

٦٠. كنز الفوائد ، الشَّيخ محمَّد بن عليّ الكراجكي الطرابلسي. (مخطوط).

٦١. كنز جامع ، علم بن سيف بن منصور الحلّي (مخطوط).

٦٢. مجمع البيان ، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي.

٦٣. المحاسن ، المحدّث أبي جعفر أحمد بن محمَّد بن خالد البرقي.

٦٤. المحتضر ، الشيخ عزّ الدِّين أبو محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحليّ.

٦٥. مختصر البصائر ، الحسن بن سليمان الحلي.

٦٦. مرآة العقول ، الشَّيخ محمد باقر المجلسي.

٦٧. المزار الكبير ، الشيخ محمَّد بن جعفر المشهدي.

٦٨. مستدرك سفينة البحار ، الشيخ علي النمازي الشَّاهرودي.

٦٩. مشارق أَنوار اليقين في أَسرار أَمير المؤمنين عليه السلام ، الخطبة الإِفتخاريَّة ، رجب البرسي.

٧٠. مصباح الزائر ، السيد علي بن موسى بن طاووس.

٧١. مصباح المتهجِّد ، محمد بن الحسن الطوسي.

٧٢. معارج العُلىٰ ، محمد صدر العالم العمري الدهلوي. (مخطوط).

٧٣. معاني الأَخبار ، الشَّيخ الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي.

٧٤. المغازي ، محمد بن عمر بن واقد السهمي المعروف بالواقدي.

٧٥. من لا يحضره الفقيه ، الشَّيخ الصدوق ، محمَّد بن عليّ بن بابويه القمي.

٧٦. مناقب آل أَبي طالب ، محمَّد بن عليّ بن شهر اشوب.

٧٧. ميزان الحكمة ، محمَّد الريشهري.

٧٨. نهج البلاغة ، شرح ابن أَبي الحديد.

٧٩. نهج البلاغة ، للإمام أَمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٨٠. الهداية الكبرى ، لحسين بن حمدان الخصيبي.

٨١. وسائل الشيعة ، محمَّد بن الحسن الحر العاملي.

٨٢. اليقين في أُمرة أَمير المؤمنين ، السيِّد رضي الدِّين عليّ بن موسى بن طاووس.

٨٣. ينابيع المودَّة ، الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي القندوزي.

المصادر الأجنبية:

١. كتاب: **The Angle Saxo chronical**.

المسألة: (١٢/٣) ٩
خطورة علم: (الاِشتقاق) ٩
تعريف الاِشتقاق اللُّغوي ١١
بيانه : ١٢
أَنواع الاِشتقاق ١٤
مستويات الاِشتقاق اللَّفظي ٥٦
المستوى الأَوَّل: ٥٦
المستوى الثَّاني: ٥٧
المستوى الثَّالث: ٥٩
المستوى الرَّابع: ٥٩
الاِشتقاق الدلالي ومستوياته ٦١

تعريف الاِشتقاق الدلالي: ٦١
مستويات الاِشتقاق الدلالي ٦٣
المستوى الأَوَّل: ٦٣
المستوى الثَّاني: ٦٦
أَمثلة لتأكيد التَّمييز بين الاِشتقاق اللفظي والاِشتقاق الدلالي الجزئي ٧١
منافع دراسة علم الاِشتقاق ٧٤
قيم التَّأصيل ومنافعه وصعوباته ٨٠
قيم التَّأصيل ٨٠
منافع التَّأصيل ٨١
صعوبات التَّأصيل ٨٢
زبدة المخض ٨٣
الخاتمة ٩٥
القضيَّة الأُولى: ٩٥
الإِشتقاق اللُّغوي آية على الإِشتقاق التَّكويني ٩٥
القضيَّة الثَّانية: ٩٧
البيان اللساني وطبقات خلقة الإِنسان التَّكوينيَّة بيان لما ورائها من عوالم ٩٧
القضيَّة الثَّالثة: ٩٨
المخلوقات أَحداث وأَعرَاض ٩٨

القضيَّة الرَّابعة : ١٠٠
اِشتقاق لفظ ومعنى : (الجبت) ١٠٠
آيات اللَّه النَّاطقة حقائق أَهل البيت عليهم السلام ١٠٤
المسألة : (١٣/٤) ١٠٧
أَنواع التَّرادف في المنهج المعرفي ١٠٧
النَّحو الأَوَّل : ١٠٨
التَّرادف اللُّغوي (اللَّفظي) ١٠٨
النحو الثَّاني : ١١٠
التَّرادف العقليّ (المعنويّ) ١١٠
صناعة : (التَّحليل والتَّركيب) ١١٦
مدرَسَة النَّصِّ : تمسُّكٌ بقوالب بيانات الوحي والغور فيها ١١٨
عُمُوم عِلْم التَّحليل لِجُملة العلوم ١١٩
أَمثلة تطبيقيَّة ١٢٣
المثال الأَوَّل : ١٢٣
نُكْتَة كُنْيَة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بـ : (أَبي القاسم) ١٢٣
المثال الثَّاني : ١٢٥
قاعدة : « لا تجعلونا أَرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ولن تبلغوا » ١٢٥

النَّحو الثَّالث: ١٣٥
التَّرادف الوجودي ١٣٥
خلاصة ما تقدَّم ١٣٩
المرادفات اللُّغويَّة والعقليَّة والوجوديَّة تأتي في فقه الفروع ١٤١
عصارة ما تقدَّم ١٤١
نظرة الحشويَّة وأَصحاب القشر والظَّاهر ١٤٢
المسألة: (١٤/٥) ١٤٣
ضبط حدود وكُنْه المعاني لا يتمُّ إلاَّ بالمعصوم عليه السلام ١٤٣
الْحُجِّيَّة الوحيانيَّة لبيانات الوحي لا تتمّ إلاّ بما تحمله بياناته ١٥١
ترابط تكوينيّ وثيق بين أَهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم ١٥٨
المسألة: (١٥/٦) ١٦٣
التَّقيُّد بقوالب ومعاني وحقائق بيانات الوحي ١٦٣
مُميِّزَات قوالب بيانات الوحي ١٨٠
المسألة: (١٦/٧) ١٩٩
ألفاظ الوحي جبل ممدود ١٩٩
المسألة: (١٧/٨) ٢٠٧
تعدَّدت قراءات النصّ الدِّيني ٢٠٧

المسألة: (١٨/٩) ٢٢٧

فوائد تعدُّد البيانات والألفاظ الدَّالَّة على المعنى الواحد ٢٢٧

قراءة المعارف ٢٢٩

الجمود على حرفيَّة أَلفاظ الوحي منهجٌ حشويٌّ ٢٣١

المسألة: (١٩/١٠) ٢٤٧

الفطرة على درجات ٢٤٧

المسألة: (٢٠/١١) ٢٤٩

لغات ترجمة وقراءة معارف الوحي بقدر تعدُّد العلوم ٢٤٩

ترجمة العناوين والمعاني بلغات مختلفة ٢٥٠

عنوان (اللُّغة) شامل لمعنى الثقافة وما شاكلها ٢٥٢

فلسفة استخدام النَّبيّ سليمان عليه السلام لعلم الفنِّ والجمال ٢٥٥

فهرست المصادر ٢٥٩

فهرست المحتويات ٢٦٥